بداية مؤجلة

هبة درويش

رواية

اسم الكتاب: بداية مؤجلة.

اسم الكاتب: هبة درويش.

إخراج فني: محمود ربيع.

تصميم الغلاف: يوسف السيد.

رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٩٩٦

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية، أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابيّ من الناشر؛ يعرّض فاعله للمساءلة القانونية.

شهر زاد للنشر والتوزيع

shahrazadpub@gmail.com

شهرزاد للنشر والتوزيع
Publishing & Distribution

إهداء

أهـدي هـذه القصـة لفنـان جيـل كامـل علّمنـا كيـف يكـون الحـب الصـادق وكيـف تكـون المشـاعر راقيـة

إهداء إلى الفنان الكبير... أمير الطرب العربي

الأستاذ هاني شاكر

فقـد اسـتوحيت هـذه القصـة مـن كلـمات بعـض أغانيـه الجميلـة، مـع تجسـيد حيـاة واقعيـة عـانى منهـا جيـل كامـل، وهـو جيـل ٨٠

فأنا من هذا الجيل وأفتخر

وتحيّة طيبة لهذا الجيل العظيم

في يـوم مـن أيـام صيـف ١٩٨٠ تسـتيقظ أم عـلاء التـي تسـكن في بيـت صغـير بـه ٣ أدوار تمتلكهـا، وهـي في آخـر دور قبـل الـروف، وكان الوقـت قُـرب الفجـر، عـلى صـوت صراخ جارتهـا التـي تسـكن تحتهـا في نفـس البيـت.

تنـادي أم عـلاء: يـا عـلاء يـا عـلاء اصحـى يـا حبيبـي، جارتنـا الـلي تحـت شـكلها بتولـد، قـووووم يـا حبيبـي بسرعـة انـزل معايـا نشـوفها، انـت عـارف مفيـش حـد معاهـا.

يسـتيقظ عـلاء، وهـو شـاب في العقـد الثـاني مـن العمـر، مسرعًـا يرتـدي حـذاء في رِجلـه ويفتـح بـاب الشـقة متجهًـا إلى أسـفل، ويقـول: يـا ماما، أنـا حنـزل بسرعـة أهـو، بـس انـزلي انتـي اطّمنـي عليهـا عـلى ماجيـب أم رمـزي الدايـة وآجـي.

وتنزل معه أمه إلى جارتها وهو يتوجه إلى بيت الداية.

تطـرق أم عـلاء عـلى البـاب وتقـول: افتحـي يـا بسـمة، افتحـي يـا حبيبتـي، حـاولي تسـندي نفسـك وتفتحـي.

تقول بسمة: الشرّاعة مفتوحة يا أم علاء، افتحي وادخلي.

تمـد أم عـلاء يدهـا تفتـح الشرّاعـة ومنهـا تفتـح البـاب، وتتجـه لحجـرة نـوم بسـمة، وتقـول لهـا: ألـف سـلامة عليـكي، إن شـاء اللـه تقومـي بالسـلامة، أنـا حـرُوح أحـضّر فوطـة ومقـص وأسـخّن مايـة عـلى مـا حليمـة تيجـي.

وتبـدأ أم عـلاء في تحضـير مـا هـو مطلـوب، وبعـد ربـع سـاعة تسـمع عـلاء ينـادي: افتحـي يـا ماما الدايـة جـات.

تفتـح أم عـلاء وتُدخِلُهـا، وتقـول لعـلاء: ماتطلعـش فـوق يـا حبيبـي واسـتنى في الصالـون أحسـن خالتـك تتعَـب ولّا نعـوز حاجـة.

علاء: حاضر يا ماما.

ويدخل علاء الصالون وينتظر، وبعد ثواني يسمع صوت بكاء المولود فيبتسم.

وبعد نصف ساعة تخرج أم علاء ومعاها الداية والمولود على يدها، وتقول: تعالى يا علاء حاسِب الحاجّة حليمة.

ينظر علاء على المولود في يد أمه ويقول: بنت ولا ولد؟

تقول حليمة: بنت زي القمر، عقبال ما نشيل لك يا حبيبي.

يكشّر علاء؛ فتضحك أمه وحليمة وتقول: شوف الواد، مش عجباك بنت؟

ترد أم علاء: آه ياختي مش بيحبهم ونِقرُه من نِقرِهُم، دة مغلّبني مع إخواته البنات وقاعدلهم على الواحدة.

وتنزل حليمة ومعها علاء، وتقفل أم علاء الباب وتدخل إلى بسمة تجدها مستغرقة في النوم من التعب.

تضع جنبها مولودها وتخرج، تفتح باب الشقة وتجلس بجواره في انتظار علاء، ويأتي علاء يجري على السلم محدثًا صوت.

تقف أمه مسرعة وتشاور له وتقول: هششش، بالراحة الست نايمة من التعب، يلّا اطلع انت بقَى نام وخلي بالك من اخواتك، وانا هبات معاها هنا وأطلعلكوا لما تصحى، وماتنساش الصبح كلم أم إبراهيم أختها من عندنا وعرّفها إن أختها وِلدت.

علاء: حاااضر.

ويصعد إلى شقتهم، وفي الصباح يفعل كما قالت له أمه.

ووقت أذان الظهر يطرق باب شقة بسمة، تفتح أم علاء فتجد أم إبراهيم أختها وتسلّم عليها وترحّب بها.

وتدخل معها إلى حجرة بسمة، وتستيقظ بسمة على صوتهم، تحاول تسند نفسها وترفع رأسَها، تجد أختها وجارتها.

تقول: أهلًا يا أختي تعالي، تسلمي يا أم علاء، تعبتك يا حبيبتي، عقبال ما أتعبلك في فرع علاء ياااارب.

ترد أم علاء: حبيبتي مفيش تعب، احنا اخوات وجيران، والجيران لبعضها، بس كويس إنك كنتي سايبة الشرّاعة مفتوحة، وإلا ماكنتش عرفت أدخل.

ترد بسمة: آه يا اختي، ما أنا الساعة ١٢ كده حسّيت بالتعب، خُوفت يجرالي حاجة، فتحتها عشان لو ندِيت عليكي ولا على علاء حد يسمعني ويعرف يدخل.

وتستأذن منهم أم علاء: حطلع أنا بقى يا أم... ألا حتسميها إيه؟

بسمة: حسميها هبة.

أم علاء: ماشي يا أم هبة، حطلع لعيالي أفطّرهُم وأنزلك آخر النهار.

ترد أم إبراهيم: تسلمي يا غالية، ويسلم كرمك، ماتتعِبيش نفسِك، كفاية عليكي ليلة امبارح كَتّر خيرك، أنا بايتة معاها أهو.

أم علاء: ماتقوليش كدة يا أختي، يلّا ألف مبروك وتتربى في عزكوا.

وتصعد إلى شقتها تجد أولادها لسة نايمين، وتدخل إلى غرفتها هي الأخرى؛ لكي تنام.

وتمر الأيام إلى أن جاء يوم السبوع.

وتبدو مظاهر السبوع من أغاني وحلويات واجتماع الجيران والأقارب عند بسمة أم هبة.

وفي وسط الاحتفال كل فترة يذهب علاء إلى الغربال التي توضع فيه هبة، وينظر لها بابتسامة حنيّة، ويضع أصبع يده في وسط يدها الصغيرة وتغلق هبة يدها على أصبعه؛ مما يثير فرحة علاء، ويسرّ من جمالها كطفلة وتفاصيلها الصغيرة.

وينتبه على صوت أمها تقول له: لو كنت صغيّر شويّة كنت حجزتهالك.

يظهر على علاء علامات الكسوف ويقول: لا يا طنط، دي زي اخواتي، وبعدين أنا حستنّى كل ده هههههههه.

وينتهي السبوع.

وتمر الأيام ويأتي عيد ميلاد هبة الخامس، وتظهر هبة في أبهي حالتها كأنها ملاك، وتخطف الأنظار بجاملها، وتحتفل بها أمها في عيد ميلادها، وتعزم جيرانها وأقاربها، وتظهر أم علاء ومعها لعبة جميلة لها وتقبّلها وتحضنها هبة بشدة، وتقول لها: هو أبيه علاء فين؟

تقول أم علاء: بتسألي عليه ليه؟

ترد هبة: عايزاه يشوفني وأنا عروسة كده بالفستان المنفوش والجزمة والروج.

تضحك أم علاء، وتقول لها: هو فوق.

تقول هبة: ممكن أطلع أسلّم عليه؟

تقول لها أم علاء: ممكن، بس ماما دلوقتي حتجيب التورتة، مين حيطفي الشمع بقى؟

هبة: مانا حروح وآجي بسرعة.

تجري مسرعة لأعلى، تطرق الباب ويفتح لها علاء، وتقول له: على فكرة أنا مخصماك.

يرد علاء: أهلًا أهلًا بالقمر، زعلانة مني ليه؟! وإيه الشياكة دي كلها.

هبة: يا سلام، يعني ماتعرفش إن عيد ميلادي النهاردة؟

علاء: يا خبر! تصدقي نسيت.

هبة: سُوفْت بقى، زحلانة منك عشان نسِتني.

يلتقت علاء على الجزامة جنب الباب، وينظر لها ويقول: طيب غمضّي عينك كده.

تبتسم هبة ابتسامة سعيدة وتضع يدها على عينها وتقول: أهُو.

يأخذ علاء علبة ملفوفة بورق هدية، ويقول علاء: فتّحي.

تنظر هبة بدهشة تجد لفة هدية كبيرة، تأخذها منه وتقبّله من خدّه، وتبتسم وتقول وهي بتضحك: هههههه عُصْت خدك رووووج.

وتاخد منه اللفة وتجري.

يبتسم علاء وينظر في مرآة الجزامة يرى الروج على خده، ويخرج منديلًا من جيبه ويمسح، ويقول في سرّه: إمال أنا مابحبش البنات ليه! ما عشان كدة.

ويسمع صوت هبة تنادي: يا أبيه علاااء شكرًا، أنا بحبك قَدّ الدنيا، ومش زعلانه منك خلااث.

ويبتسم علاء ويغلق الباب.

وتمر الأعوام إلى أن يأتي يوم في صيف عام ٩٠، تستيقظ هبة من نومها تجد أمها تحضّر علبة بها بعض المعجنات الصغيرة، تنظر إلى أمها وتقول: هو احنا مسافرين ولا إيه يا ماما؟! انتي عاملة القُرَص والحاجات دي لمين؟

ترد أم هبة: لا مش مسافرين، بس أبِيهِك علاء مسافر النهاردة بالليل بلاد برة، عقبالك يا حبيبتي.

هبة تنتبه بحزن: مسافر ليه وفين؟

أم هبة: رايح ألمانيا يا حبيبتي، عقبال ما أشوفك زيّه ناجحة في دراستك كده، هو نجح وجايب تقدير، لا وإيه كمان بيعرف يلعب جودو لدرجة إن مدرسة كبيرة أوي بتعلّم اللعبة دي هناك بعتوله يدرّب عندهم.

هبة: آه يعني مسافر كام يوم كدة زي ماكان بيسافر لو عنده بطولة.

أم هبة: لا، المرة دي مسافر يكمل تعليمه ويدرّب هناك، يعني سفرية طويلة شوية.

هبة: طيب أنا حسبقِك أسلّم عليه.

وتجري مسرعة.

أم هبة: استني يا بنتي لا يكون نايم ولا حاجة.

هبة: لا لا هو مش بينام دلوقتي، أنا عارفة.

وتجري وتصعد إلى الدور العلوي وتخبّط علي الباب؛ فتجد أخت علاء تفتح الباب.

هبة: إزيّك يا أبلة أميرة.

أميرة: أهلًا يا هوبا إزيّك؟

تُقبّلها وتقول: إيه يا بتّ الطعامة دي، انتي بقيتي حلوة كده ليه؟

هبة تنظر بخجل، وعينها تلتفت يمين وشمال: ربنا يخليكِي يا أبلة.

أميرة: انتي بتدوّري بعينك على مين؟ طنطك أم علاء، ولا علاء نفسه؟

هبة: الاتنين.

أميرة: لو على طنط أم علاء هي في السوق بتشتري حاجات عشان أبيه مسافر بالليل، لو عايزة تسلمي على أبيه هو في الأوضة بيتمرّن.

هبة: طيب أنا حقعد أستناهم، ممكن؟

أميرة: طبعًا يا حبيبتي اتفضلي.

وتنتظر هبة جزءًا من الساعة وتجد علاء خارج من حجرته لابس ملابس التمرين والعرق يتصبب منه، ويقول: أهلًا، انتي هنا يا بوب؟ استني حاخد دش وأجيلك.

تنظر له هبة وهي مبتسمة، ويأتي لها علاء ويقول لها: بتعرفي تعملي شاي؟

تقف هبة وتقول: آه والله بعرف.

يقول علاء: طيب اعمليلي يلّا كوباية شاي وحستناكي في البلكونة، تعالِي اقعدِي معايا شوية بقى، أنا مسافر بالليل.

تسرع هبة إلى المطبخ وتعمل الشاي، وتأتي به لعلاء وتجلس معه في البلكونة، ويتحدث لها علاء عن سفره وسبب السفر.

ويوصيها بأنها تأخذ بالها من نفسها ومن والدتها، وإنها لازم تذاكر وتتفوق، ووعدها أنه سيجلب لها هدية حلوة جدًا.

ويقول: أنا حقوم بقى عشان أنام شوية عشان حسافر بالليل.

تقف هبة وتقول: مع السلامة يا أبيه.

وتملأ عينها الدموع.

وتسلم عليه بيدها ويقبّلها من جبينها، ويطبطب على كتفها.

تنزل هبة مسرعة وهي تبكي لفراق علاء.

تقابل أم علاء: أهلًا يا هبة، ازيك وازي ماما؟

ترد هبة بصوت حزين: الحمد لله.

أم علاء: مالك يا هبهوبة زعلانة ليه؟ حد من العيال اللي فوق دول غلّس عليكي؟

هبة: لا، بس أبيه حيسافر وحيقعد كتير، وأنا خدت على إنه معانا.

أم علاء: يا حبيبتي وروحي انتي زعلانه عشان كدة؟ ادعيله بس ربنا يوفّقه وينجّحه ويجيلنا بالسلامة.

وتصعد أم علاء إلى شقّتها وتدخل هبة إلى شقتها، وتجلس أم علاء مع أولادها وقت تناول الغداء، وتقول: تصدقوا.. قابِلت البت هبة بتعيّط وهي نازلة من هنا عشانك يا علاء.

علاء: آه ما أنا عارف، ما كانت قاعدة معايا وعنيها اتملت دموع، بتصعب عليّا البنت دي أوي، مش عارف أبوها اللي معندوش دم من يوم ما طلّق أمها وهي لسّة صغيرة ورماهم كده، وهي عايشة لا أب ولا اخوات، وأمها شقيانة عليها في المحل اللي مأجراه منّنا تحت ده.

أم علاء: آه والله يا بني، أبوك الله يرحمه كان دايمًا بيوصّيني عليها ويقول لي زي اليتيمة بالظبط، الله يرحمه يارب، وإن شاء الله ربنا حيقف معاهم.

ترد أخت علاء أميرة: أنا ماشوفتش أبوها ده مرتين تلاتة أصلًا على بعض من يوم ما سكنوا هنا.

ترد أخته الثانية منال: ولا أنا والله يا أميرة، مع إني أنا أوْعَى على أم هبة دي لما دخلت هنا عروسة، فاكر يا علاء؟

علاء: آه فاكر، كانت ماما لسة حامل فيكي يا أميرة.

منال: هو جوزها طلّقها ليه يا ماما صحيح؟

أم علاء: أهو يا بنتي، اللي عرفته منها إنها كانت زوجة تانية؛ لأنها كانت

أرملة أصلًا وماخلّفتش، جوزها كان ظابط ومات في حرب ٧٣، وكانت لسّة عروسة، واتجوزت أبو هبة ده، والمفروض إن له زوجة تانية كانت في إسكندرية، واللي عرفته منها إنه أول الجواز شرط عليها ماتحملش إلا لما تقول له؛ لأنه عنده عيال، عشان كده فضلوا ٥ سنين من غير عيال، ولما جَت هبة وربنا أراد بدأت بينهم مشاكل واطّلقوا، والبت يا عيني كانت لسة ٣ سنين، ومن يومها ماشوفناهوش ولا بعتلهم جنيه، وسمِعت إنه جاله شغل ومشِي من مصر خالص.

علاء: بس هانِت عليه بنته، ده البت زي الملايكة.

وتمر الساعات وتنظر هبة في الساعة كل ساعة، حتى أتت الساعة ٢ بعد منتصف الليل، وخرجت هبة من شرفة حجرتها تنظر في الشارع على صوت سيارة تقترب، وهذا موعد سفر علاء.

وتسمع صوت باب شقتها يُفتح، تجري عليه تجد أمها تسلّم على علاء وتقبّله من جبينه وتقول: روح يا بني، ربنا يرجّعك لأهلك مجبور الخاطر ياارب ويوفقك.

تجري هبة عليه وتعطيه مصحفًا صغيرًا، وتقول له: خد ده يا أبيه، خليه في جيبك؛ لأني عرِفت إن ألمانيا مش بيبيعوا مصحف، وأنا خايفة عليك تنسَى القرآن وربنا يزعل منك.

يبتسم علاء ويقبّل جبينها ويأخده منها، يقبّله ويضعه في جيبه ويقول: أختي الصغننة الشقية، عايزها تكبر بسرعة وتبقَى شاطرة، وماتعذبش مامة، وأنا لما أبعت جواب لمامتي حبقَى أسألها عليكي.

ويودّعهم على موعد قريب باللقاء ويذهب إلى رحلته.

وتمرّ الأعوام والأعوام على هبة وهي كل يوم تنتظر جواب علاء لأهله على أمل أنه يذكُرها في جواباته، وبعد حوالي ٧ سنوات ترجع هبة من المدرسة تجد سيارة ميكروباص تقف أمام المنزل، ومكتوب عليها مطار القاهرة.

تجري مسرعة ترى ماذا يحدث، وقلبها يخفق فرحًا لما تتوقعه، وبالفعل تجد علاء واقفًا على باب المنزل ويسلّم على أهله ويأخذ الشنط من السيارة، تجري

عليه وتحضنه وتبكي فرحًا بعودته.

فينتبه علاء لتلك الفتاة الجميلة التي كانت أمس طفلة صغيرة بضفاير، ويقول: إيه ده ماشاء الله، هبة، انتي بقيتِي قمر وكبرتي يا بت.

تخجل هبة من كلامه وتجري على شقتها وهي تقول: حمدالله على السلامة يا أبيه، نوّرت بيتك.

وتخبط باب الشقة فرحًا، وتفتح لها أمها وتقول: إيه مالِك مسروعة على إيه؟

هبة: أبيه علاء جيه يا ماما.

أم هبة: والله، حمد الله على السلامة.

وتأخذ طرحتها من على كرسي بجوار الباب وتنزل مسرعة لكي تسلّم عليه.

تجدهم جميعًا؛ علاء وأمه وأخواته يصعدون أمامها.

أم هبة: حمد الله على سلامتك يا حبيبي نوّرت بيتك، حمدالله على سلامته يا أم علاء لولولي.

تقف هبة بجوار الباب تنظر له وهو صاعد، وتبدأ تشعر بضربات قلبها تخفق وتخفق، وتغلق أمها الباب ولا تنتبه هبة لما حدث.

أم هبة: هبة، انتي يا بت، انتي اللي واخد عقلك.

هبة: نعم يا ماما؟

أم هبة: ماما؟ ماما مين بقى انتي سافرتي وجيتي.

هبة: شوفتي أبيه علاء اتغير إزاي يا ماما.

ام هبة: يادي أبيه علاء اللي واكل عقلك، اعمِلي حسابك من دلوقتي، انتي مابقتيش زي زمان.

هبة تنظر بانتباه: يعني إيه؟

أم هبة: يعني مفيش طلوع فوق إلا ورِجلي على رِجلك، ومفيش قعاد مع أبيه لوحدكوا زي زمان، انتي مابقتيش هبة البت العيلة اللي حيقعّدها على رجله

ويجبلها مصاصة، انتي بقيتي طويلة وشابة، وبقيتي آنسة على وش جواز، يعني تلبسي متداري لما ينزل أو لو طلعنا فوق، ومفيش طلوع أصلًا فوق إلا رجلي على رجلك، أو لو هوّ مش موجود.

هبة: إيه يا ماما اللي بتقوليه ده، دا أبيه هو اللي مربيني، يعني زي أخويا الكبير بالظبط.

أم هبة: اسمعي اللي بقول عليه وقولي حاضر.

تدخل هبة غرفتها وهي متذمّرة من كلام أمها، وتقف أمام المرآة تسترجع كلام أمها بأنها لا تستطيع أن تجلس معه أو تحكي معه إلا بقيود.

وتتجه إلى الدولاب وتقف حائرة أمام ملابسها، وتختار منها أجملهم وتحضره على السرير، وترتدي ملابسها وتفرد شعرها وتخرج من حجرتها.

أم هبة: خير؟! على سِنجِة عشرة ليه كده؟ وراكي معاد؟

هبة: لا، بس احتمال مُنَى تجيلي.

أم هبة: آه مُنى، طيب، هو انتي ماعندكيش دروس النهاردة ولا إيه؟

هبة: عندي بس مش حروح.

أم هبة: ليه إن شاء الله؟

هبة: أصله مش مهم أوي، حقعد أذاكر هنا أحسن.

أم هبة: اااه ماشي، لما نشوف آخرتها يا بتاعة الثانوية العامة، أهو لو مفَلَحْتيش أجوّزك وأرتاح من همك.

هبة: همّي؟! بقى كده يا ست ماما؟ ماشي.

أم هبة: أنا حنزل المحل شوية، اقعدي ذاكري، وزي ما نبّهت عليكي مفيش طلوع فوق من هنا ورايح، لو أم علاء نادت عليكي قوليلي قبل ما تطلعي.

هبة: حاضر.

وتمر الساعات حتى تأتي الساعة ٦ مساء، ويطرق باب شقة هبة، وتفتح لتجد

صديقتها مُنى على الباب.

أهلًا منى... أهلًا هبة.

هبة: تعالي ادخلي، كويس إنك جيتي النهاردة.

منى: انتي ماجتيش الدرس ليه؟

هبة: أصل أبيه علاء اللي حكِيت لك عنه جيه من السفر، وأنا قولت أكيد حينزل يقعد معانا شوية.

منى: أبيه علاااء، آه قولتيلي، تصدقي من كتر كلامك عنه بقى نفسي أشوفه.

هبة: يا بنتي أبيه علاء ده حاجة كده كبيرة أوي عندي، مش عارفة، هو أبويا ولا أخويا ولا....

منى: ولا إيه ولا ايه قولي قولي.

هبة: يا بنتي مش اللي في دماغك.

منى: طبعًا مش اللي في دماغي هو حيعيّل، ده انتي بتقولي أكبر منك ب ١٥ سنة، يعني استحالة أصلًا.

هبة: حيعيّل ليه؟! هو أنا باين عليّا إني عيّلة أوي كدة، ما أنا كبيرة أهو.

وتقف في المرأة تنظر لجسدها بفخر مثل كل بنات جيلها، وتنتبه على طَرْق الباب وتجري مسرعة تفتح، تجد أميرة أخت علاء على الباب.

أميرة: إزيك يا هبوب.

هبة: أهلًا يا أبلة، اتفضلي.

أميرة: ماما هنا؟

هبة: لا هي تحت في المحل، تحبي أنزل أندهّالك؟

أميرة: لا يا حبيبتي، أنا حفُوت عليها وأنا نازلة، أبيهِك علاء كان عايز ينزل يسلّم عليكوا ويديكوا الهدايا اللي جيبهالكوا، وحينزل بعد صلاة العشا، لو أنا مالقِيتش ماما تحت ابقِي بلغيها.

هبة وهي تبتسم: حاااضر.

وتغلق الباب وتطْنَطّط هبة في مكانها وتتمايل فرحًا لرؤيه علاء كما كانت نتنظر طيلة النهار، وتجري على مُنى وتقول لها: يلّا قومي، قومي روّحي يلّا مش فاضْيالك.

منى: بقى كدة؟ طيب أنا مش ماشية بقى إلا لما أشوف أبيه علاء اللي لاحِس مخك ده، وآدي قاعدة.

هبة: انتي حتُقعِديلي؟ قومي نعمل عصير ولا حاجة.

ويذهَبنَ سويًا إلى المطبخ لكي يحضّروا العصير والكيك، وتأخذ هبة جهاز تسجيلها الصغير معها المطبخ وتشغّل أغاني هاني شاكر التي كانت تعشقها، تسمعها باستمرار وتُرفِع من صوت المسجل وتتراقص هي وصديقتها على كلمات «قلبي ماله» التي تقول:

(قلبي ماله.. إيه جراله... إيه غيرله حاله...

كان صعب عليّا أسهر لياليّا... ولقِتني في ثانية بنسَى الدنيا.. ومِلت وقلبي ندَالُه... ومسهر رمشي ومبيسألشي وعذابي بيحلاله) إلى آخر الأغنية.

في الأعلى يجلس علاء مستلقيًا على كنبة الأنتريه، يلفت انتباهه صوت أغنية هاني شاكر، فيقول لأمه التي تجلس أمامه على الكرسي: إيه الصوت ده جاي منين؟

أم علاء: دا أكيد هبة، غاوية هاني شاكر وليل نهار مشغّلاه، مع إن أمها غِلبِت معاها ماتعلّيش الصوت أوي، بس مفيش فايدة، جيل دماغه ناشفة، أكيد أمّها تحت في المحل عشان كده معلّيَاه، حقوم أنادي عليها تطفِيه لو متضايق.

علاء: لا لا مش مستهلة، سبيها براحتها، خليها تعيش سنها، ألا هي بقت في سنة كام دلوقتي؟ دانا اتفاجأت بيها وهي جايّة تسلّم عليا إنها طِوْلِت كده.

أم علاء: بقت في ثانوية عامة السنة دي، ١٧ سنة أهي، أما يا واد ياعلاء البت دي لو كبيرة كام سنة كنت خطبتهالك على طول.

عـلاء: هـه؟! إيـه يـا ماما الـكلام ده؟ دي عيّلـة، وبعديـن مانتـي عارفـه أنـا مابفكّـرش في الجـواااز.

أم عـلاء: إيـه يـا بنـي الـلي بتقولـه ده، ليـه إن شـاء اللـه؟! ناقصـك إيـد ولّا رِجـل ولا لسـة صغـير، يـا بنـي نفـسي أطّمـن عليـك قبـل مـا أمـوت وأشـيل عيالـك، ده إخواتـك البنـات الـلي أصغـر منـك اتجـوّزوا وخلّفـوا وانـت لسـة.

عـلاء: يـاه يـا أم عـلاء، هـو أنـا أكلّمـك في التليفـون تقوليـلي نفـسي أفـرح بيـك، تبعتيـلي جـواب تقوليـلي نفـسي أفـرح بيـك، آجـي مـن السـفر نفـسي أفـرح بيـك، هـو أنـا يعنـي حعنّـس ولا أحمـض لوماتجوّزتـش.

أم عـلاء: هـو انـت دايمًـا كـده تتريّـق عـلى كلامـي؟ طيـب وربنـا أجازتـك دي ورحمـة أبـوك لأكـون مجـوّزاك سـت البنـات.

علاء: طيب طيب ربنا يسـهل، أنا حقوم أريّح نص سـاعة وأصلي العشـا وننزل للناس.

تغلـق أم هبـة المحـل وتصعـد عـلى شـقتها، وتسـمع صـوت المسـجّل عاليًـا، فتتذمـر مـن أفعـال ابنتهـا، وتفتـح البـاب بالمفتـاح وتدخـل تنـادي عـلى هبـة، ولكـن هبـة في المطبـخ مـع صديقتهـا مُنـى لا تسـمعها مـن صـوت المسـجّل والخـلاط.

تدخـل عليهـم أم هبـة وتأخـذ المسـجّل مـن عـلى الرخامـة وتطرحـه أرضًـا؛ مـما يلفـت انتبـاه هبـة وصديقتهـا ويفزعـا مـن عملتهـا.

وتبكي هبة وهي تمسك بتسجيلها الصغير وتقول: ليه كده يا ماما؟!

أم هبـة: عشـان عمـلالي فـرح وصوتـه عـالي وصوتكـوا عـالي، وبنـادي بقـالِي سـاعة مـش سـامعاني، ونبّهـت عليـكي ١٠٠ مـرة ماتعلّهـوش مفيـش فايـدة.

تقف منى في جانب المطبخ مُحرَجة ممّا يحدث.

وتقـول: معلـش يـا طنـط ماتزعليـش، احنـا آسـفين، أنـا حمـشي أنـا بقـى يـا هبـة وأشـوفك بُكـرة في المدرسـة.

وتأخـذ شـنطتها متوجهـة لبـاب الشـقة تفتحـه لـكي تمـشي، تجـد أم عـلاء وابنهـا كادا أن يطرقـا البـاب، وتقـول منـى: أهـلًا اتفضلـوا.

أم علاء: أهلًا يا حبيبتي، ازيّك يا منى؟

منى: أهلا يا طنط.

وتنظر لعلاء في دهشة؛ فوجدته كما كانت تصفه لها هبة كنجوم هليود، وتقول: إزيّك يا أبيه؟ وتخرج مُسرعة.

تسمع أم علاء صوت زعيق أم هبة لابنتها، وتقول: إيه يا أم هبة مالك بتزعقي ليه؟

تخرج هبة وهي تبكي وتقول: عاجبك كده يا طنط؟ كل حاجة زعيق وضرب، وكسَرِتْلي التسجيل بتاعي أهو كمان.

نظر علاء لها ويقول: طيب بتعيّطي ليه؟ البنات الحلوين مايعيّطوش.

هبة: انت كمان يا أبيه بتعاملني على إني لسّة طفلة؟ عن إذنكوا.

وتتركتهم وهي تبكي وتدخل لغرفتها؛ لكي تبدل ملابسها وتصفف شعرها.

يجلس كل من أم هبة وأم علاء وعلاء في الصالون، وتنادي أم هبة على ابنتها: تعالي يا هبة شوفي عمك علاء جايبلك إيه، وبعدين فين الكيكة والعصير اللي واقفة طول النهار في المطبخ بتعمليهم هههههه.

تأتي هبة من غرفتها متجهة إلى المطبخ، ومنه إلى الصالون ومعها العصير والكيك، وتقدم لهم وتأخذ شنطة الهدايا من علاء، وتجد بها برفان وساعة وبعض من الحليّ، وتسعد بهم هبة جدًا.

ويدور بينهم جميعًا حوار....

يسأل علاء هبة...

علاء: ناوية تدخلي كلية إيه؟

هبة: نفسي أبقى مذيعة.

علاء: برافو، يعني كلية إعلام.

هبة: آه، إن شاء الله.

علاء: وعلى كده شاطرة؟

أم هبة: والله يا علاء يا يبني دي مغلّباني خالص، كل دماغها في غيّة الحمام اللي على السطوح والأغاني، واللي طالِعلي جديد بقى قال إيه بتقول إنها بتحب تألف قصص وشعر.

علاء: الله، بجد؟! طيب برافوو.

هبة: والله يا أبيه أنا مش بقصّر في دروسي، والسنة اللي فاتت في تانية جِبْت مجموع كبير، وكمان في التحسين، يعني لما أخلّص تالتة بالتحسين حعدّي ٩٥٪ إن شاء الله.

علاء: إن شاء الله، وابقِي ورّيني بتكتبي إيه، أنا بحب أقرأ كتير، ومادام بتحبّي تكتبي يبقى لازم تقرِي كتير، حبقَى أناولِك شوية كتب للعقاد ونجيب محفوظ حيعجبوكي أوي.

وينتهي الحديث وينصرف علاء وأمه إلى بيتهم.

وتأخذ هبة الهدية بين زراعيها وتدخل على غرفتها.

في الصباح الباكر تستيقظ هبة كعادتها وتصعد للسطوح؛ لكي تُطعِم الحمام.

يشعر علاء، الذي تعوّد على الاستيقاظ باكرًا وهو في سفره، بأنه يوجد صوت أقدام على السلم، يفتح باب الشرّاعة فيرى هبة صاعدة، يدخل حجرته يحضر علبة كارتونية في يده، ويصعد إلى أعلى يجد هبة وسط الحمام وكأنها واحدة منهم، يقف بعيدًا يشاهدها وهي تطعم الحمام وتلعب معه، وبراءة الأطفال في عينها.

تشعر هبة بصوت أقدام قريبة؛ وعندما انتبهت وجدته أمامها.

هبة: إيه ده؟ أبيه؟ صباح الخير، انت صاحي بدري ليه؟

علاء: صباح الخير يا هبهوب، أعمل إيه، السفر عوّدني إني أصحى بدري أتمرن وأنزل شغلي، جيت أدوّر على حاجات التمرين بتاعتي اللي كانت تحت لقيت خالتِك أم علاء رمياهالي هنا في الأوضة دي.

هبة: آه مانا عارفة، وأنا كل فترة بفتح وأشيل من عليهم التراب، هما وكل

كتبك اللي كنت بتحب تقراها، وعلى فِكرة أنا معايا نسخة من المفتاح، وحاطّة مكتب جوّه بدخل أكتب ساعات، وعاملاله مفتاح، أستأذِنك مادام حتتمرن أبقى أطلّع المكتب هنا في أي حتّة.

علاء: لا خالص، ليه؟ خليه؛ أنا كِده كِده حنزّل حاجتي تحت، ولما آجي أسافر تاني حبقَى أطلّعها، آه نسيت، خُدي يا ستي جبتلك وُوكْمَان.

هبة: إيه؟ وُوكْمَان؟! اللي هو إزّاي؟

علاء: بصي يا ستي، ده زي التسجيل بالظبط، بس صغير أوي، بس ماينفَعش حد يسمع معاكي؛ لأن له سمّاعات تتحطّ في الودن، وعلى راحتك بقى من غير ما تضايقي ماما، أنا كنت جايبُه ليّا عشان أسمع وانا بتمرّن، بس مايغلاش عليكي.

هبة: الله يا أبيه، ده حلو أوي، إيه ده انت بتسمع موسيقى زيّنا كده؟!

علاء: هههه زيكوا ازاي؟!

هبة: أصل أنا دايمًا شيفاك كبير وقدوة، ومالَكش في التفاهات وكده يعني.

علاء: تفاهات إيه بس؟ الموسيقى فن جميل مش تفاهات، عامةً أنا بسمع دايمًا لبيت هوفن وجيمس لاست.

هبة: أنا بسمع هاني شاكر، بس جرّب تسمعه حيعجبك، وأنا حبقى أجيبلك كل ألبوماته اللي عندي تسمعها.

وتنتبه هبة على صوت أمها تنادي على السلم، تأخذ هبة من يد علاء الوُوكمان وتقول له: يا خبر! أنا نسيت ماما والمدرسة، عن إذنك يا أبيه، شكرًا على الهدية، وباي باي.

وتجري مسرعة إلى أسفل، فتقابلها أمها على السلم، وتقول لها: إيه؟! ساعة بتأكلِي الحمام؟! اتأخرتي على المدرسة، وإيه اللي في إيدك ده؟!

هبة: ده.... دا وُوكمان.

أم هبة: نعم؟! ويطلع إيه يعني؟ وجبتيه منين؟!

هبة: أبيه علاء ادّهُولي.

أم هبة: أبيه علاء؟ وإيه اللي طلّع أبيه علاء السطوح؟ ولا انتي شوفتيه فين؟! واوعي تكوني خبّطّي عليهم بدري كده.

وتمسك هبة من يدها وتلفّها لها، وهي تُعلِي صوتها بنبرة حادّة.

تسحب هبة يدها وتقول: لا ياماما ماخبّطّش عليه، اتقابلنا بالصدفة على السطوح، أنا بأكّل الحمام وهو كان طالع يجيب حاجة تمرينه من فوق، فهمتي بقى.

وتسحب شنطة مدرستها وتتجه إلى باب الشقة.

أم هبة: يا سلام! صدفة؟! وقال لك إيه وقولتيله إيه؟!

هبة، وهي تعطي ظهرها لأمها وتجلس على كرسي بجوار الباب وتقول: ما قالش يا ماما، ما قالش غير صباح الخير، ولما سألته على اللي في إيده ادّهولي بدل التسجيل اللي انتي كسرتيه، وأي تفاصيل تاني لما آجي حبقى أقولهالك.

وتفتح باب الشقه وتكاد أن تخرج، تسمع أمها تقول...

أم هبة: على ما ترجعي بقى اعملي حسابك مفيش طلوع السطوح، والحمام ده أنا حطيّره، والأوضة اللي بتقعِدي تكتبي فيها مفيش طلوع تاني.

هبة: ما تخافيش أوي كده، هو مش حيتمرّن فوق، هو حينزّل حاجته في شقتهم تاني، سلام.

وتخرج وتغلق الباب وتقف تلتقط أنفاسها وفي يدها الوُوكْمان.

وينتهي اليوم الدراسي، وفي طريق الذهاب إلى البيت تمشي مُنى بجوار هبة ويتحدثن عن علاء، وتقول منى: عندك حق والله يا هبة، إيه الراجل ده؟! قمر شبه الهنود كده، ولا ريحة برفانه.

هبة: آه، بس ده في عالم تاني غير بتاعنا خالص، بيدرّس برّه وعايش حياته، وأكيد له صاحبات أجانب، تصدّقي إنه مابيسمعش ولا كلمة عربي، وكل الأغاني اللي بيحبّها أجنبية.

مُنى: ههه، يا بخت اللي حتتجوّزه.

هبة: شوفتي جابلِي إيه بدل التسجيل اللي اتكسر!

مُنى: بس مامتك بقت صعبة أوي يا هبة، هي بتتعامل معاكي على طول كده؟

هبة: أمي في آخر سنتين اتغيرت خالص، كل أما أكبر يكبر خوفها وتوترها وقلقها، ومابقِتش فهماها، مرة أحسّ إنها بتخاف عليّا من كل الناس.. أبيه علاء.. عم صابر البقال، حتى هيما بتاع الفول، ومرة تانية أحسّ إنها محسّساني بإني مصيبة... قنبلة موقوتة، ونفسها تجوّزني النهاردة قبل بُكرة بحجة الستر، مش فارقة بقى أكمّل تعليمي ما أكمّلش، المهم أتجوّز أي حد وترتاح منّي، تخيّلي كنت بحس وأنا في إعدادي إنها مش عايزاني أدخل ثانوية عامة، وكانت عايزاني أدخل دبلوم عشان أخلّص بسرعة وتجوّزني، بلا جامعة بلا بتاع.

مُنى: ههه، زي أمي ومقولتها المشهورة «مسيرنا للبيت والجواز» ده أنا لولا بابا معايا وبيدافع عني كان زماني قاعدة في البيت من الإعدادية.

هبة: يا بختك، عندك اللي يدافع عنك، أما أنا بقى بحارب في الدنيا دي لوحدي، ومحدّش قادر يفهمني.

ويستمرّا في الحديث وهما في طريقهما للبيت، وعلى أول الشارع يظهر شاب في العقد الثالث من العمر أسمر اللون يرتدي بنطلون جينز وتيشرت، وينظر لهما ويقول: نهارُه أبيض.

هبة تقول لمُنى: يا سااااتر، أما الواد ده دمّه تقيل بشكل.

مني: آه.. عيل طايش فرحان بالعربيات اللي أبوه موقّفها في المعرض وكل يوم مع بتّ شكل.

هبة: انتي عارفاه ولا إيه؟

مني: أيوة، أبويا شاري عربية وموقّفها عندهم في المعرض للإيجار، وساعات بينزل يقعد مع أبوه في المعرض وبيجي يحكِلنا عليه، وحيد أبوه ومتدلّع أوي، وفيه ناس بتقول بيشرب مخدرات، وفيه ناس بتقول ساقط في الجامعة في سنة أولى كام سنة.

هبة: ربنا يهديه.

تودّعها منى على أول الشارع متجهة إلى بيتها، وتستكمل هبة مشوارها وتصل إلى المنزل، ولكن تمر على أمها في المحل.

هبة: سلام عليكوا يا ماما.

أم هبة: أهلًا أهلًا بست البنات.

هبة: ست البنات! دا إيه الكرم دا كله؟!

أم هبة: أمّا أنا بقى كنت في العتبة النهاردة وجِبت شوية قمصان نوم وبضاعه للمحل تجنّن، طلّعتها فوق عشان تختاري منهم.

هبة بتعجب: أختار؟! أختار منهم ليه؟ هو أنا حلبس قمصان نوم ليه؟

أم هبة: ليه؟! انتي نسيتي إنك كبرتي وداخلة على جواز ولازم أجهزّك، أنا بقى كل أمّا هنزل أشتري بضاعة انتي اختاريلك كده كام حاجة حتلاقي جهازك خلِص.

هبة: يا ماما يا حبيبتي، ممكن ترتاحي وتريحيني، أنا فاضلّي شهر واحد على الامتحانات، وعايزة أدخل الجامعة واشتغل مذيعة، يعني الجواز ده بعيييد خالص عن أفكاري حاليًا، ريّحي نفسك بقى وارحميني من السيرة دي.

أم هبة: جامعة ومذيعة! ليه؟ حتتجوّزي عندك ٩٠ سنة؟!

تقوم هبة من على الكرسي وتقول: مفيش فايدة، أنا طالعة أنام، عندي درس الساعة ٥، ماتنسيش تصحّيني الساعة ٤.

وتخرج من المحل مندفعة، تدخل للبيت... تقابل أم علاءز...

أم علاء: صباح الخير، مالك يا بوبة؟

هبة: مفيش يا طنط، صباح النور، بس ماما حتجنّني.

تصعد هبة لأعلى، وتدخل أم علاء لأم هبة في المحل...

أم علاء: صباح الخير يا حبيبتي.

أم هبة: يسعدلي صباحك، تعالي يلّا نفطر سوا.

أم عـلاء: لا ألـف هَنَـا سـبقتِك، مـا انتـي عرفـاني أصـلّي الفجـر وأقعـد أقـرأ القـرآن، وكبـيري السـاعه ٩ أكـون مخلّصـة الشـقة والفطـار وكل حاجـة، وعشـان عـلاء كـمان اتعـوّد في بـلاد بـرّة يصحَـى بـدري، بيصحَـى مـن السـاعة ٧، قوليـلي بقـى.. البـت هبـة كانـت بتجـري ليـه؟

أم هبـة: مغلّبـاني يـا أختـي، كل أمّـا أجيبلهـا سـيرة الجـواز تتنطّـط وتقـول لي أنـا عايـزة أدخـل جامعـة.

أم عـلاء: ياختـي جـواز إيـه البـت لسّـة صغـيرة، إمّـال أنـا أعمـل إيـه وأقـول إيـه في ابنـي الـلي عـدّى التلاتـين ومُضرِب عـن الجـواز.

أم هبة: هو راجع تاني بلاد برّة؟

أم عـلاء: آه، عـلى شـهر ١٠ كـدَه، بـس مـش ألمانيـا المـرّة دي، لا، دا خالـة الحـاج إبراهيـم، ماانتـي عارفـاه، بيشـتغل في الخليـج مقـاول كبـير، جابلـه عقـد عمل بشـهادته، محاسـب يعنـي في شركـة كبـيرة ومرتـب كبـير.

أم هبـة: طيـب مـا تسـأليه يـا اختـي ليكـون متجـوّز ولّا يعـرف خوجايـة واكلـة عقلـه ومكسـوف يقـول لـك.

أم عـلاء: هييـح، تفتكـري؟! بـس لأ، عـلاء مابيخبّيـش عنـي حاجـة، لـو فيـه حاجـة كان قـال لي، هـو بـس سـافر بعـد جامعتـه عـلى طـول، والتمريـن والجـودو الـلي بيلعبـه ده واخـد تفكـيره، وماشـافش بنـات هنـا، ماتيجِـي ندوّرلـه عـلى عروسـة.

أم هبـة: ومالـه يـا اختـي نـدوّر، ده أنـا بيجيـلي هنـا أشـكال وألـوان يشـتروا منـي جهازهـم، شـوفيلي انتـي بـس مواصفـات إيـه الـلي بيحبّهـا وعنيّـا لـه.

ويستكملا حديثهما.

ويمـر الوقـت والأيـام، وتـأتي بدايـة موسـم الامتحانـات، ويتبقـى ١٠ أيـام عـلى امتحانـات الثانويـة العامـة.

ويـأتي لهبـة كل يـوم عـلاء وأخواتـه بالتنـاوب؛ للمراجعـة معهـا، وفي يـوم كان عـلاء موجـود لمراجعـة المـواد الحسـابية بحكـم دراسـته تجـارة.

ويجلس علاء على ترابيزة السُّفرة وبجواره هبة ويشرح لها مواد حسابية، ومنها إلى مادة الإنجليزي، بينما تجلس أم هبة أمامهم في الأنتريه.

تقول هبة: ثواني حدخل أجيب كتاب الإنجليزي من جوّه وآجي.

وتذهب هبة لحجرتها.

تقول أم هبة: معلش يا علاء يا حبيبي تاعْبِينَك معانا انت واخواتك.

علاء: لا يا أم هبة، دي هبة دي أختنا الصغيرة، ومنال وأميرة بيحبوها، وماتِنسيش إنها مولودة على إيدي، وانا متفّق مع منال كل يوم تعدّي عليها تراجعلها العربي، ما انتي عارفة هي مُدرّسة، وأميرة كمان تراجعلها باقي المواد.

أم هبة: ربنا يكرمكوا يابني وأفرح بيك وبعيالك ياارب، أمّا أقوم أعملّكوا ساندوِتشين وكوبايتين شاي زمانكوا جُعتوا.

وتدخل أم هبة المطبخ، وتأتي هبة إلى علاء ومعها كتب الإنجليزي وبداخلها شريط كاسِت، وتضعه هبة أمام علاء وتقول له: خد ده يا أبيه بسرعة قبل ما ماما تيجي.

علاء: إيه ده؟

هبة وهي تضحك: هششش، ماتودِّناش في داهية، دا شريط لهاني شاكر جِبته وسمعته وعجبني، بس شيله قبل ما ماما تيجي، لو شافِته حتخرب بيتي، تخيل دي مخبّية منّي كل الشرايط، حتى الوُوكمان اللي انت جايبهولي لحد ما أخلص امتحانات.

علاء وهو مبتسم يأخذ الشريط ويضعه في جيبه، ويقول: بطّلي يا بنت شقاوة، انتي في إيه ولّا في إيه، والله أمك معاها حق، داخلة تجيبي الشريط ولّا الكتاب، يلّا ركّزي، شكلك لا حتدخلي إعلام ولا حتى معهد.

هبة: عيب عليك يا أبيه، دا انا تربيتك.

علاء: هههههه ماهي دي المصيبة.

ويستكملا ما يفعلانه.

وتنتهي الامتحانات ويأتي يوم ظهور النتيجة، وتقوم هبة مبكرًا وتصعد للحمَام

وتنـزل تحـضّر نفسـها؛ لـكي تذهـب إلى المدرسـة وتـأتي بالنتيجة.

وتخرج هبة تقابل منى ويذهبا سويًا للمدرسة.

وفي طريـق عودتهـم وهـم فرحـين لنجاحهـم يجلـس ذلـك الشـاب عـلى بـاب معرضـه ويقـول: الناجـح يرفـع إيـده هـا، هـا يـا كتاكيـت عملتـوا إيـه؟

تنظر هبة ومُنى في الأرض ولا يبالوا بما يقول.

وتتجـه كل منهـم إلى بيتهـا، وتدخـل هبـة إلى المنـزل وتصعد السـلم مسرعـة، وتطرق البـاب بطرقـات سريعـة، تفتـح أم هبـة البـاب وكانـت أم عـلاء معهـا بالداخـل، وتقـول هبـة: نجحـت يـا ماما، نجحـت يـا طنـط نجججحـت.

تزغرط أم علاء وأم هبة.

يجلـس عـلاء في شرفـة غرفتـه في أعـلى، يسـمع صـوت زغاريـد متكـرر في المنـزل والشـارع، ينتبـه أن اليـوم إعـلان النتيجـة، يقـف متوجهًـا لبـاب شـقتهم منـه إلى شـقه هبـة، وينـزل مسرعًـا يجـد البـاب مفتوحًـا، يدخـل ويقـول: هـا عملتـي إيـه؟ طمنينـي.

هبة: أنا نجِحت يا أبيه... نجحت.

علاء: مش مهم النجاح، أهم حاجة المجموع.

هبة: ٩٧ في ١٠٠.

عـلاء: واللـه برافـو عليـكي، هـي دي هبـة بنّـوتّي، اسـتني بقـى، دا أنـا مجهزلـك هديـة نجاحـك مـن بـدري.

ويصعـد إلى أعـلى وينـزل مسرعًـا معـه كرتونـة بهـا جهـاز تسـجيل كبـير وجديـد، ويقـول: يـلّا يـا سـتي، هديـة نجاحـك بقـى.

هبـة تأخـذ الكرتونـة مـن يـده وتـدور بهـا مـن شـدة فرحهـا وتضعهـا عـلى السـفرة، وتقـول: تعـالى ورّيني بيشـتغل إزاي.

وفي تلـك اللحظـة تـأتي منـال وأمـيرة أخـوات عـلاء لـكي يطمئنّـوا عـلى نتيجـة هبـة معهـم أطفالهـم، ويجلسـوا جميعًـا في فـرح وسـعادة لهبـة.

هبة وعلاء واقفين بجوار السفرة يجربا التسجيل.

ينظر علاء على الجميع يجدهم مشغولين بالحديث مع بعضهم البعض، يخرج من جيبه شريط كاست ويقول: خدي يا ستي، دا آخر شريط نزل لهاني شاكر.

تأخذه هبة وتقول: الله... دا أنا كنت لسة حشتريه.

وينتهي اليوم من مباركات، وتأتي خالة هبة أم إبراهيم ومعها أولادها؛ إبراهيم الذي يكبر هبة بعامين، وأخته رشا التي تصغر هبة بعامين ، ويجلسوا جميعًا يتناولون وجبة العشاء.

أم إبراهيم: مبروك يا هبة، عقبال ما نفرح بيكي قريّب يااارب يا عروسة ابني.

هبة تنظر لأمها ثم لأختها، وتقول أم هبة: إيه يا حاجة الكلام ده، كده كسفتي البت.

ينظر إبراهيم لهبة وهو يبتسم ويقول بلهجة ريفية: إمال احنا جايّين ليه يا خالتي، ما عشان كده... نخطبها، هي مش خلصت تعليم خلاص؟

تنظر هبة لهم جميعًا، وتضع من يدها لقمة الخبز وتقول: عن إذنكوا.. أنا كَلت، تصبحوا على خير.

أم إبراهيم: هههه شوفوا يا ولاد البت اتكسفت إزاي هههههه.

أم هبة: إيه يا جماعة الكلام ده؟ وهو أنا آخر من يعلم.

وقاموا من على السُّفرة.

تقول أم إبراهيم: قومي يا رشا لمّي الأكل واعملي لنا كوبايتين شاي ليا أنا وخالتك وأخوكي وهاتيهم لنا في الأنتريه.

ويذهبوا ليجلسوا ويتحدثوا.

وفي الصباح تستيقظ هبة، تجد رشا بنت خالتها تنام بجوارها، تخرج من حجرتها تجد إبراهيم ممددًا على الأرض في الأنتريه، تدخل الحمام دون حدوث صوت؛ كي لا يستيقظ أحد.

تخرج وتنظر على غرفة أمها، تجدها مستغرقة في النوم هي وخالتها بجوارها،

تدخل على شرفة غرفتها وتجلس فيها، وتضع في أذنيها سمّاعات الوُوكمان.

وبعد دقائق تنتبه على ابن خالتها يدخل عليها الشرفة، تخلع السماعة من أذنيها وتقول: صباح الخير يا إبراهيم.

إبراهيم: صباح الخير يا بنت خالتي.

هبة: اقعد.

إبراهيم: تشكري.

ويجلس إبراهيم ويمسك بيده السيجارة، وينظر لهبة ويصمت.

تقول هبة: تحب أعمل تفطر أو شاي على ما يصحوا.

وتقف متجهة إلى الداخل، يمسك يدها إبراهيم ويقول: لا يابنت خالتي ماتتعبيش نفسك، اقعدي عايزك في كلمتين.

تسحب هبة يدها من يده وتجلس وتقول: خير؟

إبراهيم: انتي امبارح لما سمعتي سيرة الجواز اتكرهبتي يعني وقومتي، ممكن أعرف ده رفض ولا كسوف؟

هبة: بص يا إبراهيم... احنا طول عمرنا زي الاخوات، نتقابل في الأعياد.. المناسبات... نلعب نهزر، لكن موضوع الجواز ده بعيد عن خيالي خالص، ولو فكّرت فيه مش حتبقى انت يا إبراهيم.

إبراهيم: يعني انتي رافضة المبدأ ولا رفضاني أنا بالذات؟

هبة: الاتنين.

ينظر لها إبراهيم في تعجب.

تقول له: أولًا أنا مابفكّرش في الجواز دلوقتي، أنا نِفسي أدخل الجامعة وأكمّل تعليمي وأشتغل مذيعة، وانت يا إبراهيم معاك دبلوم، أنا خَدت على عيشة المدينة، انت عايش في الأرياف، مش بقلّل منك يا ابن خالتي، بس كل واحد اتربّى بأسلوبه وطريقته وله حلمه، انت حترضى بعد ما نتجوز أكمّل، أو حتى

أشـتغل، أكيـد لأ... يبقـى حنختلـف كتـير، وممكـن نتجـوز وجوازنـا يفشـل ونخـسر بعـض، يبقـى ليـه بقـى؟ خليـك في الدنيـا أخويـا وجنبـي وابْعِـد موضـوع الجـواز ده خالـص مـن حياتنـا، ممكـن؟

يقف إبراهيم ويقول: ماشي يا بنت خالتي، براحتك.

وهـو غاضـب مـن رد هبـة، ولكـن في هـذه اللحظـة يـرى هبـة تقـف وعينهـا عـلى عـلاء جارهـم في الأسـفل وهـو يمسـح سـيارته مسـتعدًا للخـروج، وهـي شـاردة لامعـة العـين، ينـادي عليهـا ولم تجِبـه، يخبِـط عـلى كتفهـا: إيييـه... روحتـي فـين؟

هبة: إيه؟! آه، أنا معاك يا إبراهيم أهو، حروح فين!

إبراهيم: لا... انتي معايا فين بقى؟ دا انتي طلعتي بلاد برّة وجيتي.

وينظـر إلى الأسـفل وإليهـا ويقـول: عامـةً أنـا فهمـت كل حاجـة يابنـت خالتـي، وربنـا يوفقـك.

ويتجـه إلى الداخـل، يمـر بالسريـر الـذي تنـام عليـه أختـه ينـادي: يـلّا بينـا يـا رشـا قومـي، اصحـي خلينـا نرجـع في أول قطـر.

تدخـل هبـة وراءه وهـي متذمـرة مـن أفعالـه وكلامـه، وتقـول لـه: وطِّـي صوتـك ماتصحيهمـش، سـيبهم نايمـين.

إبراهيـم يقـف في صالـة البيـت وينـادي: يـا امّـا.. يـا رشـا، يـلا يـا اخوانـا خلّونـا نرجـع نشـوف مصالحنـا وأكل عيشـنا.

يستيقظ البيت كله على صوته.

وتقـول أمـه: إيـه يـا ضنايـا مسـتعجل ليـه؟! احنـا لسّـة عملنـا حاجـة ولّا اتكلمنـا حتـى؟ وكويـس هبـة صاحيـة أهـي عشـان ناخـد رأيهـا.

إبراهيـم: مالـوش لازمـة الـكلام ده يـا امّـا، يـلّا خلّينـا نلحـج أول قطـر نـروّح، أنـا سـألت بنـت خالتـي وعرِفـت رأيهـا خـلاص، وربنـا يوفّقهـا في حياتهـا ويرزقهـا بابـن الحـلال الـلي يلفّفهـا بـلاد بـرّة؛ لأن بـلاد جـوّه مـش قَـدّ المقـام.

ويرتـدي عباءتـه وحـذاءه، وتجهـز أمـه حاجتهـا وتنـزل معهـا ابنتهـا متجهـين إلى محطـة القطـار، وتغلـق هبـة وراءهـم بـاب الشـقة في صمـت ودهشـة مـن سرعـة ذهابهـم، وتقـول أم هبـة: هـو حصـل إيـه؟! انتـي قولتيلـه إيـه؟

هبـة: واللـه يـا ماما مـا قولـت حاجـة، هـو سـألني انتـي رفضـاني ولا رافضـة الجـواز خالـص، قولتلـه الاتنـين؛ زعـل ومشي.

أم هبة: ليه كده يا بنتي؟ دا ابن خالتك غلبان وطيب، وعنده ارض وزرع وبيت ملك.

هبـة: ماما، لـو سـمحتي انتـي صحيـح حتمـوتي وتجوّزينـي ومسـتعجلة مـش عارفـة ليـه، لكـن مـش كـده... مـش كـده، مـش إبراهيـم يـا ماما، أقـول لـك إعـلام ومذيعـة وجامعـة القاهـرة إن شـاء اللـه تقوليـلي جلبيـة وشبشـب والبلـد، لا كـده كتيييـر.

أم هبة: مالها البلد يا بت؟ ما بلد أمك.

هبة: يا ستي مملهاش، بس مش تُوبي مش دماغي، ارحميني بقى.

أم هبة: خليكي كده ارفضي عريس ورا عريس لحد ما تعنّسي جنبي.

هبـة: هههههههههـه عريـس ورا عريـس عـلى أسـاس إنهـم مترصّصـين عـلى البـاب، دا أول واحـد يخبّـط علينـا بنيـة الجـواز أصـلًا، وآخـر واحـد بـإذن اللـه.

تخلـع أم هبـة فـردة مـن شبشـها التـي ترتديـه في قدمهـا وتـضرب هبـة بـه، وتقـول: آخـر واحـد يـا جزمـة، امـشي غـورِي مـن وشي، مـش كفايـة خالتـك الـلي نزلِـت زعلانـة مـن غـير لقمـة وحـتروح البلـد تفضحنـي وتعملهـا زعلـة وقطوعـة.

هبـة: لا ولا يهمـك، حـنروح عـلى فـرح إبراهيـم قريـب إن شـاء اللـه ونبقـى نباركلهـم وصالحيهـم، أنـا داخلـة أكمّـل نومـي.

وتبـدأ هبـة تنشـغل في سـحب ورق التنسـيق واختيـار الجامعـة المناسـبة، وهـي إعـلام جامعـة القاهـرة.

وفي يوم كانت أميرة أخت علاء عند هبة في شقتها...

أميرة: عايزين بُكرة نروح نحطّ الدوسيه يا هبوب في التنسيق، وربنا يكتبهالك يارب.

هبـة: يـارب يـا أبلـه، أنـا كتبـت إعـلام القاهـرة رغبـة أولى، وعـين شـمس رغبـة تانيـة، وإن شـاء اللـه أقبـل في القاهـرة، دا حلـم حيـاتي.

أمـيرة: إن شـاء اللـه يـا حبيبتـي، أنـا حقـوم أمـشي بقـى أنـا، والصبـح السـاعة ٩ حفـوت عليـكي، أبيـه عـلاء حيكـون معانـا، حـيروح يخلّـص ورق سـفرُه، وأنـا حطلـع مـن الشـغل سـاعة بـدري ونـرُوح سـوَا التنسـيق.

هبة: ماشي يا أبله، حستناكي من بدري.

أمـيرة: يـلّا سـلام، سـلام يـا أم هبـة، وإن شـاء اللـه لـو هبـة قِبلِـت في الجامعـة الـلي نفسـها فيهـا ليهـا عنـدي طقـم خـروج يجنّـن للجامعـة هديـة.

هبة: ربنا يخليكي ليّا يا أحلى أبله في الدنيا.

ويـأتي ثـاني يـوم، وتسـتيقظ هبـة مـن نومهـا وتحـضّر نفسـها ليومهـا الـذي يبـدأ بـكل مـا تتمنـاه... مـن تقديـم ورق الجامعـة التـي تحلـم بهـا، ومـن مقابلتهـا بعـلاء بعيـدًا عـن البيـت والأسرة.

وتذهب لحجرة أمّها وتصبّح عليها، وتقول لها: ادعيلي يا ست الكل.

وتسـمع طـرق البـاب وصـوت عـلاء يقـول: يـلّا يـا هبـة، أنـا حطلّـع العربيـة مـن الجـراج واسـتناكي، وأمـيرة وصلـت تحـت.

هبة: حاضر يا أبيه، أنا نازلة أهو، يلّا يا ماما سلام.

وتنـزل هبـة مسرعـة وراء عـلاء، وتركـب في السـيارة مـن الخلـف، وتركـب أمـيرة بجـوار أخيهـا ويذهبـوا جميعًـا لمـكان عمـل أمـيرة كمهندسـة في إحـدى القطاعـات الحكوميـة.

وتقـول: أنـا حنـزل يـا أبيـه أعمِـل إذن أو أجـازة الـلي أعـرف أعملـه، وحجيلكـوا عـلى طـول، كـده كـده الجـوازات مـش بتفتـح قبـل ٩، والتنسـيق قاعـد ل ٤، وأنـا مـش حتأخـر. وتذهـب أمـيرة لمـكان عملهـا.

وينظر علاء يمينًا ويسارًا يرى مقهى على الجانب الآخر، وعربة فول بجوارها.

فيقول: كَلتِي على عربية فول قبل كده؟

هبة: لا.

علاء: طيب تعالي نضرب سندوتشين فول على ما أميرة تنزل.

هبة: طيب نستنّى أبله تفطر معانا.

علاء: لا، أميرة تاكل فول؟! وكمان من الشارع؟! إمال الرجيم والعيش التوست والشاي اللي من غير سكر مين اللي ياكلهم، يلّا يا بنتي حتنزلي ولا لأ؟ هاه؟ أنا حركن العربية كده وأنزل أهو.

هبة: استنّى حنزل معاك.

وتنزل هبة وبجوارها علاء، وتعبر الطريق وعينها تلمع فرحًا، وكان لها أجنحة تأخذها بأحلامها من الأرض إلى السماء.

وتقف على عربة الفول وحمرة الخجل على وجهها، يقول علاء: انتي مكسوفة؟! لا مش عايز كسوف، لو همّك الناس عادي، انتي حُرة مادام ما بنعملش حاجة غلط، كلي.. كُلِي، وكُلِي بصل كمان.

هبة: بصل هههه، لا مش قوي كده هههه.

وتمر الدقائق وهما يأكلان ويضحكان؛ فهي تجربة جديدة ومثيرة بالنسبة لهبة.

وبعد أن تناولا الفول يقول علاء: تعالِي بقى نقعد نشرب لنا كوبيتين شاي على القهوة المعفنه دي على ما أبلتك تنزل.

هبة: هههههههه معفّنة؟! لا شكرًا، اشرب انت.

علاء: لا ازاي، دا بيعملوا شاي بالنشارة عجب.

ويجلسا علي تربيزة في جانب القهوة بعيدًا عن الناس، ويصمت علاء قليلًا.

وتقول هبة: انت شوفت بابا يا أبيه قبل كده؟

علاء: يااااه! إيه اللي فكرك بيه؟!

هبة: تفتكر أنا بنساه أصلًا.

علاء: انتي ليه مش بتحاولي تكلميه أو توصليله؟

هبـة: تفتكـر أنـا ماحاولتـش، حاولـت كتـير ومعرفتـش أوصـل لحاجـة، عنوانـه ومعايـا، وبعتلـه جوابـات كتـير وهـو مـاردّش.

علاء: ما يمكن ما استلمهمش.

هبة: كانوا رجعوا، لكن هو أكيد استلمهم، أو حد بيستلمهم عنه.

علاء: إن شاء الله عن قريب يجي ويرجع.

هبة دموعها تنزل على خدّيها وتقول: تفتكر؟

عـلاء يمـد يده يمسـح لهـا دموعها، ويقـول: ليه العياط بقـى؟! هو البصل أثّـر ولا إيه؟

تبتسـم هبـة وتمسـك بمنديلهـا وتمسـح دموعهـا، ويسـتمر عـلاء في الحديـث معهـا في أشـياء مضحكـة وبعـض المغامـرات التـي مـرّت عليـه في السـفر كي يخرجهـا مـن حزنهـا عـلى فـراق أبيهـا.

ينظـر عـلى الجانـب الآخـر يجـد أمـيرة ظهـرَت بجـوار السـيارة تلتفـت يمينًـا وشـمالًا باحثـة عنهـما، فيقـول عـلاء: يـلّا يـا هبـة أمـيرة جـات.

ويقفـا ويحاسـب عـلاء القهوجـي، ويتجهـا إلى السـيارة، ويكتمـل يومهـما وينجـزوا مـا كانـوا ذاهبـين لـه.

وأيام وتظهر نتيجة التنسيق، وتُقبَل هبة في جامعة القاهرة كلية إعلام.

وتحـضّر حاجتهـا وتشـتري لهـا أمـيرة ملابـس الجامعـة الجديـدة، وفي أول يـوم تصعـد هبـة إلى السـطوح كعادتهـا، فتجـد عـلاء في انتظارهـا ويجلـس في حجـرة الحـمَام ويضـع لهـم الطعـام بيـده.

تندهـش هبـة وتبتسـم لمـا تـراه، وتطـرق عـلى بـاب غرفـة الحـمام وتقـول: بتعمـل إيـه هنـا؟!

عـلاء: أهـلًا بالآنسـة الـلي رايحـة الجامعـة، وإيـه الشـياكة دي؟ لا لا مـا أقـدرش عـلى كـده، وبعديـن خـلّي بالـك دي جامعـة مـش مدرسـة، يعنـي حتلاقـي خدّامـين اللطافـة كتـير وعيـال مسبسـبة شـعرها وملزّقـاه، نـروح نحـضر محاضراتنـا ونيجـي عـلى طـول، مـش عايـز مياصـة وتهريـج مـع حـد.

هبة تنظر له نظرة حب، وتقول: دي غِيرة بقى.

عـلاء يقـف مـن مكانـه مسـتغرب الكلمـة، ويقـول: غِـيرة! غـيرة 'يـه يـا بنتـي، انتـي زي أختـي وأنـا بنصحـك.

هبـة: يـووه.. انـت مازهقتـش؟ زي أختـي... زي أختـي، أدِيـك بتقـول زي أختـك، يعنـي مـش أختـك.

عـلاء يخـرج مـن بـاب غرفـة الحـمام متجهًـا إلى سـور السـطوح، ويسـند يـده عليـه ويعطـي لهبـة ظهـره خائفًـا مـن مواجهتهـا مسـتنكرًا مـا يشـعر بـه تجاههـا.

وتقـف هبـة بجـواره، وتقـول لـه: حتفضـل تكابـر مشـاعرك وتـداري لمعـة عينـك لحـد امتـى؟ أرجـوك اتكلـم معايـا، كدّبنـي طيـب، الـلي حاسّـة بيـه مـن ناحيتـك مـن زمـان مـن وأنـا لسّـة في اللّفـة كتـير وكبـير، ومتأكـدة منـه ١٠٠ في ١٠٠، لكـن انـت مـرّة أحـسّ إنـك بتحبّنـي بجـد وبتغِـير عليّـا، ومـرّة بتحبنـي زي أختـك فعـلًا، ومـرة تانيـة مـش طايقنـي ولا طايـق حتـى تسـلّم عليّـا.

وتنزل دموع هبة مع كلامها المحبوس في صدرها لمَا تشعر به في هذه اللحظة.

وتسـتكمل وتقـول: قـول لي أنـا أبقـى إيـه بالنسـبة لـك؟ بجـد أختـك ولا بنتـك ولا حبيبتـك؟! قـول لي سـيبي الجامعـة الـلي بتحلمـي بيهـا، وتعـالِي نتجـوز واخـدِك وأطـير وأنـا حبقـى مـن إيـدك دي لإيـدك دي.

وتمـد يدهـا تمسـك بيـده، يسـحب عـلاء يـده بسرعـة، ويقـول بصـوت حـاد: مـش حينفـع الـلي حاسِـس بيـه ده، مـش حينفـع اللي بتفكـري فيه ده، مـش حينفع أنـا أبيه... أبيـه الـلي شِـيلتك عـلى درعـاتي وانتـي لسّـة في اللّفـة، كنـت بخـدِك عـلى رجـلِي وألاعِـبك وأجيبلـك مصاصـة، فوقـي واعـرفي حـدودك وفوقـي مـن الوهـم ومرحلـة المراهقـة دي، انتـي بتحبينـي أو حاسّـة بـده؛ لأن أبوكي مـش في حياتك، يعني معتبراني زيّـه أو في مقامه.

هبـة تقطـع عليـه الحديـث: فـوق انـتَ، أيـوة فـوق انـت، إوعـى تكـون مفكّـرني هبلـة وصغـيّرة مابحسـش بلمعـة عينـك لمـا تشـوفني، ولا بسـمع دقـات قلبـك لمـا نكـون في مـكان واحـد، ولا بحـسّ برعشـة إيـدك لمـا تسـلّم عليّـا أو تطبطَـب عـلى

كتفي، إوعى تفتكر إني مصدقة، ولا انت تصدق نفسك بإني في عينك لسّة هبة الطفلة أم بامبرز ومصّاصة، بس على الأقل أنا مواجهة نفسي وعارفة كويس أنا عايزة إيه، لكن انت بتغالط نفسك عشان الشكل الاجتماعي ومظهرك قُدّام الناس اللي حيقولوا مرتبط بعيّلة من دور إخواته الصغيرين، للأسف.. رغم إنك سافرت وعِشت برّة بس لسّة دماغك مرهونة بفِكْر المجتمع العقيم.

علاء: يا هبة افهميني... اللي احنا فيه ده وهم، وهم ولازم نفوق منه، أنا ما أقدرش أواجه أمي وأمك والمجتمع وأضرب بالناس دي كلها عرض الحائط وأقول لهم أنا بحب عيّلة صغيّرة من دور عيالي وحرتبط بيها، ما أقدرش.

هبة: احكم على نفسك بس بإنه وهم؛ لأن اللي جوايا مش وهم، اللي جوايا حب... حب صادق، وزي ما زرعته جوايا حعرف كويس أشيله من قلبي، ومن اللحظة دي انت أبيه علاء جارنا وبس.

وتلتفت هبة ناحية السلم في طريقها وهي تبكي، وعند مدخل السلم تجد أمها واقفة تسمع حوارهما، وتخبَط فيها دون شعور وتتركها وتنزل إلى الأسفل.

وتدخل أم هبة إلى علاء الذي يقف أمام سور السطوح شاردًا لما قالته هبة، وينتبه علي يد تلمسه وتربِت عليه من ظهره.

ويقول: أم هبة... أهلًا، أنا... أنا...

أم هبة: أنا عارفة، وسمعت الحوار اللي بينكم.

علاء: صدّقيني مفيش حاجة، انتي عارفة هبة متعلّقة بيّا ازاي وهي في سن خطر، اتوهَمِت للحظة إنها ممكن تكون بتحبني، بس أنا فوّقتها؛ لأنه ماينفعش.

أم هبة: صدقني يا بني عارفة وسامعة، بس انت مافوّقتهاش هي، انت فوّقت نفسك.. واجهت نفسك بالحقيقة اللي بتحاول من يوم مارجعت تداريها، فرق السن بينكوا كبير، وانت خايف من مواجهة الناس، صح؟ أنا حسألك سؤال واحد، عندك استعداد تخطب هبة؟

علاء: لا... أنا عايز واحدة عاقلة.. كاملة.. ناضجة.. قريّبة من سني في التفكير،

صدقيني كل ده وهم، ومفيش له أساس من الصحة.

أم هبة: يبقى تبعد يا بني، تتجوز ما تتجوّزش انت حر في حياتك، بس تبعد عن حياة بنتي اللي طِلِعْت بيها من الدنيا، طول ما انت قُدّامها كده لا حتشوف حد ولا حتقبل بحد، وانت مايرضكش كده، أنا أمنية حياتي أطّمن عليها وأسترها قبل ما أموت، واحنا طول عمرنا جيران وأهل، وأمك حبيبتي واخواتك بناتي، وانت ابني اللي ماجبتِهوش، وطول عمرك واقف معانا أخ وابن وسند، اتجوّز يا بني وشُق طريقك وسيبها تشق طريقها.

وتتركه وتتجه إلى الأسفل لكي تطمئنّ على ابنتها، تجدها تقف أمام المرآة بكل صلابة وتجهّز نفسها للجامعة؛ فهو أول يوم.

تقف أمها وتقول: أنا عارفة إنك....

وقبل أن تستكمل حديثها تقاطعها هبة وتقول: اعتبري نفسك ماسمعتيش حاجة، ولا كأن حاجة حصلت، ولو سمحتي مش عايزة أتكلّم في الموضوع ده خالص، انا من اللحظة دي جامعتي ودراستي ومستقبلي وبس.

وتخرج هبة من باب شقتها وتغلق الباب وراءها، وتنزل على السلم، في نفس الوقت ينزل علاء من على السطوح، تسمع هبة خطوات قدمه ويسمع علاء خطوات قدمها، ينظر كل منهما في اتجاه الثاني، ولكن لأول مرة النظرات تصبح نظرات مسروقة خوفًا من أن يرى أحدهما الآخر.

يدخل علاء إلى غرفته منها إلى شرفة الغرفة، وينظر إلى هبة وهي متجهة للجامعة وكأنه يودعها بعينه، وكأنها آخر مرة يراها فيها، ويلفت انتباهه أن هبة تقف وصوتها يعلو من بعيد.

ينزل مسرعًا متجههًا إليها، يجدها تقف أمام معرض السيارات الذي يقع في أول الشارع، ويقف على بابه ذلك الشاب ويقول: هو حد كلمك؟!

يقف أمامه علاء ويقول: مالك ومالها؟

وينادي على هبة ويقول: عمل لك إيه؟

تقف هبة أمامه وتقول: بقاله فترة في الراحة والجاية يعاكس، والنهاردة اتجرأ ووقف قُدامي بيوقفني.

علاء: طيب يلّا شوفي انتي رايحة فين.. يلّا.

ويضع يده على رأس ذلك الشاب من الخلف ويجذبه إلى الأمام في أكثر من حركة متتالية، وبصوت عالٍ: لو شوفت عينك اترفعت عليها تاني حزعلّك.

يرد أشرف ذلك الشاب: وانت مالك بقى، من بقيت عليتها، دا انت حيالّا جارهم زيك زيّي.

يسمع الجيران صوتهم العالي، ويتدخل رجال الشارع ناهرين أشرف متأسفين لعلاء، وينهوا الخلاف، وينصرف كل منهم لمكانه.

ويدخل علاء شقته يجد أمه مستيقظة وفي انتظاره، وتقول له: كنت فين يا علاء؟ وإيه الزعيق اللي برّه ده؟ هو انت اللي كنت بتتخانق؟!

علاء: لا يا ماما مابتخانقش ولا حاجة، الواد اللي اسمه أشرف أبو الخير ده كان بيغلّس على هبة وهي نازلة الجامعة، ووقف قُدمها اعترض طريقها، فنزلت زعقتله.

أم علاء: يا لهوي! طيب الحمد لله إنها عدّت على خير، أمّا أنزل لأم هبة اشرب معاها الشاي وأطّمن عليهم.

علاء: لا بلاش.

أمه: لا ليه؟ حصل حاجة؟!

علاء: آه.. اقعدي أحكيلك.

وتجلس وهي قلقه ويقُصّ عليها ابنها ما حدث، وتقف منفزعة وتقول: إخص عليك يا علاء، كده يا ابني، دا أنا بقالي ٢٢ سنة جيران مازعلناش من بعض أنا وأم هبة، حتيجي انت على آخر الزمن وتزعلنا؟!

علاء: أزعلكوا ليه بس يا ماما؟ دا سوء تفاهم وخلِص خلاص، وماحصلش حاجة.

في هـذه اللحظـة يطـرق البـاب، وتقـول أم عـلاء: دول أكيـد إخواتـك جاينـلي زي مـا اتفقـوا معايـا امبـارح، كويـس إنهـم جُـم عشـان يشـاركونا الـكلام.

وتذهـب لتفتـح لهـم البـاب، وتقـول لهـم دون ترحيـب: تعالـوا.. تعالـوا اسـمعوا مـن أخوكـم الـلي حصـل.

يقـول عـلاء: خـلاص يـا مامـا مفيـش داعـي، قولـت لـك سـوء تفاهـم وخلـص، وبعديـن أنـا خـلاص حـروح أسـتلم باسـبوري وورقـي النهـاردة، يعنـي في خـلال شـهر بالكتـير حكـون مسـافر.

ويدخـل لحجرتـه، وقبـل أن يغلـق البـاب يقـول وهـو ينظـر لأمـه: كلّمـي سـلوى زميلـة منـال العروسـة الـلي كلمتـوني عنهـا امبـارح وخـدوا منهـا ميعـاد يـلّا عشـان أخلّـص كل الإجـراءات قبـل مـا أسـافر.

تنظر أم علاء وأخوته لبعضهم البعض.

وتقول: معقووووول؟!

تقول منال: هو فيه إيه؟! انتي فاهمة حاجة يا أميرة؟

تقول أميرة وهي تنظر في دهشة: والله ما فاهمة حاجة.

تقول أم علاء: هو ده وقته منك ليها؟ يلا خدي لنا معاد من العروسة بسرعة.

تجلس منال وأمها بجوار التليفون ويقوموا بالاتصال بأهل العروسة.

بينما تذهب أميرة إلى علاء وتقول له: هو فيه إيه يا أبيه؟

علاء: اقعدي يا أميرة.

ويحكي لها ما حدث.

وتقـول أمـيرة: والـلي انـت بتعملـه ده حـل؟ صحيح أنـا مش برجّـح إنك تتجـوّز هبة، بـس برضـه مـش مـع إنـك تتجـوّز سـلوى وانـت مابتحبّهـاش ولا تعرفهـا، وفي أقـل مـن شـهر؟! المـدة الـلي انـت قاعدهـا لازم تكـون كتبـت كتـاب وجهّـزت حالـك عشـان تعمل لهـا ورقهـا، مـش انـت يـا أبيـه الـلي تتجـوّز جـواز صالونـات عشـان تهـرب مـن مشـكلة.

وينقطع حديثهما بعد سماع صوت زغاريد أمه وأخته منال.

عـلاء: خـلاص يـا أمـيرة، انتـي مـش شـايفة فرحـة أمـك عشـان حتجـوّز، ومـادام معرفـش ولا واحـدة مـن الـلي بيتعرضـوا عليّـا يبقـى سـلوى زي هالـة زي منـى، كلـه واحـد، يـلّا قومـي نشـوف أمـك عملـت إيـه، وماتقلقيـش عـلى أخـوكي... أخـوكي جـدع.

وتستمر أم علاء في الزغاريد.

وتسمع أم هبة الصوت وتصعد لهم، وتقول: خير يا أختي؟ فرحينا معاكي.

تقول أم علاء: رايحة أخطب النهاردة لعلاء يا أم هبة عقبال بنتك.

تسعد أم هبة لخبر علاء وبداخلها تتنفس الصعداء.

وتـأتي هبـة مـن يـوم دراسـتها الأول بالجامعـة، وتقـف مـع أمهـا في المحـل وتـروي لهـا مـا حـدث طيلـة اليـوم، وتنتبِـه عـلى صـوت عـلاء وإخوتـه وأمـه يقـترب.

وتجـد عـلاء دون أن ينظـر ناحيتهـا، يقـف ويفتـح بـاب الجـراج ليسـتخرج سـيارته، وتتجـه نحوهـا أمـيرة ومنال وأمهما لكي يسـلّموا عليها ويطمئنّوا عليها في أول يوم دراسـة.

عندما تراهم أم هبة تزغرد، وتقول: يا ألف نهار أبيض وألف نهار مبروك.

تنتبه هبة وتقول: فيه إيه يا جماعة، انتي بتزغرطي ليه يا ماما؟

تقول أم علاء: عقبالك يا حبيبتي رايحين نخطب لعلاء دلوقتي.

هبة تنظر له وتقول: ألف مبروك، ربنا يتمم على خير.

تقـف أمـيرة بجـوار هبـة وتشـعر بمـا يحـدث ويـدور في داخلهـا، وتربـت عـلى كتفهـا وتوشوشـها وتقـول: ابقـي عـدّي عليّـا نتكلـم شـوية.

تخبـط هبـة عـلى يـد أمـيرة وهـي تمسـكها: ماتقلقيـش يـا أبلـه، أنـا كويسـة، وعنيّـا.. حجيلـك حاضر.

وينصرفوا في طريقهم.

وتصعـد هبـة إلى شـقتها وتضـع آخـر شريـط أتى بـه عـلاء لهـا لهـاني شـاكر في التسـجيل، وتجلـس في شرفـة منزلهـا وتسـتمع لأغنيـة (أنـا مـش بعتـب عليـك)

ويمر الوقت وهبة في مكانها وتبدل من شريط لآخر، وتلمح سيارة علاء تقترب فلا تهتم لشأنه وتجلس كما هي واضعة رأسها بين يديها على سور الشرفة.

ويلفت انتباه علاء أنها تجلس ولا تهتم لهم، ويصعد إلى شقته، وهو يمر من أمام شقتها يسمع صوت هاني شاكر.

يذهب إلى حجرته ومنها إلى الشرفة، ويجلس يستمع إلى الأغاني...

(وكان في رسالة منتظرها)

ولكن من باب الصدفة يظهر صوت هاني شاكر وهو يغنّي أغنية (نسيانك صعب أكيد)

ويستمع لها علاء، ويلفت انتباهه الكلمات التي يعتقد أن هبة موجهة إياها له عن عمد، ولا يعلم أن القدر يريد اللعب معهما.

في صباح اليوم التالي تستيقظ هبة على صوت أم علاء تتحدث مع أمها في الصالون، تنتبه هبة لما يدور من حوار دون أن يشعر بها أحد.

وتعلم من الحديث أنه تم الاتفاق على الخطوبة في نهاية الأسبوع، وقبل سفر علاء ب ٣ أيام يتم كتب الكتاب والشبكة، ويسافر علاء إلى عمله نهاية شهر أكتوبر أو منتصف نوفمبر يستلم شغله الجديد، وزوجته تسافر بعده بعد استكمال أوراقها، وتصعد هبة إلى الحمَام كعادتها.

ولكن هذه المرة أصبحت غية الحمام غيّتها وعالمها الذي تهرب إليه، اعتادت هبة أن تكتب، وأخذت المسجل الخاص بها نقلته للأعلى في تلك الغرفة الخاصة بها، وتستمر بالساعات في عالمها الخاص ما بين الحمام والورقة والقلم، وهاني شاكر....

الكل يعلم بما في داخلها، ولكن الكل يتجاهل حتى النظر في عينيها ولا يعلمون أنهم مخطئون.

أيام قليلة على خطوبة علاء وهو وهبة كل منها يتجنب الآخر، حتى إذا تقابلا على سلم المنزل بالصدفة، إلى أن يأتي يوم ما قبل الخطوبة حوالي الساعة ٧ مساءً.

ذهبت أم هبة مع أم علاء وأخوته لشراء بعض المستلزمات الخاصة بتجهيزات الخطوبة؛ كالملبس والشيكولاتة وما شابه ذلك بعد أن رفضت هبة الذهاب معهم بحجة المذاكرة.

وتجلس هبة في حجرتها على مكتبها بجوار الشرفة، والضوء خافت عدا أباجور للمذاكرة موجود على المكتب.

وتمسك هبة بقلمها وتنظر للكتاب وهي شاردة الذهن، كيف لها أن ترى حبيبها في يد فتاة أخرى، وهل هي تستطيع بالفعل الذهاب إلى الفرح أم ستمتنع؟!

وتقف هبة حائرة في أمرها، تذهب هنا وهناك في غرفتها، وتخرج من شرودها فجأة بعد أن تسمع صوت هاني شاكر يأتي من غرفة علاء التي فوق غرفتها تمامًا، فيلفت انتباهها كلمات أغنية (ارجعيلي).

(أيوة سبتك غصب عني، القدر كان أقوى منى

بس وحياتِك ماخنتش، غلطتي إني ماقولتش

عن سبب بعدي ورحيلي لما كنتي بتندهيلي

ارجعيلي

انتي أول حب عشته... انتي آخر حُب عيشته

أحلى حلم فيوم حلمته... صدقيني وارجعيلي)

تسقط دموع هبة دون أن تشعر، وتذهب بهدوء للشرفة دون أن يشعر بها علاء لاستكمال باقي الأغنية التي تعتقد أن كلماتها موجهة إليها.

وفجأة يصمت صوت الكاسيت، وتسمع صوت علاء يقول: إيه يا محمد بس اللي خلّاك تشغّل الكاسيت؟

محمد صديق علاء: إيه يا عم مالك؟ مش عريس وكده، أنا قولت بقى أغاني وفرح وكده، بس إيه الأغنية الجامدة دي، استنّى بس حنكملها.

علاء: لا يا محمد، لو سمحت شغّل حاجه تانية لو عايز تسمع هاني شاكر،

لا ولا أقـول لـك ماتشـغّلش حاجـة خالـص.

ويقـف عـلاء مـن جلوسـه في الشرفـة ينظـر للأسـفل لـكي يـرى هـل هبـة انتبهـت لصـوت الأغنيـة أم لا، ولكنـه لم يسـتطع أن يراهـا.

تجلـس هبـة عـلى ركبتيهـا عـلى الأرض أمـام الشرفـة مـن الداخـل، تبـكي عـلى ماهـي فيـه بعـد أن تأكـدت أن القـدر يلعـب بمشـاعرها، وظنـت أن عـلاء تعمّـد أن يُسـمعها هـذه الأغنيـة، ولكـن تـردّ لـه هبـة الأغنيـة متعمـدة.

وتذهب إلى المكتب وتضع فيه أحد شرائط هاني شاكر على أغنية (تخسري).

وينتبه علاء ومحمد على صوت أغنية تخسري وكلماتها..

(تخـسري وأنـا حبتـدي أكتـب السـطر الأخـير، سـيبي قلبـي وابعـدي وحـدي مـش حخـسر كتـير، إنمـا انتـي حتخـسري.. تخـسري حبـي الحقيقـي، ابعـدي لـو تقـدري.. عـن هوايـا وعـن طريقـي

آآه آآآآه تخـسري، آه راهنـت عليـكي بالعمـر الجميـل، إن بُعـدك عنـي أكـبر مسـتحيل)

ويقول محمد: هو إيه حكاية هاني شاكر في الشارع ده؟!

علاء: هششش وطّي صوتك يا أخي.

محمد: ليه؟! هو هاني شاكر ساكن جنبك وحيسمعنا ولا إيه؟

علاء: هههههه، والله انت فايق ورايق.

محمـد: وانـت ماتفوقـش ليـه إن شـاء اللـه؟ بذمتـك دا منظـر عريـس، دقنـك طويلـة ومكتئـب وحالتـك حالـة، زي مـا يكـون بُكـرة جنـازة مـش خطوبـة.

عـلاء: يـووووه يـا محمـد، وطّـي صوتـك بقـى، وعايـز تتكلـم تعـالي نتكلـم جـوّة، بـلاش في البلكونـة.

محمـد: واللـه يـا بنـي مـا انـا فاهـم حاجـة، أنـا مـاشي يـا عـم وخلّيـك كـده في نكـدك ده، أشـوفك بُكـرة يـا عريـس.

ويتركه ويذهب، ويستكمل علاء كلمات الأغنية.

وتنتبه هبة علي صوت طرقات قوية على باب الشقة؛ فتندهش هبة؛ لأنها تعلم أن أمها معها مفتاح، فتجري مسرعة بعد أن تغلق الكاسيت لكي تفتح الباب، تجد أم علاء ومنال أخته يسندوا أمها؛ فتنزعج هبة وتقول: ماما... مالك حصل إيه؟! فيه إيه يا طنط؟ فيه إيه يا أبلة؟!

تقول أم علاء: مفيش حاجة يا حبيبتي ما تقلقيش، هي داخت مننا شوية في الشارع بس، واحنا طلعناها.

ويجلسوا بها على أقرب كرسي، تجري هبة تأتي بكوب من الماء من المطبخ، وترجع تجد علاء نزل من شقته ويقول لأمه: أنا شوفتكوا من فوق اتخضّيت نزلت جري.

تقف هبة تقدّم رجلًا وتؤخر الأخرى؛ فمهما هربت من مقابلة علاء فهم يعيشون في مكان واحد، ومستحيل أن يحدث هذا الهروب بحكم الجيرة والعِشرة.

وتتقدم ببطء ويدها ترتعش، وتقدم لأمها الماء وتسندها إلى حجرتها، وتخرج إلى علاء ومن معه، وتقول لأم علاء: هو حصل إيه يا طنط؟

وتحكي لها ما حدث، يقول علاء: طيب ما نبعت نجيبلها دكتور ولا نودّيها لمستشفى ولا حاجة.

ترد هبة بعصبية: شكرًا، مش عايزين حاجة من حد.

يقف علاء في مكانه ويقول: أنا سايبك تتدلعي وبقول معلش سيبها تتدلع، لكن توصل إنك تنسي أنا أبقى إيه ليكي ولوالدتك وللبيت ده يبقى كده كتير، أنا أبيه علاء وحفضل أبيه علاء، أخوكي الكبير اللي مربّيكي، حتي لو انتي رافضة ده، وأمك دي أمي وأختي، ولا يمكن أتخلى عنها عشان خاطر بنتها طايشة.

ويتركهم جميعًا ويخرج من باب الشقة متوجهًا إلى شقتهم، ويغلق الباب بحدة؛ مما يفزع هبة من مكانها.

تقول أم علاء: ليه كده يا هبة؟ انتي بقيتي تعاملي أبيهك علاء كده ليه؟!

تقول أميرة: خلاص يا ماما مش وقته، بعدين نتكلم في الموضوع ده، قومي يلّا انتي ومنال اطّمني على الست اللي لوحدها جوّة دي، وخلوا هبة معايا شوية.

تجلس هبة مكانها، تسقط من عينها دموع في صمت، تأخذها أميرة من يدها وتقول لها: قومي يا حبيبتي نتكلم مع بعض شويّة... قومي.

وتسحبها رغمًا عنها علي حجرة هبة، يدخلا إلى الغرفة ويجلسا على السرير أمام بعضهما البعض.

أميرة: أنا ملاحظة عليكي دايمًا حزينة وشاردة، ومابقتيش تطلعي زي الأول ولا تقعدي معانا، وبقيتي تتلاشِي وجودنا، ليه كده يا هبة؟!

هبة: أنا؟ لا والله يا أبله، مفيش..

قبل أن تستكمل حديثها تقطعها أميرة بقولها: من غير ما تحلفي، أنا عارفه انتي فيكي إيه، وحاسّة بيكي كويس، بس لازم تفصلي بين مشاعرك وطريقة تعاملك مع الناس، حتى لو كنتي انتي وعلاء مش بتتكلموا ولّا زعلانين من بعض، ذنب أبله منال إيه، ولا ذنب طنط أم علاء إيه؟ وذنبي أنا كمان إيه، ماينفعش كده يا هبة، ومش من حقك أصلًا تزعلي من أبيه.

وقبل أن تستكمل حديثها تندفع هبة في أحضانها وتبكي وتقول: أنا تعبانة أوي يا أبله.

أميرة تتحسّس شعرها وتقول: حاسّة بيكي يا حبيبتي من غير ما تقولي، بس تعالي نتكلم بالعقل من غير عياط، هي قَفلِتك على نفسِك وعياطك حيحلّ مشكلة؟ طبعًا لا، بالعكس حيخليكي تعنِدي وتتصرفي غلط دايمًا، بصي للموضوع بشكل تاني، أنا عارفة إنك حاسّة تجاه علاء بمشاعر حب ممكن تكون صادقة، وممكن تكون مشاعر في سن تخبّط، لكن ليه نخسره خالص؟ حتى لو خسرناه حبيب نحاول نكسبه زي الأول أخ وصديق وأب، علاء بالنسبة لينا، وأنا بقول لينا لأنك مننا... التالتة بتاعتنا، سند وضهر، ماتنسيش إنه ربّاكي وشالِك على إيده، وممكن يكون ده السبب الرئيسي اللي خلاه يرفض الارتباط بيكي؛ إنه لسّة شايفك

هبـة الصغننـة الـلي ببامـبرز ومصاصـة، وكان كل همهـا تضحـك عليـه وتبوسـه مـن خـده عشـان تعوصُـه روج، فاكـرة.. فاكـرة يـا شـقية؟ دا انتـي جنّتِينـا.

ويضحكا وتنصت هبة لكلام أميرة وتقتنع به.

وتخـرج هبـة مـع أمـيرة وهـي تبتسـم ويذهبـا إلى غرفـة أمهـا لـكي تطمـئن عليهـا، تجدهـا نائمـة وتجلـس بجانبهـا أم عـلاء ويظهـر عـلى وجههـا القلـق مـن شـحوب لـون أم هبـة.

تهمـس أمـيرة في أذن هبـة وتقـول: بذمتـك لـو لفّيتـي العـالم تلاقـي حـد بيحبكـوا ويخـاف عليكـوا كـده؟

تبتسـم هبـة في وجـه أمـيرة خجـلًا مـن تصرفاتهـا، وينسـحبا واحـدة تلـو الأخـرى مـن الغرفـة تاركـين أم هبـة مسـتغرقة في النـوم.

ويتجهـا إلى بـاب الشـقة، وتحتضـن هبـة أم عـلاء، وتقـول لهـا: ماتزعليـش منـي، أنـا آسـفة، واعتـذري لأبيـه عـلاء.

تقـول أم عـلاء: أنـا عمـري مـا أزعـل منـك، واعتـذارك لأبيـه قولوهولـه انتـي بنفسـك بكـرة لمـا يلاقـي أختـه التالتـة جاهـزة مسـتنيّة تشـوفه عريس.

ويصعدا إلى شقتهم وتغلق هبة الباب وراءهم وهي خجلانة من نفسها.

يـأتي صبـاح اليـوم التـالي، وتفتـح هبـة شرفـة غرفتهـا تجـد الشـارع بـه أنـوار الخطوبـة، تخـرج مـن حجرتهـا متجهـة إلى حجـرة أمهـا وكانـت السـاعة ١١ صباحًـا تجـد أمهـا جالسـة عـلى سريرهـا تبـكي.

تسـألها هبـة: مالـك يـا ماما زعلانـة ليـه؟ وإيـه الإشـاعات الـلي في إيـدك دي، انتـي روحتـي للدكتـور ولا إيـه؟

تنظر أم هبة لهبة بحزن شديد، وتبكي بحرقة.

تقول هبة: مالك فيه إيه؟! طمّنيني عليكي، ورّيني الإشاعة والتحاليل دي.

وتأخذها من يدها، ولكن لا تستطيع فهم أي شيء.

تقبّل يدها، وتقول لها: يا ماما أبوس إيدك، طمّنيني فيه إيه؟

أم هبة وهي تبكي: حقولك يا بنتي عشان لازم تعملِي حسابك، أنا من أيام امتحاناتك وأنا بحسّ بنهجان ودوخة وألم في بطني وبرجّع كتير، وبحاول ما أبيّنلكيش عشان ماتتوهْميش ويأثر على دراستك وامتحاناتك، ولما التعب شدّ عليّا من أسبوع سِيبتك بحجّة إني رايحة أجيب بضاعة، ونزلت كشفت والدكتور طلب تحاليل وإشاعات ورُوحت عملتها ونسيت أجيبها، لما تعبت امبارح في الشارع قولت لازم أروح أجيبها، روحت الصبح جِبتها وعدّيت على الدكتور، وقال لي.... وتصمت... قال لي...

هبة: قولي أبوس إيدك، قلبي حيقف.

أم هبة: قال لي إني عندي سرطان في المِعدة، والحالة متأخرة، ولازم أبدأ رحلة الكيماوي.

تضع هبة يدها على فمها لكي تكتم صوت صريخها؛ حتى لا يعلم بها أحد، وتقول: لا... لأ مش ممكن، مستحيل، أكيد فيه حاجة غلط، لا أنا مش مقتنعة، احنا لازم نروح لدكتور واتنين وتلاتة.

وتجلس بجانب أمها تبكي، ويحتضنا بعضهما الآخر بعمق.

تقول أم هبة: لا أنا مش عايزاكي تعيّطي، أنا عايزاكي جامدة وتُقفي في ضهري ومحدش يحسّ بينا، ولا حتة خالتك أم علاء، أنا وانتي ستر وغطا على بعض، عايزاكي ماتبعدِيش عني غير جامعتك وبس؛ عشان لو مُتّ في أي وقت أبقى شبعت منك، وانتي اللي تبقِي آخر حاجة شافِتها عيني يا نور عيني.

تعانقها هبة بعنف، وتقول: لأ.. ماتقوليش كدة، اوعي.. انتي حتخِفّي وتقومي وتبقِي أحسن من الأول كمان.

ينتبها على صوت جرس الباب وزغاريط على الباب، تخفي أم هبة الإشاعات تحت المخدة بسرعة، وتطلب من هبة مسح دموعها وأن تتجه لفتح الباب، وتذهب هبة لفتح الباب تجد أم علاء وأخواته نازلين يطمئنوا على حال أم هبة، ويرتّبوا موعد الذهاب لخطوبة علاء.

تلاحظ أم علاء شحوب وجه هبة وبقايا دموع، تدخل مسرعة لحجرة أم هبة لتطمئن عليها.

أم علاء: مالك يا أم هبة، فيه حاجة يا حبيبتي؟

أم هبة: لا يا أختي أبدًا، وألف مبروك لعلاء، ربنا يتمّمله على ألف خير.

أم علاء: طيب راقدة ليه لدلوقتي؟! بقينا بعد الضهر قومي يلّا خلينا نرتب حنلبس إيه، والله يا أختي أنا لحد دلوقتي ما مصدّقة إن علاء ابني اقتنع بالجواز كده بسهولة.

أم هبة: اكيد يا حبيبتي، ابنك ست البنات تتمناه.

هبة تقف مع أخوات علاء على الباب.

هبة: تعالوا ادخلوا.

أميرة: لا مفيش وقت... يا دوب نروح للكوافير ونيجي نلبس، الخطوبة الساعه ٧، يلّا انتي كمان الْبسي وتعالي معانا.

هبة: إيه؟! آآه.

وتضع يدها على مقدمة رأسها: لأ معلش، روحوا انتوا، أنا حعمل شعري هنا وحَجهَز قبل المعاد.

أميرة: ليه؟!

هبة: معلش؛ أصل ماما لسّة تعبانة شوية، مش حينفع أسيبها.

منال: طيب يا حبيبتي، بس إوعي تطلعي وِحشة، ولو إنك جميلة في أي حاجة.

منال: يلّا احنا يا أميرة ندخل نطّمن على خالتك أم هبة وننزل نشوف ورانا إيه، مفيش وقت.

تدخل أميرة ومنال ومعهم هبة يطمئنون على أم هبة ويأخذوا والدتهم، ويتركوا هبة وأمها متجهين إلى طريقهم لتحضير مراسم خطوبة علاء.

تـترك هبـة أمهـا لـكي تسـتريح وتخـرج مـن غرفـة أمهـا حاملـة عـلى كتفيهـا هَـمّ وألم وخـوف وقلـق عـلى كل ماهـو قـادم.

وتتجـه إلى السـطوح لتطعـم الحـمَام وتجلـس في خلوتهـا معـه، تهـرب مـن واقعهـا المريـر وتعيـش لـو للحظـات في عالمهـا بـين أغـاني هـاني شـاكر وألـوان الحـمام، والسـماء تحاوطهـا بأسرارهـا وتغمرهـا بسـحاب يتحـرك ويأخـذ معـه أحلامهـا المتطايـرة.

تجلـس عـلى ركبتيهـا تبـكى بحرقـة وصـوت عـالٍ، ولا تنتبـه لعـلاء الـذي سـبقها لـكي يـودّع المـكان الـذي شـهد حبهـما وفراقهـما.

تنتبه هبة ليدٍ تربت على كتفها وتأخذ بيدها وتُوقفها.

تنظر هبة فتجد علاء، تسحب يدها وتقف بمفردها تلملِم دموعها وجراحها.

وتذهـب إلى السـور، يقـول لهـا عـلاء بصـوت حزيـن: ليـه كل الدمـوع دي يـا هبـة؟! انتـي الحيـاة قُدامـك طويلـة، وبكـرة تقابـلي الـلي يناسـبك سـنًا وشـكلًا، أنـا خـلاص شـقّيت طريقـي ومقتنـع بيـه.

تنظر هبة إلى علاء، وتقول: أنا محتجاك دلوقتي أكتر من الأول ١٠٠ مرة.

علاء: ماينفعش قولتلك.. ماينفعش.

هبة: انت مش فاهم حاجة، أنا...

يسـتوقفها عـلاء: انتـي إيـه؟! انتـي بتحرجِينـي وتعذّبِينـي ومحسّسـاني بذنـب ماعملتـوش، ذنـب حـب عشِـتِي فيـه وعايـزة تفرضيـه عليّـا، انتـي مصمّمـة تطلّعينـي وحـش قُـدام مامتـك الـلي وعدتهـا إني حكـون ليـكي أخ وبـس وأبعـد عنـك عشـان تفوقـي، تقـدري تقوليـلي شـكلي إيـه قُـدام مامتـك دلوقتـي لمـا تشـوفك كـده.

هبـة وهـي تبـكي: مامتـي! اااااه يـا مامتـي! مامتـي دلوقتـي مـش شـايفة غـير حاجـة واحـدة بـس. وتبـكي.

علاء: مالها مامتك؟! فيها حاجة؟!

هبـة تنظـر لعـلاء وتقـول: روح يـا أبيـه عـلاء شـوف حتعمـل إيـه وماتشـغلش بالـك بيّـا، ونفّـذ وعـدك مـع أمـي وابعـد عنـي وخلينـي أنسـاك، وربنـا يوفّـق، وسـيبني مـع

وهمـي وحيـاتي، وأنـا أكيـد حفُـوق لوحـدي.

ينظر علاء لهبة مستغربًا لهجتها الحزينة، ويتركها في صمت ويتجه إلى السلم.

تقـول لـه هبـة: آه عـلى فكـرة؛ ماتسـتنّانِيش النهـاردة في خطوبتـك، أنـا مـش حقـدر آجـي لا أنـا ولا ماما.

عـلاء: إزاي يعنـي؟! طيـب انتـي وقولنـا عناديّـة وراكبـة دماغـك، لكـن مامتـك كـمان لأ مـا أعتقـدش حتسِـبني وتسـيب أمـي في يـوم زي ده.

هبة: مش بقول لك انت مش فاهم حاجة.

عـلاء: لـو ماجتيـش النهـاردة اعتـبري أي علاقـة بيـكي انقطعـت، وكل حاجـة حلـوة بينّـا انتهـت.

هبة: ما اتقطع من زمان يا... يا أبيه.

يترك علاء هبة ويذهب، وتستكمل هبة وقتها مع الحمام.

تـأتي السـاعه ٧ ويمـلأ الشـارع أنـوار وزغاريـد ومبـاركات، وتقـوم هبـة عـلى صـوت طرقـات البـاب وصـوت أم عـلاء تزغـرد، تتجـه إلى البـاب، تسـمع صـوت أم هبـة تنـادي بصـوت منخفـض حتـى لا يسـمعها احـد وتقـول: هبـة اقفـلي البـاب، ولـو أم عـلاء سـألت عليّـا قـولي لهـا ماما تعبـت ونامـت نـص سـاعة حصحيهـا وأجيبهـا وآجـي، اوعـي تبيّنـي لهـا إنـك زعلانـة، أو إننـا مـش حنيجـي أحسـن تفتكـر إننـا زعلانـين ولّا حاجـة عشـان عـلاء، فاهمـة يـا بنتـي؟

تشـاور هبـة لهـا بحركـة تفهـم منهـا أنهـا أدركـت كلامهـا بفهـم، وتغلـق بـاب غرفـة أمهـا وتتجـه للبـاب مسرعـة.

تجـد أم عـلاء وأخواتـه وعـلاء، تتجاهـل هبـة نظـرات عـلاء الـذي ظهـر عليـه الغضـب والاسـتياء لعـدم رؤيـة هبـة مسـتعدة لهـذه المناسـبة وأنهـا مـا زالـت بملابـس البيـت.

تقول أم علاء: إيه ده؟! انتي لسّة ماجهزتيش؟

هبة: معلش يا طنط، أصل ماما تعبِت شوية.

أم علاء: يالهوي! فين؟

وتتجه إلى غرفة أم هبة مسرعة.

تعترض هبة طريقها وتستوقفها: لا اطمني، مافيهاش حاجة، هي بس داخت شوية وأنا عملتلها حاجة سُخنة ونامت.

وتشاور هبة بيدها نحو الباب وتقول لها: اتفضلوا انتوا عشان ماتتأخروش، وأنا نص ساعة بالكتير وحصحّيها وأحصّلك.

أم علاء: اوعي ماتجوش، وربنا أزعل، آه.. دا الفرحة ماتكملش إلّا بيكوا، يلّا احنا يا جماعة عشان مانتأخرش، وأنا عارفة إن هبة عاقلة وحتيجي.

هبة: طبعًا، دا أخويا الكبير ولازم أكون جنبه.

يذهبوا جميعًا وتغلق هبة الباب وراءهم، وبعد دقائق تسمع هبة صوت آهات أمها، تجري هبة مسرعة تتحدّث إلى الدكتور المعالج لوالدتها، وترتدي ملابسها بسرعة وتخرج من باب شقتها وتأتي بتاكسي، وتأخذ والدتها إلى مكان المستشفى.

وتصِل أم علاء وأولادها إلى بيت سلوى خطيبة علاء...

وتظهر خطيبة علاء وهي جميلة ورقيقة، ويسلّم عليها علاء وتبدأ مراسم الخطوبة، ولكن أم علاء تشعر بقلق لعدم حضور أم هبة إلى الآن.

ينظر علاء على الباب من حين لآخر منتظرًا دخول هبة.. وتنتهي الخطوبة، وتترك أم علاء ابنها يستكمل سهرته مع خطيبته وتأخذ بناتها متوجهة إلى بيتهم.

ما زالت هبة تقف مع أمها بمفردها وهي جليسة الفراش في المستشفى.

الدكتور: بُصّي يا هبة، أمك للأسف عندها كانسر في مرحلة متأخرة، ولازم تبدأ مرحلة العلاج الكيماوي، وطبعًا زي ما أنا شايف حالتكوا المادية ماتسمحش بالعلاج على حسابكوا؛ فأنا حبدأ أقدّم اسم والدتك في مستشفى حكومي الأقرب لمحل سكنكم، بس طبعًا فيها ١٠ أو ١٥ يوم لحد ما الدور يجي عليها، ده بعد كمان توصيتي الخاصة ليها مع مدير المستشفى، ومن هنا لحد ما معادها يجي

حتعيـش عـلى المسـكّنات، وده محتـاج منـك مجهـود جامـد عشـان تقـدري تتبِعيهـا.

هبـة: حـاضر يـا دكتـور، بـس فهّمنـي أعمـل إيـه بالظبـط عشـان أخفّـف عنهـا الألم، دا أنـا مـش مسـتحملة صـوت صريخهـا.

الدكتـور: خُـدي الروشـتة أهـي، وتقـدري تاخـدي مامتـك وتروّحـي، وامـشي عـلى العـلاج والمسـكّنات دي وربنـا يشـفيها.

هبة: يارب.

وتأخذ هبة أمها وترجع على البيت.. ويأتي نهار اليوم التالي..

وتبـدأ هبـة في تحمـل كل المسـؤولية؛ مذاكرتهـا، وأمهـا المريضـة، وفتـح المحـل مصـدر رزقهـم الوحيـد.

تذهـب هبـة إلى جامعتهـا وتخلّـص محاضراتهـا، وترجـع مسرعـة لـكي تبقـى بجانـب أمها.

وتصل هبة إلى منزلها، وتصعد على سلم البيت في وقت نزول علاء.

عـلاء: برضـه عملتـي الـلي في دماغـك وماجيتيـش امبـارح، وكـمان منعتِـي أمـك إنهـا تبقـى جنـب أمـي في يـوم زي ده.

هبـة تتجاهـل كلامـه وتسـتكمل طريقهـا، يسـتوقفها عـلاء ويمسـك بيدهـا بعنـف ويقـول: ماتقطعِيـش كل خيـط بينّـا، ولـو شـايفة إن الـلي بتعمليـه ده عقـاب ليـا أنـا مابتعاقِبـش، وبُكـرة تندمـي عـلى كل ده، عامـةً أنـا فاضـل لي أقـل مـن شـهر وحكتـب كتـابي وآخدهـا وأسـافر.

هبـة: بُـص يـا أبيـه ،انـت في المرحلـة دي آخـر همـي وآخـر حاجـة أفكـر فيهـا، أو يشـغلني جـوازك وسـفرك.

علاء: أنا شايفِك كده....

وقبل أن يستكمل كلامه تستوقفه هبة.

هبـة: انـت للأسـف مابقتـش بتشـوف إلا نفسـك وعِنـدَك وكبريائـك وبـس, انـت

اللي بُكرة تندم على تجاهل مشاعرك ناحيتي، وحتندم كمان إنك بتبعد نفسك عنّي في أكتر فترة محتاجاك فيها, وربنا يوفّقك في حياتك، سلام ياااااا أبيه.

وتدخل هبة إلى بيتها وهي محسورة القلب والمشاعر على حبها الضائع وحبيبها العنيد وأمها المريضة، فللأسف اتفقَت عليها الحياة دون مقدمات.

تسمع هبة طرق الباب، وتستقبل أم علاء بابتسامة مصطنعة..

هبة: اتفضلي يا طنط.

أم علاء: أنا مابكلّمكِيش وعتابي على أمك اللي طاوعتك، مش هنخسر بعض عشان شغل العيال بتاعك ده، يا أم هبة انتي فين؟

وتدخل غرفتها تجدها مستلقية على سريرها يظهر عليها آثار التعب الشديد.

أم علاء: مالك ياختي كفى الله الشر؟!

أم هبة: حقك عليّا يا أختي، ليكي حق تزعلي، بس صدّقيني كنت تعبانة وماقدرتش آجي.

أم علاء: مالك يا أختي؟

أم هبة: الظاهر من كتر المسكّنات يا أختي بطني الْتهَبِت، بس الدكتور مهوّل الموضوع، ما انتي عارفاهم.

تنادي أم علاء على هبة ولم ترد...

أم هبة: تلاقيها نزلِت تفتح الدكان، ما انتي عارفة البير وغطاه.

أم علاء: إخس عليكي! هو احنا مش أهل، قولي عايزة كام وأنا عنيّا ليكي.

أم هبة: إن شالله يخليكي، شايلاكي لوقت عوزة، ودايمًا الخير عندك.

أم علاء: طيب يلّا... يلّا قومي أنا مانستكِيش وجايبالِك من الحلويات اللي كانت في الخطوبة امبارح، حروح أعلّق على الشاي وأستناكي، يلّا قومي بقى وتعالي أحكيلك عملنا إيه امبارح.

وتمر الأيام وتنشغل هبة في همومها، وتبذل أقصى جهدها حتى لا يلاحظ أحد

تعـب والدتهـا، وتقـوم بـكل واجباتهـا مـن دراسـة... لشـغل.. لرعايـة أمهـا متجاهلـة عـلاء ولا تريـد أن تقابلـه صدفـة؛ فهـي مـا زالـت تعالـج جرحهـا منـه بالنسـيان.

ويـأتي يـوم زفـاف عـلاء وتـرى حبهـا واملهـا لاخـر مـره ويسـافر عـلاء ويأخـذ زوجتـه معـاه ويقطـع اي خيـط يربطـه بهبـة.

ويأتي ثاني يوم الزفاف، تذهب أم علاء إلى الصيدلية القريبة منهم.

أم علاء: صباح الخير يا دكتور.

الصيدلي: صباح الخير يا أم علاء، أهلًا.. اؤمري.

أم علاء: عايزه دوا السكر الله يباركلك.

الصيدلي: عنيّا اتفضلي.. ألّا قوليلي أخبار أم هبة إيه؟ طمنيني عليها.

أم عـلاء: واللـه بخـير، أهـو حبّـة ترجـع ومـرّة تسـخن، ومـرّة كويسـة، معرفـش آخـر الْتهـاب المعـدة دة إيـه.

الصيدلي: معلش، ما ده أمر طبيعي؛ الكيماوي بيهِدّ بعيد عنك.

أم علاء: كيماوي إيه كفا الله الشر؟

الصيـدلي: انتـي ماتعرفيـش يـا حاجـة؟! دي بقالهـا شـهرين يـا عينـي بتاخـد كيـماوي والحالـة متأخـرة جـدًا، وبنتهـا بتيجـي تاخـد المسـكّنات مـن هنـا باسـتمرار، وسـاعات بـروح بنفـسي أعلّقلهـا محاليـل وأديهـا حقـن...

وقبـل أن يسـتكمل حديثـه تـترك أم عـلاء الصيدليـة وهـي منهـارة، وتجـري إلى بيتهـا وتصعـد إلى شـقه أم هبـة وتطـرق البـاب بشـدة، تفتـح لهـا هبـة وتدخـل بـدون كلام ودموعهـا عـلى خدهـا إلى حجـرة أم هبـة، وتجدهـا مسـتلقية عـلى السريـر، تأخذهـا وتضمهـا إلى حضنهـا وهـي تبـكي بحرقـة، وتقـول: يـا قلـب أختـك يـا بسـمة، يـا قلـب أختـك، شـايلة الهـم ده كلـه لوحـدك يـا بنتـي ليـه؟ إمـال احنـا أصحـاب وجـيرة وعِـشرَة إزاي؟!

تبـكي أم هبـة وتقـول: ماكنتـش عايـزة أشـيّلك همّـي وأنكّـد عليـكي وانتـي فرحانـة بابنـك وبتجوّزيـه.

أم عـلاء: ابنـي إيـه وهبـاب إيـه؟! إذا متحمّلـة ومحمّلـة بنتـك كل ده مـن غـير مـا تقوليـلي.. ويسـتكملوا حديثهـم.

تصعد أم علاء إلى شقتها وهي باكية العين والقلب على جارتها ورفيقه عمرها.

تقـف هبـة في محـل أمهـا، يـأتي لهـا ذلـك الشـاب صاحـب معـرض السـيارات القاطــن في أول الشــارع.

أشرف: صباح الخير يا أبله.

هبة: صباح النور.. خير؟

أشرف: كنت عايز منك هدية حلوة كده تنفع واحدة صاحبتي.

هبـة: هديـة! أنـا مابيعـش هدايـا، أنـا زي مـا انـت شـايف كـده ببيـع هـدوم، شـوف انـت عـاوز إيـه وأنـا أجيبهولـك.

أشرف: لا أصـل أنـا مـش بفهـم في المواضيـع دي، اختـاري انتـي عـلى ذوقـك كأنهـا ليـكي وأنـا هحاسـب بـس.

هبة: ذوقي! وأنا إيه دخّلني في الموضوع، ما تقول عايز إيه وتخلّصني.

أشرف: مالك بس يا أبله زعلانه ليه؟

هبة: أنا مش أبله، واخلَص وخلّصني.

أشرف: طيـب طيـب، اعتبريهـا في جسـمك كـده وفي طولـك، وهـاتي حاجـة مشـخلعة كده.

هبة: طيب يارب نخلص.

تأتي هبة بطقم بناتي وتضعه في كيس وتعطيه له وتقول حسابه.

أشرف: تسلمي يا أبله، اتفضلي فلوسه أهيه.

ويتجه أشرف لخارج المحل ويترك الشنطة.

هبة: تعالَى هنا رايح فين؟ خد حاجتك.

أشرف: لا دي بقى كادوه مني عشان عيد ميلادك يا أبله، مش هو كمان يومين برضه؟

ويتركها في حيرة من أمرها....

تقف هبة في ذهول لا تستطيع الكلام ولا الرد.

تدخل عليها أم علاء تقول: مالك مسهّمة كده ليه؟!

هبة: أعمل إيه بس يا طنط! أشرف بتاع المعرض ده مجنون ولا إيه؟! وتحكي لها ما حدث.

أم علاء: هاتي الكيس ده وأنا حروح أسوّد عيشته.

وتأخذ من هبة الكيس وتذهب إلى المعرض وتنادي: يا أشرف، انت يا أشرف بيه.

يخرج أشرف من مكتبه: أهلا بالحاجّة أم الأستاذ علاء، اتفضلي.

أم علاء: خد حاجتك يابني وابعد عن هبة عشان غلبانه ومالهاش حد، واوْعَى تفتكر إني حسمح لك تتعرضلها.

أشرف: مفيش تعرض ولا حاجة يا حاجّة ومن الآخر كده أنا غرضي شريف، أنا سامع إن الحاجّة أم هبة بعافية شوية، وهو ده اللي أخّرني أروح أطلب إيدها؛ فأنا بقول لك أهو... كلّمي الحاجّة أم هبة وحدّدي ميعاد معاها، ودا كارت فيه تليفون البيت والمعرض، وأنا جاهز من جنيه لألف جنيه، ومستني الرد.

تأخذ أم علاء الكارت وتخرج من المعرض وتذهب إلى بيتها.

.....

وصل علاء إلى بيته وعمله في إحدى دول الخليج ومعه زوجته.

سلوى: انت حتفضَل قاعد كده يا علاء؟! ما تقوم نروح في أي مكان، أنا زهقانه ومش عايزة أقعد في البيت.

علاء: ما انتي عارفة إن أنا ورايا شغل كتير، وإن اليوم الوحيد اللي مناسب للخروج هو أجازتي بس.

سلوى: اااه، مع نفسك انت بقى، أنا عن نفسي حنزل وأتفسح وأشوف الدنيا، وماتنساش تسيبلِي فلوس.

يقف علاء مذهولًا من كلام زوجته، ويمسك سماعة التليفون ويطلب والدته في مصر.... ترن ترن.

أم علاء: ألو.

علاء: أيوه يا أمي.. وحشتيني.

أم علاء: أهلا يا حبيبي، ازيك و ازي مراتك؟ يارب تكونوا بخير.

علاء: الحمد لله يا ماما، انتوا عاملين إيه؟ وإخواتي أخبارهم إيه.

أم علاء: الحمد لله يابني كلنا بخير.

علاء: وهبة يا ماما ومامتها أخبارهم إيه؟

أم علاء: ماتفكّرش فيها يابني وعيش حياتك واتهنى بعروستك، اللي انت عملته ده عين العقل، بس أمها اللي تعبانة أوي وجالها المرض الوحش، بتاخد كيماوي يا حبة عيني... اسكت مش هبة جالها عريس.

علاء: عريس! مين ده؟

أم علاء: أشرف ابن الحاج التوني بتاع معرض العربيات، مقتدِر وشاريها وعايزها.

علاء: وهي وافقت؟

أم علاء: والله هي لسّة ماتعرفش، ولا قولت لأمها؛ لأنهم كانوا مشغولين بجلسة الكيماوي اللي خالتك أم هبة خدِتها امبارح، وماكانش فيه فرصة.

علاء يصمت.....

أم علاء: انت سامعني يا حبيبي؟

علاء: آه سامعك، ربنا يوفّقها والف سلامة على أم هبة، اوعي تسيبيها يا ماما، خليكي جنبهم، ولو احتاجوا حاجة قوليلي على طول.. آه صحيح هما بيصرفوا منين دلوقتي؟

أم علاء: هبة بترجع من الجامعة تفتح دكانة أمها وواقفة فيها، وربنا يكرمهم.

علاء: حظها قليّل البت هبة دي، ربنا يقف معاها.

أم عـلاء: حبيبـي يـا عـلاء، أنـا عايـزة أفـرح بعيالـك بقـى وأبقـى تيتـه من عروسـتك.. مـع السـلامة يـا حبيبي.

علاء: مع السلامة يا أمي، دعواتك.

تغلق أم علاء الخط، وتقوم متجهة إلى شقه هبة.

تجـد شراعـة البـاب مواربـة، تعلـم أن هبـة ليسـت بالبيـت، وتنـادي: يـا أم هبـة.. يـا أم هبـة.

أم هبة: أهلًا يا أم علاء، افتحي وادخلي، ماتأخذِينيش مش قادرة أقوم.

تفتح أم علاء الباب وتدخل...

أم علاء: صباح الخير يا حبيبتي، إزيّك النهاردة, إمال البت هبة فين؟

أم هبـة: هبـة عندهـا جامعـة وحتيجـي عـلى الـدكان، الراجـل الـلي حيجِيـب البضاعـة جـاي.

أم عـلاء: طيـب كويـس، عنـدي ليـكي خـبر بقـى وكويـس إننـا لوحدنـا عشـان نعـرف نتكلم .

أم هبة: خير يا حبيبتي؟ قولي.

أم علاء: هبة جالها عريس.

أم هبة: بجد؟!

أم عـلاء: آه والنبـي، أشرف ابـن الحـاج التـوني، واد زي الفـل، مـا انتـي عارفـاه، ومقتِـدِر وعنـده شـقة مِلـك وفلـوس كـده تبقـى بعـد عمـر طويـل مطمّنـة عليهـا.

أم هبة: بس دا عيل طايش وبتاع بنات.

أم عـلاء: وأهـو سـاب كل البنـات واختـار سـت البنـات، هـو يعنـي فيـه شـاب معرفـش بنـات ولا لعـب بديلـه، وفي الآخـر مسـيرهم يتجـوزوا.

أم هبة: تفتكري هبة حترضَى بيه؟

أم علاء: وماترضاش ليه؟! والبركة فيكي بقى، انتي أمها وتقدري تقنعيها.

أم هبة: يارب يقدّم اللي فيه الخير، إن جيتي للحق أنا نِفسي أجوّزها وأطمّن عليها قبل ما أموت.

تدخل هبة تجد أم علاء مع أمها، فتقول: سلام عليكم يا جماعة، إزيك يا ماما إزيك يا طنط.

أم علاء: أهلًا يا عروستنا يا قمر.

أم هبة: أهلًا يا حبيبتي.

هبة: معلش يا طنط، أنا عارفة إنك تعبانة مع ماما اليومين دول.

أم علاء: يا هبة أمك دي حبيبتي وصاحبتي وعِشرِة عمر، عقبال ما أتعبلك يوم فرحك.

هبة: ألّا صحيح عملتِي إيه يا طنط في موضوع أشرف؟

أم علاء: كل خير يا حبيبتي، أمك بقى تبقَّى تقول لك، وربنا يقدّم اللي فيه الخير.. سلام بقى وحنزل لكم آخر النهار.

وتخرج من باب الشقة وتغلقه وراءها.

هبة: إيه الحكاية يا ماما؟ فيه إيه؟!

أم هبة: بصي يا بنتي، اقعدي كده وصلي علي النبي.

هبة: عليه الصلاة والسلام.

أم هبة: أنا يا بنتي لو عِشتِلك النهاردة مش حعيشلك بُكرة، وزي ما انتي شايفة احنا لا أب ولا أخ ولا سند، وعايشين بطولنا وأنا نفسي أطّمن عليكي قبل ما أموت.

هبة: بعد الشر عليكي، فيه إيه بس.

أم هبة: دلوقتي خالتك أم علاء راحت لأشرف وكانت حتبهدله وتمسح بيه الأرض، بس الواد طلع جدع وطلب إيدك ومستني الرد، وهو جاهز من مجاميعه، يعني لا حنستنّى بقى واحد يجهز ولا يشتري شقة، ده جاهز وربنا فاتحها عليه وكسِّيب, إيه رأيك يا ست البنات؟

هبة: جواز وأشرف! إيه يا ماما الكلام ده؟! أنا مابفكّرش إني أتجوز، ولو حفكّر مش حيبقى أشرف الصايع التلفان بتاع البنات.

أم هبة: ماتفكريش ليه يا حبيبتي؟! وعلى رأي خالتك أم علاء أهو بتاع البنات ساب كل البنات وعايز ست البنات.

هبة: بس أنا يا ماما عايزة أكمّل جامعة وأشتغل وأثبِت نفسي.

أم هبة: يا بنتي أبوس إيدك نفسي أرتاح وأفرح بيكي قبل ما أموت، وماتركبيش دماغك، واللي انتي عايزة تثبِتي نفسِك قُدّامه أهو اتجوز وسافر وزمانه عايش في العِزّ والهنا هو وعروسته، ومش بعيد كمان كام يوم نلاقي خبر إنه حيبقى أب قريّب.

هبة: ياه يا ماما، ما بلاش السيرة دي، وهو ولا في دماغي ولا بفكر فيه ولا في غيره.

أم هبة: طيب بصي بقى، كلمة ومش حتنّيها؛ أنا حبلّغ خالتك أم علاء إننا موافقين، وهي حتوّصل له وحنعمل قاعدة كده تتعرفوا فيها على بعض، ونأجل الخطوبة بعد امتحاناتك، وكلمة زيادة في الموضوع ده مش عايزة، ولو رِكِبْتي دماغك حبعَت لخالتك أقول لها تجيب ابنها وتيجي وحجوّزك ليه، ولا جامعة ولا زفت، وتروحي تعيشي معاهم في البلد، ما أنا مش حسيبك في الدنيا كده بطولك، انتي فاهمة؟!

هبة: يووووه.

وتتركها وتدخل غرفتها وهي تكتم غضبها؛ فأمها في حالة مرَضِيّة لا تستطيع المناهدة ولا النقاش والغضب.

تتحرك هبة ذهابًا وإيابًا في غرفتها وهي مشتعلة بالغيظ مما حدث؛ فذلك الشاب هو أبعد من الخيال عن فكرها، ولا يوجد أي توافق بينهما بأي شكل من الأشكال.

ترفع سماعة تليفون غرفتها وتتحدث فيه مع صديقتها منى...

هبة: منى إزيك.. بقول لك عدّي عليّا.

منى: إزيك يا هبة.. ماشي بس آخر النهار، فيه حاجة ولا إيه؟!

هبة: آه... فيه مصيبة.

منى: خير؟! طنط حصل لها حاجة؟

هبة: لا الحمد لله، أنا اللي حيحصل لي، بس تعالي وأنا أحكيلك.

ويمر باقي اليوم، وتأتي منى لهبة وتحكي لها هبة ما هي فيه.

هبة: إيه رأيك يا ست منى؟

منى: فين المصيبة دي أفهم؟ جايه تقوليلي متقدّملك عريس وغنِي كمان وعينه منك أصلًا وتقوليلي مصيبة!

هبة: انتي بتهرّجي، صح؟

منى: أهرّج إيه يا بنتي، انتي اللي حتفضلي عايشة في أحلامك كده من غير ما تتحقق، علاء بيه سابك واتجوّز ومضحّاش عشانك وسافر وشاف حياته، وانتي حتفضَلِي حابسة نفسك كده على ذكرى حبه.

هبة: ليه السيرة دي بس؟ دا علاقته إيه بكلامي؟!

منى: دا هو العلاقة نفسها، فوقي لنفسك يا بنتي، ماله أشرف عيبه إيه؟

هبة: دا صايع وبتاع بنات، انتي ناسيَة لما كان بيرزّل علينا وقت المدرسة.

منى: وأهو بقى أغنَى شاب في المنطقة وكل يوم عربية شكل، وعايز يتجوّزك على سنة الله ورسوله.

هبة: هو فين أبو دبلوم ده وأنا فين! أنا بُكرة حكبَر وأبقى مذيعة مشهورة.

منى: هههههه والنبي لو بقيتي وزيرة مسِيرِك لبِيتِك ومطبخك ومواعينك.

هبة: انتي بتتكلّمي زي أمي بالظبط، وأنا غلطانة إني قولت لك تعالي، قومي امشي يا منى.. يلّا قومي.

منى: يا بنتي فوقي، بتكلّم زي مامتك عشان مامتك بتتكلم زي ستي وخالتي

ومامتي ومجتمعك كله, مين فيهم ولّا فينا حد ساعده يعيش حلمه! طول عمرنا عارفين إن الشهادة دي مجرّد علام وكلام على ورق من باب الفشخرة في الآخر، حيجي أقرب عريس يقدر يجيبلك شقة وشبْكة وحيقولولك مع ألف سلامة, أنا بقى فاهمة دماغهم كويس؛ عشان كده مابَتعِبْش نفسي وجيبت من الآخر وماكمّلتش تعليمي.

هبة: بس أنا بقى غير أي حد، ولازم أثبت له وللكُلّ إني حبقى حد كبير... وكبير أوي كمان.

منى: آه آه آه، انتي قولتيها أثبت له، عارفة لو مفيش «له» دي كان زمانك موافقة وفرحانة وطايرة من الفرح كمان، بُصّي يا هبة انتي مفيش فايدة فيكي، خليكي كده لحد ما تكبِري وتعنّسي ووشك يكرمش أكتر ما هو مكَرمِش من بوزك اللي بقَى شبرين دايمًا, سلام أنا ماشية، اوْعِدنا يارب بابن عم أشرف ولا أخوه ولا أبوه حتى.. نصيحه منّي اتجوزي اللي معاه قرشين؛ يوم ما تتخنقِي منه تعرفي تخرجي وتتسوقي، بدل ما كدَه كدَه حتتجوّزي وفقرك ده يوقّعك في واحد فقير دُقّه وماتلقيش لا فُسَح ولا خروج ويبقى كله فقر في فقر.

وتقوم منى من مكانها وتخرج، وتترك هبة في حيرتها.

.....

أما علاء فقد اختار حياةً تقليدية فرضها عليه المجتمع والأهل، وهو استسلم لها دون معافرة، ولكن بدأ الصدام سريعًا بينه وبين زوجته.

يعود علاء من عمله دائمًا في السادسة مساءً.

علاء: مساء الخير.

سلوى: مساء النور.

علاء: حضّرِيلي الغدا أحسن أنا ميّت من الجوع.

سلوى: لا مفيش غدا، أنا ماعمَلتش، ولابسة ومستنيّاك ننزل نتغدا سوى في أي مكان.

يضع علاء مفاتيحه بعنف على منضدة الأنتريه ويتأفّف زهقًا.

علاء: هو أنا مش قولت إن مفيش خروج ولا فُسَح إلا يوم الجمعة في الأجازه، وأنا باجِي من شغلي تعبان عايز أتغدّى وأريّح ساعة عشان أنزل أرُوح تمريني.

سلوى: وأنا مش سايبَة بَابِي ومامي وشلّتي والنادي بتاعي عشان آجي أتحبِس هنا بين أربع حيطان أطبخ وأغسل وأمسح.

علاء: ليه؟! هو حضرتك كنتي مفكّرة إننا حنتجوّز ونعيش في الملاهي.

سلوى: والله مالِيش فيه، واعمل حسابك أنا أصلًا ماليش في المطبخ، يعني وانت جاي تبقى تجيب دليفري معاك، ويوم أجازتك بس حبقى أطبخلك.

وتقوم وتتركه وتدخل غرفتها.

.....

تنزل أم علاء إلى أم هبة كما تعوّدا بعد صلاة العشاء يتبادلان أطراف الحديث.

أم علاء: عملتِي إيه مع هبة؟

أم هبة: البت يا أختي راكبة دماغها وعمّالة تقول لي جامعتي ومستقبلي، وأنا حموت وأجوّزها وأطّمن عليها قبل ما يجرالي حاجة.

أم علاء: لا يا أختي بعد الشر ماتقوليش كده، ربنا حيكرِمك وتبقِي زيّ الفل وتفرحِي بيها، وتشيلي عيالها كمان.

أم هبة: أنا أصلًا قولتلها إني موافقة وحبعت لأشرف الرد وخلاص, وهي مش حيهُون عليها زعَلِي، ولما تلاقي الخطوبة والشبْكة أكيد حتفرَح.

أم علاء: صح كده، إمال إيه؟! أي بنت مسيرها لبيتها وجوزها، ماشوفتِيش بناتي كانوا بالدّموع بيعيطوا عشان مايتجوّزُوش، ويوم خطوبتهم تِقِيدِي الشمع من حمار كسوفهم اللي على خدودهم, خلاص أنا معايا الكارت، بُكرة أتّصل بيه وأقول له يحدّد معاد ويبلّغنا بيه.

أم هبة: على خيرة الله.

ويـأتي صبـاح يـوم جديـد تتخلّـل آشـعة الشـمس مـن نافـذة غرفـة هبـة مـما جعلهـا تسـتيقظ مـن نومهـا.

تقـوم تسـتعد ليومهـا الـذي أصبـح مليئًـا بالواجبـات مـن دواء والدتهـا.. لتنظيـف المنـزل.. للذهـاب إلى كليتهـا.. لمتابعـة المحـل الـذي يمتلكـوه، وهـو يعتـبر مصـدر رزقهـم الوحيـد.

وتجـري عقـارب السـاعة في صبـاح هـذا اليـوم حتـى تصـل إلى السـاعه ١٢ ظهـرًا، تسـمع هبـة طَـرْقَ بـاب شـقتها، تفتـح البـاب فتجـد أم عـلاء.

أم علاء: صباح الخير يا هبوبة.

هبة: أهلًا يا طنط، اتفضّلي.

أم علاء: ألف مبروك يا حبيبتي، ربنا يتمّم بخير.

هبة: ليه فيه إيه؟!

أم عـلاء: أنـا لسّـة قافلـة السـكّة مـع أشرف حـالًا أهـو، واتفقـت معـاه إن يـوم الخميـس السـاعة ٧ حيجِـي هـو وأمـه وأختـه يتعرّفـوا عليكـم، ولـو فيـه نصيـب نقـرأ الفاتحـة عـلى طـول.

هبة: دا انتم متفقين عليّا انتي وماما بقى وبتحطوني قُدّام أمر واقع.

أم عـلاء: آه، مـا هـو جـوازك ده أمـر واقـع, طَـب دا أبلتـك منـال وأبلتـك أمـيرة متجوّزيـن وهـما أصغـر منـك، وعـلى فكـرة أنـا عرّفتهـم وجايِّـين يـا حلـوة مـن يـوم الأربـع يباتـوا معانـا عشـان نخليـكي قمـر أكـتر مـا انتـي قمـر، وعـلى فكـرة أنـا عرّفـت أخـوكي الكبـير وهـو موافـق وبيباركلـك، وسـاعة مـا تتحـدّد الخطوبـة حيبعتلـك هديـة حلـوة أوي.

هبـة: كـمان! دا انتـم مرتبـين كل حاجـة أهـو، طيـب ابقـو شـوفوا مـين حيقعـد مـع النـاس يـوم الخميـس.

أم علاء: انتي يا بنتي..

وتقطع حديثها هي وهبة منتبهين لصوت صراخ أم هبة.

تجري هبة وأم علاء تجد أم هبة تمسك بطنها ألمًا، وينزل من فمها قطرات من الدماء؛ مما يجعل هبة وأم علاء يصرخان خوفًا عليها، وتجري هبة تطلب الإسعاف وبسرعة يحاولان استبدال ملابس أم هبة من ملابس بيت إلى ملابس تصلح للخروج.

تأتي عربة الإسعاف مسرعة من أول الشارع، وعندها يكون أشرف جالسًا على باب معرضه، يقوم من مكانه مفزوعًا ينظر إلى أين تتّجه هذه العربة، يجدها في طريقها إلى بيت هبة.

يدخل المعرض مسرعًا ويُخرِج إحدى سياراته الملاكي ويقودها بسرعة متجهًا إلى منزل هبة.

تنزل أم هبة في سرير عربة الإسعاف بعد أن أُغمِيَ عليها، وأصبحَت فاقدة للوعي، وتنزل على السلم وراءها أم علاء وهبة وهما يصرخان ويبكيان خوفًا.

يقول أشرف لأم علاء: خير يا حاجة كفى الله الشر؟!

أم علاء: الْحَقني يابني... خالتك أم هبة مغمَى عليها وبتجيب دم من بُوقّها.

أشرف: طيب اركبوا، اركبوا بسرعة نمشي وراها.

تقول هبة: لا.. أنا حركب مع ماما.

يقول المُسعف: لا ممنوع يا أبلة، الحاجّة بس، انتو حصّلُونا بالعربية.

يقول أشرف: مش وقته يا أبلة، اركبي خلّينا نطّمن على الحاجّة.

تركب هبة وهي مجبرة، وأم علاء معها تجلس بجوار أشرف، وهبة بالخلف عيناها تتغَلْغَل بالدموع، وتنظر من نافذة السيارة ونظراتها تسبق الناس والأحداث.

يصِلُوا جميعًا إلى المستشفى, تنزل هبة وأم علاء وأشرف، تجري هبة على سيارة الإسعاف تنظر إلى أمها المستلقية على سرير الإسعاف وما زالت فاقدة للوعي.

تصرخ هبة وتنادي بصوت عالٍ: ماما... ماما، رُدِّي عليّا، رُدّي عليّا.

تأخذها أم علاء في حضنها، وتقول: اهدِي يا بنتي خلّيهم يشوفوا شغلهم ويطمنّونا عليها.

وتدخل أم هبة إلى الرعاية المركّزَة، ويأتي لها الطبيب المعالج ويغيب عنهم ساعة من الزمن داخل غرفة الرعاية مع أم هبة تاركهم حائرين باكِين على ما وصلت لها حالة أم هبة.

ويخرج الدكتور وتجري عليه هبة، وتقول: طمني يا دكتور والنبي، ماما كويسة؟

الدكتور: بُصّي يا هبة، أنا مفهمّكم من الأول إن حالة الكبد عند أمك فيها سرطان في مراحله الأخيرة، واحنا بنعمل اللي علينا بالعلاج والكيماوي، والشفا من عند ربنا بقى.

أم علاء: طيب هي ليه يا دكتور نزّلت دم كده؟! وحالتها إيه دلوقتي؟

الدكتور: الدم ده أمر طبيعي لحالتها، احنا حنسيبها تحت الملاحظة النهاردة، وأنا ادّتلها أدوية وحُقَن توقّف النزيف وتسكّن الألم، وربنا يقدّرها بقى على جلسة الكيماوي اللي جايّة.

هبة: طيب أقدَر أشوفها.

الدكتور: لأ ممنوع، دي رعاية، ممكن وقت الزيارة الساعة ٦ تبصي عليها من بعيد، وبلاش عياطك ده، اجْمَدي.. أمك محتجالك أكتر من الأول, عن إذنكم.

وتسند هبة ظهرها على أقرب حائط، وتضع يدها على وجهها وهي منهارة من البكاء.

يقول أشرف: الوقفة دي بقى ما منّهاش فايدة، اهدوا يا جماعة عشان تعرفوا تبقوا معاها زي ما الدكتور بيقول, يلّا تعالوا أوصلكم البيت وأبقى أرجعكُم وقت الزيارة.

هبة: لا أنا مش منقولة من هنا، امشي انت شكرًا ليك لحد كده، احنا مش عايزين مساعدة ولا شَفَقة من حد.

أم عـلاء: إخـس عليـكي يـا هبـة، دي أصـول برضـه؟ بـدل مـا الراجـل كـتّر خـيره واقـف معانـا، بـدل مـا نبقـى لوحدينـا كـده مـن غـير راجـل، معلـش يـا أشرف يابنـي ماتاخـدش عـلى كلامهـا، هـي بـس زعلانـة عـلى أمهـا.

أشرف: لا حـول ولا قـوه إلا باللـه، لا يـا حاجّـة مفيـش حاجَـة، دا مـش وقـت زعـل، أنـا عـارف، ودي أصـول إني أقـف جنبكـم مـن غـير حاجـه واللـه، احنـا جـيران برضـه والجـار للجـار.

أم علاء: ابن أصول يابني.

أشرف: طيـب السـاعة لسّـة ماجاتـش ٢ حتـى، رجلكـوا حتوجعكـوا كـده، طيـب بصُّـوا تعالـوا نقعـد في الكافتيريـا دي حبّـة ريّحـوا رجليكـوا واشربولكـم بُـوقّ مايّـة، تعالـوا يـلّا.

هبة: قولت مش منقوله من هنا.

أم علاء: تعالِي بس يا هبة واستهدِي بالله، والله أمك حتبقى زي الفل.

وتأخذهـا أم عـلاء تحـت باطهـا وتتحـرك معهـا هبـة بصعوبـة، ويسـبقهما أشرف بخطـوات لـكي يختـار لهـما أقـرب ترابيـزة للجلـوس عليهـا، ويدخلـوا الكافتيريـا سـويًا.

أشرف: اتفضّلوا اتفضّلوا، تعالى يابني هنا شوف الجماعة يشربوا إيه.

هبة: مش عايزة حاجَة.

أشرف: طيب بُصّي، حطلب شاي لينا كلنا.. ماشي؟ ماتِكْسفِينِيش بقى.

تنظر هبة له وتستدير بوجهِها إلى الناحية الأخرى وهي صامتة.

أم عـلاء: طيـب يـا ولاد، عـلى مـا الشـاي يجـي حـروح أتكلـم في التليفـون, حكلّـم منـال يـا هبـة أحسـن تعـدّي عليّـا ماتلقنيـش فتِقلَـق.

هبة: اتفضلي يا طنط.

أشرف: خُـدِي وقتـك يـا حاجّـة، أنـا قاعـد مـع الأبلـة ومـش حسـيبها لحـد مـا نطّمّـن عـلى والدتهـا إن شـاء اللـه.

تبتسم أم علاء لأشرف وتقوم.

يجلس أشرف بجانب هبة على كرسي، ويقول: روّقِي كده يا أستاذة إن شاء الله خير، أنا فرِحْت والله لما الحاجّة أم علاء كلمتني الصبح وقالت إن انتوا وافقتوا نحدّد معاد أجيب الحاجّة وآجي أزوركم.

هبة تخبّط على الترابيزة بيدها بقوة، وتقول: بُص، أظنّ دا لا وقته ولا مكانه، ولا أنا فيّا دماغ للكلام ده.

تفاجأ أشرف من رد فعلها وبدى عليه الانزعاج، وقال: طيب طيب، أنا آسف ما أقصدش أضايقك والله، انتي صح معلش، نطّمن على الحاجّة الأول وبعدين نتكلم.

يمر الوقت والساعات، وساعات الليل طويلة على هبة وهي ما زالت تجلس على ترابيزة الكافتيريا، وتركها أشرف وأم علاء في وقت متأخر من الليل وعلى وعد للعودة مرة أخرى في صباح الغد.

تجلس هبة مكانها في الكافيتريا، يلفت انتباهها صوت هاني شاكر يأتي من مسجّل داخل الكافية يغني...

(لو بتحب حقيقي صحيح، كنت وقفت في وش الريح، كنت ما سبتش قلبي جريح وسط النااااار

لو كان قلبك لسّة بريء، تحكم ظلم إزاي في بريء

وتسيب قلبي لوحده غريق في التيااااار

لو بتحب حقيقي بقلبك، كنت عرِفت تخاف على حبك

كنت ماتردّدْش ثواني إنك تسكن بين أحضاني، مش في دقيقة تروح تنساني بدون أعذار

لو حبّتني ماكنتش تقدر، تخدع قلبي في حبك أكتر

أكتر ما اتحمّلت غيابك، واستنيت ودموع على بابك

يبقى نصيبي أعيش في عذابك ليل ونهاااار)

يمـر الوقـت وتغرق هبة في دموعها وشرودها ووحدتها وخوفها من مسـتقبل مجهول.

تـأتي السـاعة التاسـعة صبـاح اليـوم التـالي، تقـف هبـة أمـام غرفـة الرعايـة، تجـد الدكتـور خـارج منهـا فتقـول لـه: طمّنّـي يـا دكتـور.

الدكتـور: الحمـد للـه وقَفْنـا النزيـف وعملنـا سـونار وعرفنـا الحالـة بالظبـط، هـي المفـروض حتخـرج كـمان شـويّة عـلى غرفـة عاديـة تقعـد كـده تحـت عنيّـا يومـين، يعنـي النهـاردة وبُكـرة كـده، وممكـن تخـرج التـلات الصبـح بـإذن اللـه، وحتمـشي عـلى العـلاج الـكام يـوم هنـا، والتمريـض أنـا موصّيـه عليهـا، ولمـا تخـرج حكتبْلِـك العـلاج الجديـد.

هبة: طيّب الحمد لله.

بعـد سـاعات قليلـة تخـرج أم هبـة مـن الرعايـة لغرفـة في المستشـفى، وتلازمهـا هبـة لحظـة بلحظـة.

تأتي أم علاء وأشرف ووالدة أشرف لزيارتها.

يطرقوا باب الغرفة.. تقوم هبة بفتح الباب.

أم علاء: صباح الخير على الحلوين.

هبة: أهلًا اتفضلوا.

وتنظر لأشرف ومن معه باستغراب ولا تعلم من هذه السيدة التي ترافقه!

يقـول أشرف: حمـد اللـه عـلى سـلامتك يـا حاجّـة، إن شـاء اللـه مفيـش تعـب تـاني، والـدتي جـات معايـا مخصـوص عشـان تطّمّـن عليـكي واللـه.

أم هبة بصوت يملأه الوهن والتعب: أهلًا وسهلًا، خطوَة عزيزَة، اتفضّلوا.

تجلـس أم أشرف بالكـرسي بجـوار السريـر الـذي تسـتلقي عليـه أم هبـة وتقـول لهـا: حمـد اللـه عـلى السـلامة، دا أنـا أشرف حـكالي واللـه وزعلـت جـدًا، بـس إن شـاء اللـه تقومـي مـن هنـا بألـف خـير.

تقول أم علاء: تشربوا إيه يا جماعة؟ عصير ولا شاي؟

أم أشرف: لا ولا أي حاجة، إن شاء الله بقى العصير والشاي نشربه في البيت لما نطّمّن على أم هبة أمّا تروّح بالسلامة.

تقول أم أشرف لأم هبة: احنا طبعًا كنّا متفقين مع أم علاء وأشرف بلّغني إن احنا متّفقِين مع أم علاء إننا هنيجي يوم الخميس، بس احنا كده هنأجلها.

ترد هبة وتقول: طبعًا هنأجلها.

وقبل أن تستكمل هبة حديثها تقاطعها أمها وتقول: لا مفيش تأجيل، أنا إن شاء الله بُكرة أو يوم التلات بالكتير هخرج من هنا بالسلامة، وإن شاء الله على معادنا يوم الخميس وربنا يقدّم اللي فيه الخير، وإن شاء الله مفيش أي خلاف وأنا لازم أفرح بيهم.

هبة تقول لأمها: هو ده وقته يا ماما، الكلام في الموضوع ده؟! مش لما نطّمن عليكي.

ترد أم هبة وتقول: أنا الحمد لله كويسَة، وأنا مش هرتاح ولا أبقى كويسة إلا لمّا أطّمّن عليكي وانتي لابسَة دبلتك ومع حد يصونك إن شاء الله، وأشرف باين عليه ابن حلال.

ينظر أشرف إلى هبة بنظرة حب وابتسامة كبيرة؛ فقد جاء اليوم الذي ينتظره من فترة.

تتأفّف هبة بداخلها وتبتسم ابتسامة صفراء حتى لا يرى مَن حولها ما هي فيه بداخلها.

تجلس أم أشرف وأشرف لحظات قليلة، ويتركوا أم هبة وهبة على موعد بلقائهم يوم الخميس إن شاء الله، عندما تخرج أم هبة من المستشفى.

تقول أم علاء لأم هبة: كنتي أجّلتِيها أسبوع كمان يا أم هبة لحد ما نطّمّن عليكي.

أم هبة: لا ازاي أأجّلها؟ أنا مش عايزه أأجّلها، دا أنا نِفسِي النهاردة قبل بكرة أشبُكها وأفرَح بيها، أنا حاسّة إن أنا خلاص في آخر أيامي، ونفسي أطّمّن عليها قبل ما أموت.

هبة: ماما، انتي كده بتضْغَطِي عليّا، وأنا مش عايزة أزعّلِك.

تبكي أم هبة وتقول لها: لو بتحبيني وأنا غالية عندك ونفسك أموت وأنا راضية عليكي وأدعيلك دنيا وآخرة يا بنتي؛ تحقّقِيلي أمنيتي دي, هو صعب عليكي تعمليلي حاجة أنا بحبّها قبل ما أموت؟ أنا طول عمري عايشة تحت رجلِك وبين إيديكي، وبعمل لك اللي انتي عايزاه، ودفَنت حياتي وشبابي من بعد ما أبوكي سابني عليكي عشان أربيكي وأعلّمك، وجيه اليوم اللي لازم تردّيلي فيه المعروف ده.

تقول هبة: بعد الشر عليكي يا ماما ماتقوليش كده، خلاص حاضر اللي انتي شايفاه، وأنا عمري ما حزعّلك ولا أقدر إنك في يوم من الأيام تكوني زعلانة.

تقول أم هبة لابنتها: كلّميلي خالتك في التليفون.

هبة: إيه لازمة خالتي دلوقتي؟! هو لسّة فيه حاجة؟

أم هبة: لا هو عشان تبقى معانا يا بنتي، وابنها إبراهيم يبقى موجود، يبقى راجل معانا بدل ما نبقى يومها كده مقطوعين من شجرة، وفي نفس الوقت أنا عايزة أطّمّن عليها وأطمّنها عليّا، وهي هتزعل لو عرفت إن أنا تعبانة ودخلت المستشفى من غير ما نقول لها.

تقول أم علاء: إخس عليكي يا أم هبة؛ برضه انتوا مقطوعين من شجرة؟ وأنا روحت فين؟ دا أنا اليوم ده والله منال وأميرة واعدِينّي إن همّا هيجوا من قبلها بيوم ننضّف الشقة ونعمل حاجات حلوة، ونلبّس هبة ونبقى معاها ونطلّعها لأهل عريسها ولعريسها في أحسن منظر.

تقول أم هبة: طبعًا يا حبيبتي، دا احنا أهل واخوات وأصحاب العمر كله، وأنا ماليش غيركوا هنا.

تقول هبة: حاضر، هكلمها آخر النهار.

أم هبة: لأ.. دلوقتي حالًا تروحي تكلميها.

تترك هبة أمها وأم علاء، تخرج خارج الغرفة وتأخذ نفسًا عميقًا؛ فهي كل ما

يـدور بداخـل الغرفـة لا يسـعدها ولا يرضيهـا، ولكـن هـي الآن أمـام اختيـار كبـير؛ أن تـرضي والدتهـا وتريحهـا وهـي في أيامهـا الأخيرة، وأن تُـرضي نفسـها وغرورهـا وأحلامهـا المؤجّلـة.

تذهـب هبـة إلى التليفـون، تتحـدّث إلى خالتهـا وتحـكي لهـا مـا وصلـت إليهـا حالـة أمهـا، وخالتهـا تقـول لهـا: غـدًا سـوف نـأتي إليكـم للاطمئنـان عـلى والدتـك.

أم هبـة وأم عـلاء في الغرفـة، وأم عـلاء تقـول لهـا: ألـف مـبروك يـا أم هبـة، شـدّي حيلِـك يـلّا عشـان يـوم الخميـس نطمّـن عـلى هبـة ونتفـق عـلى كل حاجـة، وإن شـاء اللـه نقـرا الفاتحـة عـلى طـول.

تقـول أم هبـة لأم عـلاء: أنـا طـول عمـري بجهّـز في هبـة وجهازهـا جاهـز، يعنـي إن شـاء اللـه لـو اتفقنـا ومفيـش أي خـلاف، وأنـا مـش حوقِـف ولا حعرقِـل حاجـة عشـان الجـوازة تمـشِي، وإن شـاء اللـه نقـرا الفاتحـة عـلى طـول ونشـوف هـما إمكانياتهـم إيـه.

ينتهـي اليـوم ويـأتي اليـوم التـالي ثـم التـالي، ويـأتي يـوم الثلاثـاء، تخـرج أم هبـة مـن المستشـفى بسـلام وتكـون أختهـا وصلـت مـن البلـد هـي وابنهـا وابنتهـا, تجلـس هبـة وأهلهـا جميعًـا وأم عـلاء في صالـة منزلهـم تتحـدث معهـم عـلى مـا سـوف يحـدث يـوم الخميـس, تقـول خالـة هبـة: إيـه يـا أم هبـة، انتـي بعـد مـا حـدّدتي وكل حاجـة باعتالنـا، طيـب باعتّالنـا ليـه بقـى؟

أم هبـة: لا يـا حبيبتـي واللـه، أنـا مـا حـدّدت ولا حاجـة، ده النـاس لسّـة جايّـين يشـوفوها، كل الموضـوع إن أنـا اليـوم الـلي كنـا اتفقنـا فيـه إن هـما يجـوا أنـا تعبـت ودخلـت المستشـفى، ومـش أنـا كـمان الـلي كلمتهـم، دا أم عـلاء الـلي كانـت وسِـيط بينّـا.

تقـول أم عـلاء: يـا حبيبتـي ماتزعليـش واللـه، دا الموضـوع كلـه جِيـه فجـأة وأنـا الـلي كنـت موجـودة، كنـت معدّيـة فـأشرف وقّفنـي وقـال لي وأنـا قولـت لأختـك، وأختـك قالتـلي حـدّدي معاهـم معـاد، واليـوم الـلي حدّدنـا فيـه عـلى إنـه الخميـس الجـاي أختـك تعبـت ودخلـت المستشـفى ومالحِقنـاش نبلـغ حـد.

تقول خالة هبة: طيب ربنا يتمّم على خير يارب، وإن شاء الله تفرحي بيها.

تقول أم هبة: نفسِي وأمنية حياتي أفرح بيها قبل ما أموت.

تقول أختها: بعد الشر عليكي يا حبيبتي، إن شاء الله تفرحي بيها، ما هي بنتك اللي دماغها ناشفة، لو كانت وافقت على إبراهيم من السنة اللي فاتت كان زمانك مطمّنة عليها، وكان زمانها في وسطينا وأنا كنت حطيتها في عيني.

تقول هبة لخالتها: خلاص يا خالتي، كل شيء نصيب، وده مش وقته، وانتي فِكرِك يعني أنا موافقة ولا راضية على أشرف ولا على غيره؟ أنا نِفسي أكمّل تعليمي وأكمّل كليتي، بس أنا ماما اللي مش راضية ومصمّمة، وأنا مش عايزة أزعلّها.

تقول خالة هبة: ليه يا بنتي؟! أمك خايفة عليكي ونفسها تطمّن عليكي واحنا كمان, احنا ستات وولايَا ولازم يكون ليكي راجل وسند.

يستكملوا الحديث لترتيب يوم الخميس، ويأتي يوم الأربعاء، وتأتي منال وأميرة إلى أمهم وينزلوا لزيارة أم هبة والاطمئنان عليها وترتيب أحداث يوم الخميس، ويختاروا مع هبة ملابس هذا اللقاء ويرتبوا المنزل ويجهزوه بالورد والشموع وتحضير الحلوى والمشربات التي ستُقدّم يوم الخميس.

يأتي يوم الخميس الساعة السابعة، ويأتي أشرف وأمه وأخته للتعرف على هبة وأمها ويتحدثوا سويًا على كل شيء بخصوص الخطوبة.

تقول أم هبة: عايزة في أسرع وقت يا جماعة نحدّد قراية الفاتحة، أنا تعبانه ويا عالم لو عيشت النهاردة مش حعيش بُكرة.

تقول أم اشرف: إن شاء الله كله خير يا حبيبتي.

تقول أم هبة: أنا مجهّزة هبة بجهازها الكامل وكله موجود، وإن شاء الله مفيش أي خلاف.

تقول أم أشرف: واحنا كمان جاهزين من جنيه ل ١٠٠ ألف جنيه، وأحلى عفش حيجيلهم، وانتوا عارفين إن أشرف له شقة في بيت أبوه، وده ابني الوحيد، وأنا مش

حبخل عليه بحاجة، وشغله مضمون وكسّيب، وبيكسب من وقفته في معرض أبوه اللي هو معرضه.

يقول أشرف: خلاص يا جماعة، إن شاء الله أول الشهر اللي جاي ميعاد الخطوبة.

ترد هبة تقول: معلش يا جماعة مش حينفع أول الشهر عشان امتحانات الجامعة بتاعتي.

تقول أم اشرف: جامعة إيه يا حبيبتي؟ احنا بنتكلم في جواز وخطوبة وانتي تقولي جامعة.

تقول هبة: ما أنا مش حسيب جامعتي، وده أول شرط لموافقتي على الجواز.

تقول أم اشرف: وده تعقيد يعني؟!

يقف أشرف وينظر إلى أمه، ويقول لها: خلاص يا ماما، اللي الأستاذة عايزاه أنا حعمله.

تقول أم أشرف: الأستاذة! خلاص يا حبيبي شيلوا الألقاب، دا انتوا خلاص بقيتوا في حكم المخطوبين، واحنا خلاص قرّبنا نقرا الفاتحة.

يقول أشرف: لا طول ما هي بتتعلم وطول ما أنا لسّة ماكتبتش عليها حتفضل الأستاذة, خلاص نستنّى نقرا الفاتحة الخميس الجاي عشان بس أقدر أزُورها ولّا أوصّلها بالعربية الجامعة، أو أي حاجة أقدر أشوفها، وإن شاء الله بعد ما الامتحانات بتاعة الأستاذة تخلص نحدّد الخطوبة.

تقول أم هبة: لا مش خطوبة، أنا عايزة كتب كتاب على طول.

تقول هبة: ماما.....

تقول أمها: شششششش، أنا عايزة كتب كتاب على طول يا جماعة، دي الأصول، ما دام حنلبّس شبكة ونخطب يبقى نكتب الكتاب, احنا اتنين ستات ولايَا عايشين لوحدنا، وماينفعش أشرف يفضل داخل طالع علينا الفترة دي كلها من غير ما يكون ليه شكل رسمي قدام الناس, الخطوبة حتمنعه إنه يدخل علينا أو ياخدها ويخرج؛ عشان كده لازم نكتب الكتاب وتبقى مراته يدخل يخرج

يبـات محـدش مـن الجـيران ولا مـن أهـل الحتّـة ياكلـوا وشّـنا، ولا إيـه؟! مـش دي الأصـول.

يـرد أشرف يقـول: ونِعْـم يـا حاجّـة، أنـا كان نفـسي أقـول كـده بـس خُوفـت انتـوا الـلي ترفضـوا.

تقـول أم هبـة: لا يـا حبيبـي إزاي؟ أنـا عارفـة الأصـول كويـس، وهـو ده الـلي لازم يحصـل.

هبـة غـير راضيـة عـن الـذي يحـدث تمامًـا، وكل الـكلام الـذي تسـمعه، مـن داخلهـا رافضـة لـه، لكـن ليـس بيدهـا أي حيلـة غـير أنهـا تقـول حـاضر ونعـم لتحقيـق أمنيـة والدتهـا وهـي في أيامهـا الأخـيرة وفي عـزّ مرضهـا.

وينتهي اليوم على هذا الوضع.....

تمـر الأيـام عـلى هبـة تشـبه بعضهـا، مسـلوبة الـرأي والإرادة تقـول حـاضر عـلى أي شيء، ونعـم لأي شيء، جميـل عـلى أي شيء.

يـأتي يـوم قـراءة فاتحتهـا عـلى أشرف، تقـوم عـلى صـوت زغاريـد أمهـا وخالتهـا وابنـة خالتهـا، وصـوت أم عـلاء ومنـال وأمـيرة في صالـة بيتهـا.

تدخـل عليهـا بنـت خالتهـا رشـا وتقـول: قومـي يـا هُوبـا يـلّا، دا وقـت نـوم، يـلّا لسّـة حـنروح للكوافـير ونظبّـط حالنـا.

هبة: كوافير عشان قراية فاتحة؟! إمال لو دُخلة حتعملوا فيّا إيه؟!

رشـا: لا زمانّـا بنعمـل حاجـة تانيـة هههههههههـه.. مالـك يـا هبـة أنـا حاسـه إنـك مـش مبسـوطة؟

هبـة: يـاااااااه أخـيرًا حـد سـألني مالِـك وحَـسّ إني مـش مبسـوطة، بقالكـوا أسـبوع محـدّش لا حَـسّ ولا سـألني مالِـك.

رشـا: بُـصّي يـا هبـة يمكـن أنـا أصغـر منـك آه، وماكمّلتـش تعليمـي زيـك آه، بـس كل شيء في الدنيـا دي نصيـب، خصوصًـا الجـواز ومـادام نصيبـك جيـه ماتقدرِيـش تهـربِي منـه، المهـم إنـك تعيشـيه زي مـا انتـي عايـزة، وبالتفاهـم والعقـل تقـدرِي تعمـلي كل

اللي نفسك فيه, أنا شايفة أشرف غلبان وبيحبك، وممكن لو كسبتيه يعمل لك كل اللي نفسِك فيه، ومادام مقتدِر ماديًا يبقى مش حيبقَى فيه مشاكل أبدًا، ولو على الحب حيجِي بالعِشرَة زي ما كلنا حبّينا أجوازنا بالعِشرة، وأنا أهو بقالي سنة متجوّزة وحامل، وأخدت على طبع جوزي وأهو عايشة, وإبراهيم اللي كان مايعجبهوش واحده في بلدنا نصيبه جابُه في قَدريّة، كانوا أول جوازهم صوتهم يجيب البَرّ كله ومع الوقت خدُوا على بعض ويتمنّالها الرضا ترضَى، خصوصًا بعد ما جابوا يوسف ابنهم, ارضِي بنصيبِك يا بنت خالتي وماتبصيش لفوق.

وتشاور لها رشا بأصبعها وعينها على سقف غرفتها تلميحًا لها بأنها تعرف موضوع علاء، وتقول: يلّا يا بنت بسمة قومي البسي خلّينا نلحق وقتنا.

وتتركها في غرفتها وتخرج.

تخرج هبة خلفها تجد الجميع في صالة بيتها وسط أمها وخالتها يتمايلون ويصفّقون على أنغام أغنية يا دبلة الخطوبة.

ترى هبة لمعة فرح في عين أمها وابتسامة لم ترها من قبل، وأول ما تراه أمها تقوم وهي تصلِب ظهرها وتنسَى تعبها وآلامها، وتجري على هبة وتأخذها بالحضن، والدموع السعيدة تملأ عينيها، وتقول لها: مبروك يا روح قلب أمك، عايزاكي قمر النهاردة، فاهمة؟

هبة تنظر في عين أمها وتهزّ رأسها بالموافقة، وتبتسم وتقول بداخلها: فداكي مستقبلي وسعادتي يا أمي، وأفضل شايفة الابتسامه دي على وشّك طول العمر.

تنزل هبة وبنت خالتها رشا وأميرة بنت أم علاء في طريقهم إلى الكوافير, تجلس هبة بجوار نافذة الشباك وتسرح في دنياها الجديدة التي تخطوها رغمًا عن إرادتها، وتتوه في عالمها الذي كانت تحلم أن يتحقق، وتخرج من شرودها عندما تسمع أغنية هاني شاكر التي شغّلها سائق التاكسي وكأنها رسالة يوجّهها القدر لها لآخر مرة، كلماتها؛ (نسيانك صعب أكيد، مالهوش غير حل وحيد، أبدأ من تاني حياتي وأصادف حب جديد، ولون الحب التاني مش حيرجعلي زماني، ولا

حيعـوّض حرمـاني الـلي في حبـك بيزيـد، لكـن طـول مـا انـت في بـالي صورتـك دايمًـا في خيـالي، نسـيانك صعـب أكيـد... نسـيانك صعـب أكيـد)

تسقط من عينِها دموع لا تعرف سببها..

ينتهـي النهـار كـما رتّـبَ لـه الجميـع، وبلغـت السـاعة السادسـة مسـاءً وجميعهـم في انتظـار وصـول العريـس وأهلـه السـاعة السـابعة.

تظل هبة في غرفتها، وتتجول في الغرفه ذهابًا وإيابًا.

تدخل عليها أميرة وتقول: احنا حنقلق من دلوقتي ولا إيه؟ لسّة فاضل ساعة.

تنظـر هبـة الى أمـيرة وتقـول: أبلـة، انتـي طـول عمـرك أختـي الكبـيرة وصاحبتـي، أنـا عايـزة أعمـل حاجـة لآخـر مـرة.

أمـيرة: أنـا فاهـماكي يـا هبـة، وعارفـة انتـي عايـزة إيـه، بـس فِكـرِك حترتاحـي لـو عملتِـي كـده؟

هبة تهز رأسها بالموافقه والدموع تسقط منها.

تقول أميرة: طيب تعالي معايا.

وتأخذها من يدها وتخرج بها من غرفتها متجهة إلى باب الشقة.

تنادي أم هبة عليهما: الله! على فين يا بنات؟

أميرة وهي متلقلقة: دا احنا طالعين فوق بس ٥ دقايق.

أم علاء: ليه خير؟!

هبـة تنظـر إلى أمـيرة، وتـرد أمـيرة: أصـل... أصـل شـعر هبـة فـكّ والمكـوَة بتاعتهـا بـاردة أوي، فهعِيـد عليـه بسرعـة فـوق بالمكـوَة بتاعتـي ونـنـزل بسرعـة.

تقول أم هبة: إن شالله يخليكي يا أميرة ويبارك في ولادك يارب.

تصمت أم علاء؛ فهي تعلم أن ابنتها تكذب، ولكن لا وقت للاستفسار.

تخـرج هبـة و أمـيرة مـن بـاب شـقتها وتصعـد مـع أمـيرة إلى شـقتها، وتدخـل مـن البـاب إلى الصالـون حيـث يوجـد التليفـون وبجـواره أجنـدة التليفونـات، وتطلـب

السنترال وتقول نحتاج إلى مكالمة دولية، وتمليهم رقم علاء وتعطي السماعة لهبة، وتتركها وتغلق الباب عليها، وتنتظر بالخارج وتقول: ماتطوّليش عشان الناس اللي جايّة.

تبتسم لها هبة وهي مستغربة؛ لهذه الدرجة أميرة تفهمها وتشعر بها وتتعاون معها.

تضع هبة السماعة على أذنها وصوت دقات قلبها أعلى من صوت جرس الهاتف الذي يدقّ في أذنها.

على الجانب الآخر علاء بالصدفة يفتح باب شقته بعد عودته من شغله، يسمع صوت التليفون، يتجه إليه وهو ينادي على زوجته ولم تُجِبه.

يضع السماعة على أذنه وهو يستغرب أين ذهبت هذه المرأة! ويقول: ألو...

تسمع هبة صوته، تحاول أن تستجمع قواها وتبلع ريقها، وهو على الخط الآخر يكرّر: ألو ألو...

تتشجع هبة وتقول: ألو... أبيه علاء؟

علاء يجلس مسرعًا إلى أقرب كرسي بجوار التليفون وظهره لباب الشقة، يأخذ نفسًا عميقًا بعد أن تسارعت دقات قلبه لسماع صوت هبة الغير متوقع.

علاء: ألو.. هبة؟

هبة: أيوة أنا هبة.

علاء: إزيك؟

هبة: أنا الحمد لله، وانت ازيك؟

علاء: الحمد لله.

هبة: انت عارف إن قراية فاتحتي النهاردة؟

علاء: آه، أمي قالت لي.

هبة: وانت إيه رأيك؟

علاء يصمت ولم يرد.

هبة: قولها يا علاء، قولها ولو لمرة واحدة، واجه نفسك بحُبّك ليا وطز في الناس والمجتمع، المهم احنا، قولها ولو بإشارة إنك بتحبني وعايزني، وأنا أبيع الدنيا كلها وأستنّاك.

علاء: ماعادش ينفع يا هبة، ماعادش ينفع قبل ما آجي هنا وأتجوز وأبقى مسئول عن واحدة كل ذنبها إنها استأمنتني، ماعادش ينفع حتى لو مش مبسوط، حتى لو عايش غصب عني، برضه ماعادش ينفع، فات الأوان.

هبة: يعني ده آخر كلام عندك؟ انا كده أبقى عمَلت اللي عليّا للآخر، ماتلومنيش مع الوقت.

علاء: انزلي يا هبة لضيوفك وعريسك وافرحي وفرّحي أمك وانسيني، ربنا يوفقك.

ويضع علاء السماعة لكي ينهي المكالمة قبل أن كلام هبة وصوت دموعها ودقات قلبها يجعلوه يضعف ويعترف لها باحتياجه وحبه.

ينتبه من شروده على صوت زوجته التي عادت من الخارج وواقفة خلفه ولم يشعر بها.

تقول وهي تنظر بسخرية: مش دي هبة بنت بياعة الهدوم جارتكم؟!

علاء: بياعة الهدوم! آه خير؟!

سلوى: لا أبدًا، كانت عايزة منك إيه بقى؟

علاء يقف من مكانه ويهرب من النظر في عين زوجته، ويقول: ولا حاجة، قراية فاتحتها النهاردة وهي بتبلّغني، ما انتي عارفة أنا اللي مربّيها وبتعتبرني أخوها الكبير، وبتقول لي يا أبيه.

سلوى: هههههههه، طيب يلّا يا أبيه، أنا كنت في السوق وجيبت بيتزا وأنا جايّة، تعالى نتغدى.

وتتركه وتذهب في اتجاه السفرة..

على الجانب الآخر مازالت هبة رافعة السماعة، ورغم عدم وجود صوت فيها تنتبه على صوت أميرة تطرق عليها باب غرفة الصالون، وتنادي: يلّا يا هبة أمك وأمي فضحونا؛ عمّالين ينادوا بيستعجلونا.

وتضع أميرة السماعة من يدها وتحاول أن تخفّف عنها حزنها وتمسح دموعها، وتقول لها: انسي يا هبة.. انسي، أنا خلّيتك تكلميه عشان تعرفي إن الصح اللي بيحصل دلوقتي, يلّا اضحكي وانزلي فرّحي أمك وافرحي، دا انتي عروسة.

وتنزل هبة مع أميرة.

تدخل غرفتها... تجلس علي كرسي في الشرفة منتظرة الدقائق الأخيره حتى يأتي موعد أشرف، تقوم بالضغط علي التسجيل لكي تخرج نفسها وتفكيرها من حزنها، ولكن ما زالت لعبة القدر تستمر؛ فهي لا تتذكر ما هو شريط الكاسيت الموجود داخل المسجل، وبمجرد الضغط عليه تسمع صوت هاني شاكر يقول:

(اتمدّت الإيدين هربِت دموع العين

واتسمّر الزمن ما بين العاشقين

لا سألته نعمل إيه، ولا قال لي حنروح فين وهما الكلمتين

قال لي مع السلامة، وأنا قولت مع السلامة وماتِت الابتسامة

ماتت الابتسامة وبردِت الإيدين آهين آهين آهين

يلّا السلامة من ده اليوم الحزين

دا وداع فقير مايلِقش بالجراح

ولا بالحب الكبير ولا بالحلم اللي راح

دا كان وداع فقير مايلقش بالحكاية

وكأنه خيط حرير وقطعناه من البداية)

وتنتبه به على صوت أمها تغلق الكاسيت وتقوم.

مر يوم قراءة فاتحتها ومرت أيام كثيرة بعدها...

وجـاء أول يـوم امتحـان هبـة وهـي مسـتعده للامتحـان؛ فالمذاكـرة هـي مهربَها الوحيـد في تلـك الأيـام السـابقة.

تنزل هبة من منزلها تجد أشرف واقفًا تحت منزلها..

أشرف: صباح الخير يا جميل, أنا جيت أهو عشان أوصّلك.

هبة: توصّلني ليه؟ أنا حروح لوحدي.

أشرف: تروحي لوحدك ده إيه؟ انتي مخطوبة للُوسي!

هبة تضحك وتقول: لوسي!!

أشرف: آه، يلّا اركبي حتتأخري.

تركب هبة...

يقول أشرف: هي الامتحانات حتخلص امتى؟

هبة: لسّة ٢٠ يوم تقريبًا.

أشرف: حلو... هانت أهيه.

هبة: هانت على إيه؟

أشرف: عشان نكتب الكتاب ونعلّي الجواب.

هبة: آه، ربنا يسهل... ربنا يسهل.

أشرف: حتخلّصي الساعة كام بقى؟

هبة: ليه؟!

أشرف: عشان آجي أخدك.

هبة: لا لا، مفيش داعي.

أشرف: دا ازاي يعني؟ إمال أسيبك للمواصلات ولا التاكسيات، دا اسمه كلام!

هبـة: أصـل حقـف مـع أصحـابي شـويّة بعـد الامتحـان آخـد منهـم مذكـرات وحاجـات مهمـة للـمادة الجايّـة.

أشرف: وأصحابك دول بنات ولا شباب؟

هبة: نعم؟!

أشرف: إيه؟ بلاش أسأل؟!

هبة: لا بس صيغة السؤال لسّة بدري عليها شوية.

أشرف: شوفي يا أبلة.. لا أبلة إيه بقى، شوفي يا هبة.

هبة: شوف انت يا أشرف، وياريت تسمَعني للآخر، أنا الجواز والخطوبة ماكانوش في دماغي أصلًا، ولو كنت وافقت على حاجة فهو عشان أمي وحالتها اللي انت شوفتها بعنيك؛ لأن هي من وجهة نظرها إن الجواز سُترة وإنها كده حتبقى مطمّنة عليّا لو جرالها حاجة.

أشرف: ووجهة نظرِك انتي إيه؟

هبة: وجهة نظري إننا لسّة يادوب قراية فاتحة، يعني مش كل الصلاحيات من حقّك، وبلاش تقتحم حياتي مرّة واحدة كده وأحس إنك رقيب عليّا وعلى تصرفاتي، أظنّ أنا عايشة طول عمري لوحدي وعمرك ما سمِعت عني كلمة مالهاش لازمة، فياريت يكون فيه فرصة نتعرّف على بعض واحدة واحدة من هنا لحد كتب كتابنا من غير أوامر ولا شروط.

أشرف: معنى كده إنك موافقتيش عليّا بمزاجك، وكله عشان الست الحاجّة، يعني مغصوبة على الجواز، صح؟

هبة: مش موضوع مغصوبة ولا راضية، موضوع إننا عايزين وقت بس نحاول نفهم بعض.

أشرف: لو على الوقت نصبُر مفيش مشكلة، وكلها شهر بالكتير وتبقِي خطيبتي رسمِي ومراتِي كمان، وساعتها برضه حسألك أصحابك بنات ولا شباب.... ويضحك.

تصل هبة إلى جامعتها، ويمر أول يوم امتحانات على خير، وتمر باقي الأيام حتى يأتي آخر يوم ويذهب أشرف لهبة الجامعة ليأخذها كما تعوّد طوال فترة الامتحانات، ويقول أشرف: الحمد لله خلّصتِي على خير، عقبال كل سنة وبالنجاح

إن شاء الله, حسيبك يومين ترتاحي، وبعد يومين بالظبط حستنّى منك تليفون عشان نحدّد كتب الكتاب بقى.

هبة: انت مستعجل كده على طول؟

أشرف: وما أستعجلش ليه؟! أنا وفّيت بوعدي وخلّيتك تخلصي امتحانات أهو، نستنّى ليه تاني؟

هبة: أشرف هو انت بعد كتب الكتاب حتخلّيني أكمّل تعليمي؟

اشرف: ومالـه العلام مش وحش، كمّلي لحد ما تقولِي استكفيت، مادام ده حيرضيكي وحتكوني مبسوطة خلاص، بس طبعًا بعد الجواز.. الجامعة والمذاكره ميأثروش على بيتك وتهمِليني، بقى جوزك حبيبك ولا إيه؟

هبة: آه طبعًا، إن شاء الله.. ربنا يسهل.

أشرف: حمد الله على السلامة يا جميل، وزيّ ما قولتلك يومين بالكتير ونحدّد معاد الفرح، تمام؟

هبة: إن شاء الله, سلام.

.....

على الصعيد الآخر علاء في غربته، وكل يوم يمر يثبت له سوء اختياره لسلوى عن اليوم الذي قبله؛ فهو اختار الجمال والمنصب، ولكن ليست كل امرأة تصلح لأن تكون زوجة؛ فالشكل ممكن أن يتغير، ولكن الطبع صعب تغييره، وإن الزواج دون حب كالمريض الذي يحتاج الى تنفس صناعي دائمًا؛ فهو لا يستطيع أن يعيش دون تنفس، ولكنه ليس لديه القدرة على التنفس أصلًا.

علاء: مالِك؟! بقالك كام يوم كده ما بتخرجيش زي العادة يعني وقاعدة في البيت.

سلوى: حاسّة إني تعبانة شويّة.

علاء: تعبانة ازاي يعني؟

سلوى: مش عارفة بس مش مظبوطة.

علاء: طيب ما نكشِف لو تحبي.

سلوى: ماشي، بس ممكن بكرة، أنا مش قادرة أنزل النهاردة.

علاء: طيب، أنا واخد بُكرة أجازة عشان عايز أروح البنك أبعت لأمي واخواتي فلوس, لو تحبّي تنزلي معايا ونعدّي نكشف بعد ما أخلص ونطّمن.

سلوى: إن شاء الله، بس قول لي هو انت حتحوّل لهم كام؟

علاء: دا اشمعنى يعني؟ يخصّك في إيه؟

سلوى: يعني إيه يخصني في إيه؟! مش أعرف.

علاء: لا طبعًا، دي حاجة بيني وبينهم، وخصوصًا أمي.

سلوى: طيب أمك وقولنا معلش... لازم تبعتلها، لكن إخواتك ليه بتبعتلهم؟ مش هما متجوّزين ومسئولين من رجالتهم.

علاء: بُصّي... عشان الموضوع ده مايتفتحش تاني، أنا بالنسبة لإخواتي أبوهم وأخوهم الكبير، مش معنى إنهم متجوّزين إنهم مايكونش ليهم دخل، لا طبعًا، دول مسئولين مني.

سلوى: آه مسئولين منك, بس أنا ماما قالتلي إنك مش ملزوم تبعت ليهم ولا تجيبلهم حاجة، ولو جِيبت يبقى من باب الذوق كده مش فرض عليك.

علاء: ماما! ماما دي هناك تقول اللي عايزاه براحتها، مالهاش إنها تدّخل في حياتي، وبعد كده أي حاجة تخصّني وتخصّ عيلتي ياريت ماتتحكيش لماما، وكفاية بقى كلام.

ويتركها ويدخل غرفته الأخرى التي يجلس فيها عندما يريد أن يهرب من سخافات سلوى، يرى الكاسيت موجود على المكتب، يفتح درج المكتب يجد أكثر من شريط كاسيت، منهم شرائط خاصة بالموسيقى التي كان يسمعها قبل زواجه، ويلفت انتباهه وجود شريطين مكتوب عليهما هاني شاكر.

يتذكر هبة وأيام أغاني هاني شاكر التي كانت تخرج من حجرتها دائمًا، يختار شريطًا منهما بشكل عشوائي ويضعه في الكاسيت، ويجلس على كرسي المكتب ويضع رجله على سطح المكتب ويشغّل الكاسيت، وتبدأ الموسيقى، يضع يده وراء رأسه ويستمع إلى أغنية هاني شاكر، وتقول:

(أيوه سيبتك غصب عني... القدر كان أقوى منّي

بس وحياتك ماخُنتش غلطتي إني مقولتش

عن سبب بعدي ورحيلي لما كنتي بتندهيلي

ارجعيلي

انتي أول حب عيشته... انتي آخر حُب عيشته

أحلى حلم في يوم حلمته... صدقيني وارجعيلي

نِفسِي أقول لك لسّة دايب في اشتياقي

واللي بيسكتني خوفي وكبريائي)

يشعر علاء بضيق ويتذكر هبة وحبه لها، يغلق الكاسيت ويذهب إلى النوم وهو يهرب حتى من نفسه عندما يحاول التفكير فيها....

ويأتي ثاني يوم.. يقوم علاء وينادي على سلوى لكي تقوم وتجهّز نفسها لكي تنزل معه.

ينهي علاء مشواره ويذهب معها إلى المستشفى، ويتم الكشف على سلوى ويكتشفا سويًا أن سلوى حامل.

يشعر علاء بالذهول والفرحة والخضة في نفس الوقت.

أما سلوى: ما تقول حامل. وتصمت.

ويخرجا سويًا ويعودا للمنزل، يقول علاء: أنا لازم أكلّم ماما وأقول لها، دي حتفرح أوي.

سلوى: لو سمحت يا علاء ماتعرّفش حد دلوقتي.

علاء: ليه خير؟

سلوى: كده.. لحد بس ما أفكر كويس حعمل إيه.

علاء: تعملي إيه في إيه؟!

سلوى: انت عارف يعني إيه حمل، يعني بطني تكبر وجسمي يبُوظ ،ومفيش بقى لا خروج ولا دخول ورضاعة وبامبرز, لا لا أنا مش مستعدة لده دلوقتي.

علاء ينظر لها باستغراب ويقول: انتي بتتكلمي بجد؟

سلوى: آه طبعًا بتكلم بجد، أنا عاملة حسابي إني مش قبل ٥ سنين على الأقل، تكون انت جبت عربيّة أحدث موديل وفيلا والشغالة الفلبينية، وبعدين أخلف وأنزل أعيش في مصر.

علاء: ياااااه ده انتي مخطّطة زي ما تكوني عايشة لوحدك, وأهو ربنا خلَف ظنّك وحمِلتي، وإن شاء الله برضه كمان ٥ سنين حيكون عندنا كل ده.

سلوى: لا طبعًا، دا حمل تاني ومصاريف تانية.

علاء: يا ستي هو أنا اشتكيت لك؟

سلوى: برضه ماتعرّفش حد لحد ما أكلم ماما وأعرف وأرتب معاها حعمل إيه.

علاء: يادي ماما, عامة إوعي تاخدي قرار لوحدك، ماما تقول لك براحتها، لكن أي قرار لازم نتكلّم فيه، مفهوم؟

يتركها ويخرج من المنزل، وتتحدث سلوى مع أمها...

سلوى: ماما، الحقيني أنا حامل.

أم سلوى: حامل إزاي على البرشام، هو انتي مابتاخديش الحبوب؟

سلوى: لا والله باخُدها كل يوم, المهم حعمل إيه دلوقتي؟

أم سلوى: خلاص العمل عمل ربنا يا بنتي حملتي وخلاص.

سلوى: لا بقى، أنا مش عايزة الولد ده، أنا لسّة ماحقّقتش اللي أنا عايزاه،

والولـد ده حيخـلّي عـلاء فلوسـه تقِـلّ بسـبب مسـئوليته، وأنـا لسّـة عايـزة حاجـات كتـير أوي.

أم سـلوى: إمـال حنعمـل إيـه بـس؟! أنـا معـاكي إنـه مـش وقـت حمـل، وكنـت عايـزاكي تقصقَـصِي ريشـه وتجيبيلـك كام طقـم دهـب كـده مـن عنـدِك وتعمليلـك قرشـين في البنـك، وتجيبـي عربيـة آخـر موديـل، بـس ماتقلقيـش، خليـكي معايـا وبرضـه حنعمـل الـلي عايزينـه.

سلوى: لا الولد ده لازم ينزل.

أم سلوى: يالهوي، لا يا بنتي اعقلي، جوزك مش حيعديها.

سلوى: طيب اقفلي دلوقتي يا ماما، أنا حفكّر كده وأرتّب أموري وحكلّمك.

تغلـق سـلوى الخـط مـع أمهـا وتفكـر كيـف تتخلـص مـن هـذه الورطـة؛ فالحمـل بالنسـبة لهـا لم يكـن حلـمًا ولا طموحًـا؛ فهـي عاشـت حيـاة مدللـة لدرجـه الدلـع الزائـد؛ فـكل طلباتهـا مجابـة، لا تشـعر بـأي مسـئولية ولا تسـتطيع أن تتحمّلهـا.

يمـر يومـان وعـلاء وسـلوى كل منهـما يتـلاشى الـكلام مـع الآخـر, يخـرج عـلاء إلى صالـة بيتـه فـيرنّ هاتـف منزلـه ويجيـب: ألـو.

أم علاء: ازيّك يا حبيبي عامل إيه؟

علاء: أهلًا يا أمي، وحشتيني.

أم عـلاء: انـتَ كـمان وحشـتِني، بـس ليـه يـا عـلاء حاسّـة إنـك مـش مبسـوط يـا حبيبـي؟

عـلاء: لا واللـه عـادي يعنـي متاعـب الشـغل، وهنـا زي مـا انتـي عارفـة مفيـش مجـال لأي ترفيـه، مـن البيـت للشـغل ومـن الشـغل للبيـت.

أم عـلاء: طيـب يـا حبيبـي مـش تتجدْعَـن كـده وتفرّحنِـي بحتّـة عيّـل يقـول لي اعمليـلي بطاطـس يـا تيتـه.

عـلاء يصمـت لثـواني، ويقـول: واللـه يـا أم عـلاء بايِنُّـه كـده حتعمـلي بطاطـس قريـب. ويضحـك.

أم علاء: إيه؟ فرحني... مراتك حامل؟

علاء: شكلها كده.

أم علاء: شكلها يعني إيه يا بني؟! ما هي يا حامل يا لأ، يعني كشفتوا وحللتوا وكده؟

علاء: هي تعبت من كام يوم وكشفنا، والدكتور قال حامل في شهر لسّة، وطلب تحاليل نتأكد.

أم علاء: يبقى بأمر الله حامل، آه... ما هي الحاجات دي بتتعرف على طول، مبروك يا حبيبي, ناديلي سلوى أسلّم عليها وأقول لها ألف مبروك.

علاء: إيه.. آه.. سلوى أصلها نايمة، لما تصحى إن شاء الله أنا حوصّل لها سلامك.

وتنتهي المحادثة.

يغلق علاء الخط، يلفت نظره أن سلوى واقفة على مدخل الريسبشن تتصنت لحديثه مع والدته، فيقول لها: انتي واقفة كده ليه؟ ولما انتي سامعاني مجيتيش ليه تسلّمي على ماما؟

سلوى: واقفة بسمع حتقول إيه، وكنت متوقّعة إنك مش حتخبّي وحتقول لمامتك كل حاجة.

علاء: أخبي إيه وأقول إيه؟!

سلوى: مش أنا قولتلَك محدّش يعرف بموضوع الحمل دلوقتي؟

علاء: هي سألتني وأنا ماينفعش أكدب عليها، عشان لو عرفت بعد كده حتزعل منّي.

سلوى: بعد كده؟! وحتعرف منين أصلًا؟

علاء: ليه؟! احنا حنخبيه، ما هو حيبان حيبان.

سلوى: هو إيه اللي يبان؟

علاء: حملِك.

سلوى: مش لو كان فيه حمل أصلًا.

علاء: يعني إيه؟! ما احنا كشفنا وحلّلنا وطلعتِي حامل.

سلوى: قصدَك كنت حامل.

يقوم علاء من مكانه مفزوعًا ويمسكها من ذراعها، ويهزها بقوة ويقول: يعني إيه كنتي حامل! انتي عملتي إيه؟!

سلوى: عملت اللي لازم يتعمل، مابقاش فيه حمل، سقطت نفسي.

علاء: إيه؟! انتي بتقولي إيه؟ وازاي تعملي كده؟ انتي اتجننتي؟

سلوى: لا ماتجنّنتِش، بس تقدر تقول لي نخلف ليه وعشان إيه واحنا بنتخانق أكتر ما بنتصالح وكل واحد منّنا عايش في عالمه, أنا عارفة إنك مابتحبّنيش ولا حتى بتحاول، وأنا بالنسبة ليك جوازة والسلام، بس عادي ده مش فارق معايا، أنا كمان مابحبكش وجوازي منك جواز عقلاني، شاب كويس ومحترم ومن عيلة ومستقبلك كويس، وبس.

علاء: طيب وليه محاولتيش تحبّبِيني فيكي؟ ليه متعمّدة دايمًا تعملي صدام, إزاي تنزلّي الجنين من غير ما أعرف؟ إزاي تاخدي قرار زي ده لوحدك؟

سلوى: أحبّبك فيّا؟! أنا سلوى الشريف اللي كل رجالة عيلتي وشارعنا كانوا يتمنّوا بس أصبّح عليهم مش هي اللي تتحايل على حد عشان يحبها، وبعدين انت عايز جاه وتعليم وجمال أكتر من كده إيه عشان يتحبّ.

علاء: جمال؟! لا أنا مش عايز جمال، أنا عايز روح... روح تحبّني وتفهمني وتحسّ بيّا, روح تكلّمني وتشدّني ليها، انتي جميلة آه، لكن باردة.. باردة، وأنا مش حعديهالِك بالساهل إنك تتخلّصي من الجنين من غير ما أعرف، وحسابي مع أمك الصبح في التليفون.

سلوى: عايز حد يفهّمك ويكلمك, اااااه طيب، عامة الحمد لله إن البيبي نزل، أنا ماكنتش مستعدّة لا نفسيًا ولا جسمانيًا, ليه ألْخِم نفسي من دلوقتي؟ وأهو

فرصة بقى أعرفَك وأكلّمك وأفهمَك، يمكن نقرّب من بعض على رأيك.

علاء: للأسف اللي عملتيه ده بعَدنا عن بعض أكتر وأكتر, عن إذنك.

ويتركها ويدخل غرفته ويغلق الباب.

تنادي أم هبة على هبة وتقول: يا بنتي بقالك أسبوع مخلّصة امتحانات وخطيبك كل يوم يتصل يسألني حنحدّد كتب الكتاب امتى، شكلنا بقى وِحِش.

هبة: شوفِي يا ماما امتى، أنا أي وقت مش فارق معايا.

أم هبة: أنا الجلسة الجايّة بتاعتي امتى؟ جلسة الكيماوي.

هبة: اشمعنى؟!

أم هبة: امتى بس؟

هبة: تقريبًا كده كمان ٤٠ يوم.

أم هبة: خلاص يبقى زيّ النهاردة الشهر الجاي نكون فرِحْنا بيكي قبل الجلسة اللي بتهدّني دي وببقى شكلي زي الميّتين, خير البر عاجله يا بنتي، أنا مش ضامنة حعيش بعدها ولا لا.

هبة: بعد الشر يا أمي، ليه كده بس؟ حاضر اللي انتي شايفاه ويبسِطِك حنعمله.

أم هبة: إلهِي يريّح قلبك يا بنتي ويسعدك, خلاص قومي يلّا كلميه انتي وقوليله على المعاد، وخليه يجي يتغدّى معانا النهاردة ونتكلم في التفاصيل كلها.

هبة: يتغدّى مرة واحدة! ما أنا حقول له في التليفون، إيه لزمتها الغدوة دي؟

أم هبة: قومي يا بت بلاش دلَع يلّا, آه صحيح... قوليلي البت اللي جبتيها تشتغل في المحل كويسة؟

هبة: آه كويسة، مطلّقة وعايشة مع أمها ومحتاجة قرشين، وهي بتفتح وتقفل بمواعيد ثابتة بدل ما احنا كل ما يطلعلنا مشوار نقفل المحل بالساعات، وأنا بباشرها ماتقلقيش.

أم هبة: انتي قولتيلي اسمها إيه؟

هبة: ماجدة.

بعد قليل تنزل أم علاء لأم هبة...

أم علاء: ازيكوا النهاردة.

أم هبة: أهلًا يا حبيبتي، تعالي.

أم علاء: أخبارِك إيه النهاردة؟

أم هبة: أهو الحمد لله كويسة شويّة, شوية ألم وشوية وجع وشوية تمام.

أم علاء: معلش يا حبيبتي ربنا يشفيكي يارب, إمال البت هبة فين؟

أم هبة: جوّه بتعمل الأكل.

تسمعها هبة، وتقول وهي في المطبخ: أنا أهو يا طنط، حخلص الأكل وأجيلك.

أم علاء: براحتِك يا حبيبتي.

أم هبة تنظر لأم علاء وتقول: مالِك ياختي متضايقه ليه؟

أم علاء: والله يا أم هبة انتي بتفهميني أكتر من نفسي.

أم هبة: طبعًا، دا احنا عِشرِة عمر، قولي ياختي وفضفَضِي مالك.

أم علاء: مش عارفة قلبي كده مش مرتاح، قلقانة على علاء.

أم هبة: ليه خير كفى الله الشر؟ فيه حاجة؟!

أم علاء: ما انتي عارفة علاء كتُوم ومابيحكِيش حاجة، بس آخر مكالمة له ماطمّنتنيش.

أم هبة: ليه بس؟

أم علاء: بيقول لي احتمال تكون مراته حامل، بس حاسّة إنه عايز يقول حاجة أو متضايق من حاجة.

أم هبة: يا ألف نهار مبروك، ربنا يكمل لها على خير، بس قوليلي ياختي هو إيه احتمال دي؟ هو الحمل اليومين دول بالاحتمالات؟

وتضحك أم هبة وتضحك أم علاء.

وتقف هبة بالمطبخ تسمع حديثهما...

أم علاء: أهو هو ده اللي قالهولي، يومين كده وأكلمهم أطّمّن عليهم وأعرف, قوليلي... ماحدّدتُوش كتب الكتاب؟

أم هبة: آه إن شاء الله آخر الشهر اللي حيبدأ بكرة، ده يعني ٧/٣٠، وحنجيب الشبْكَة قبلها بكام يوم.

أم علاء: حتعملوه فين؟

أم هبة: أهو ده الموضوع اللي كنت عايزة أكلّمك فيه.

أم علاء: عنيا ياختي قولي.

أم هبة: أنا بستأذنك نعملُه فوق على السطوح، انتي عارفة اللي فيها، الخطوبة علينا وأي قاعة مش حتقلّ عن الشيء الفلاني، وكمان أنا عايزة الحتة كلها تعرف وتشوف وتسمع إن هبة اتجوزت؛ عشان بعد ما أموت محدّش يقول عليها نص كلمة .

أم علاء: بعد الشر عليكي يا اختي تفّي من بوقك, والله فكرة حلوة، وأهو نبقى في بيتنا ونعمل أكلنا ونلبس براحتنا، بس بنتك حترضى؟

أم هبة: إن جيتي للحَقّ بنتي ربنا هاديها ليا اللي أقول لها عليه تقول لي اللي يريّحك، مش هاين عليها تتعبني يا حبيبتي زي ما يكون حاسة إنّي حموت وبتراضيني.

أم علاء: إيه ياختي مالك شايلة الهم ليه كده؟ وسيرة الموت على لسانك؟ وحّدِي الله محدّش بيموت ناقص عمر، وكل اللي يجيبه ربنا رضا, بكرة تشوفيها عروسة وتفرحي بولادها وولاد ولادها.

في مساء اليوم التالي يتصل علاء بأمه..

علاء: ازيك يا أمي.

أم علاء: أهلًا يا حبيبي، طمّنّي عليك وعلى مراتك.

علاء: الحمد لله احنا كويسين، إزيّ اخواتي؟

أم علاء: كويسين الحمد لله بيسلّموا عليك, قول لي مراتك طلعت حامل؟

علاء: إيه.. آه..

أم علاء: إيه يابني مالك؟

علاء: لا مفيش، أصلها كانت حامل وتعبِت والبيبي نزل الحمد لله.

أم علاء: يا عيني يابني ليه كده؟

علاء: أهو.. خير يا ماما خير.

أم علاء: هو أنا ليه حاسّة إنك مش مبسوط وتعبان ومش عايز تتكلم.

علاء: عادي يا أمي، أنا لا مبسوط ولا تعبان، عادي مفيش حاجه تفرّح.

أم علاء: ليه كده بس؟! ربنا حيعوّضك إن شاء الله بحمل تاني وتملالك البيت عيال، المهم مراتك كويسة؟ اوعى تزعلها يا علاء انتوا في غربة يابني ومالهاش غيرك وبعيد عن أهلها، يعني انت أهلها.

علاء: ماتقلقيش يا ماما, قوليلي أم هبة صحّتها عاملة إيه وأخبارها إيه، وهبة خطوبتها امتى؟

أم علاء: والله يا علاء أنا قلقانة على أم هبة، وشها شاحب كده وبتخسّ وتدبل، وأنا مش عايزة أقلِقْها على نفسها، بس أنا مش مرتاحة.

علاء: يا عيني! ليه كده بس؟ لا حول ولا قوة إلا بالله, اوعي يا ماما تسيبيها، وأي فلوس تحتاجها أنا متكفل بيها.. وهبة عاملة إيه؟

أم علاء: إن جيت للحق هبة بقيت أحسّها تايهة ومش حاسة بالدنيا وموافقة على أي حاجة نقولها، معرفش استسلام ولا حاسّة إن أمها بتموت فبتراضيها, دا حتى خلاص؛ خطوبتها وكتب كتابها آخر الشهر يوم ٣٠، وأم هبة استأذنتني نعمل على السطوح وأنا وافقت، وربنا يكتبلها الخير ويهدِّي سرها.

عـلاء: بُـصّي... عـلى قَـدّ مـا أنـا فرحـان إنهـا حتتخطِـب، بـس مـش مرتـاح للـواد ده، بحسُّـه مسـتهتر كـده ومتدّلـع ومـش عنـده مسـئولية.

أم عـلاء: كل الشـباب كـده يـا عـلاء وربنـا يهديهـم بعـد الجـواز, انـت بـس الـلي كنـت عاقـل يـا حبيـب أمـك، وأهـو مقتـدِر وكويـس ويقـدر يفتـح بيـت وحيعيشـها كويـس، وربنـا يهديـه.

عـلاء: ربنـا يهنيهـا, المهـم أنـا حبعتلـك كـمان كام يـوم تجيبـي هديـة لهبـة حلـوة مـع الشـبكة، ومصاريـف فرحهـا كلـه عـلى حسـابي, تجيبيلهـا فراشـة حلـوة وكوشـة وأكل للمعازيـم، ماتخلّيـش نفسـها في حاجـة كأني موجـود وزيـادة, هبـة دي أختـي الصغـيرة ومسـئولة منـي زيّ منـال وأمـيرة بالظبـط، وانتـي عارفـة إني بعزّهـا يـا ماما.

أم عـلاء: ربنـا يزيـدَك يابنـي ويكرمـك، ياريتـك كنـت جنبنـا, يـلّا يـا حبيبـي مـع ألـف سـلامة.

يغلق علاء الخط، يجد زوجته كالعادة تقف تستمع للحديث..

علاء: هو مفيش مرة أخلّص تليفون إلا لما ألاقيكي واقفة كده؟

سلوى: آه ما أنا لازم أقف أسمع وأستغرب على اللي جوزي بيعمله.

علاء: إيه خير؟ إيه اللي مش عاجبك في المكالمة.

سـلوى: ولا حاجـة... اخواتـك وقولتـلي انـت المسـئول عنهـم، وأمـك ومنعنـي أتكلـم في حاجـة تخصهـا، لكـن سـت زفتـة دي وأمهـا دي كـمان مالنـا ومالهـم؟

علاء: مين دي اللي زفتة؟! ما تتكّلمي على الناس كويس.

سـلوى: نـاس مـين؟ ومـين دول أصـلًا الي حتبعَتلهـم وتجِبْلهـم هديـة؟ هـو إيـه مـش لاقـي حاجـة تضيـع فيهـا فلوسـك.

علاء: أولًا اتكلمي بأدب، الناس ماغلطوش فيكي.

سلوى: غلطوا مين؟ ولا يقدروا.

عـلاء: انتـي مالِـك باصّـة عـلى النـاس مـن فـوق كـده ليـه؟ ومتعنطظـة عـلى إيـه؟!

وانتـي مـا تحاسـبِينيش أنـا أعمـل إيـه ومـا أعملـش إيـه, قولتلـك قبـل كـده عِيلتـي مالكيـش تقوليـلي أعمـل إيـه ومـا أعملـش إيـه.

سـلوى: وهـي سـت هبـة بقـت مـن عيلتـك تبعتلهـا هديـة؟ دهـب ومصاريـف الفـرح، انـت مالـك؟ وأنـا مـن حقـي أحافـظ عـلى فلوسـك مـادام انـت مـش حتحافـظ.

عـلاء: أولًا أنـا حـر في فلـوسي، ثانيًـا أنـا قولتلـك قبـل كـده إن النـاس دي مهمـة عنـدي جـدًا، وأنـا بعتبرهـا زي أختـي ومالهمـش حـد غيرنـا, الأهـم بقـى مـن كل ده إني زهقـت خنـاق كل شـوية، وانتـي بقيتـي نكـد وقعدتـك نكـد.

سـلوى: اااه نسـيت إنـك أبيـه, مـاشي يـا أبيـه براحتـك، وطـول مـا انـت بتتـصرّف مـن دماغـك كـده أنـا حفضـل كـده مـش حتغـيّر.

وتتركه وتدخل لغرفتها وتغلق الباب بقوة وراءها.

يجلس علاء على أقرب كرسي له، ويضع يده على رأسه ويتأفّف زهقًا.

تمـر الأيـام والأسـابيع عـلى عـلاء وحالتـه كـما مـا هـي، كل الأيـام تشـبه بعضهـا؛ فالغربـة قاسـية، وتـزداد قسـوة مـع بُعـد أمـه وقسـوة زوجتـه وطبعهـا الـذي لا يتغـير، وحـرص عـلاء عـلى احترامهـا مهـما حصـل؛ لأنهـما في غربـة.

.....

وتمـر الأيـام والأسـابيع عـلى هبـة وهـي كـما هـي، الأيـام تشـبه بعضهـا، وقلبهـا مغلـق عـلى مـا فيـه، وكل مـا تفعلـه هـو إرضـاء أمهـا المريضـة؛ فبالنسـبة لهـا أشرف مثـل غـيره.

ويـأتي يـوم كتـب كتابهـا، وينتهـي كـما تتمنـى أمهـا أن تراهـا؛ فقـد تزيّنـت وتجمّلت مـن أجـل أمهـا فقط.

ويمـر بعـد فرحهـا بضعـة أيـام، ولكـن تتدهـور حالـة أمهـا وتصبـح جليسـة الفـراش وكأنهـا أدّت رسـالتها في الحيـاة وأصبحـت مسـتعدة للقـاء ربهـا.

ويـأتي قبـل موعـد جلسـة الكيـماوي بيـوم تجـد هبـة لـون أمهـا شـاحبًا ورجلهـا ويدهـا تثقـل حركتهـما، ولسـانها تثقـل حركتـه في الـكلام.

تقف هبة عاجزة أمامها وتبكي، وتقف أم علاء بجوارها تقول: احنا حنفضل نقف نتفرج عليها كده يا بنتي؟ كلمي دكتورها.

هبة: والله يا طنط كلمته، وقال لي الساعة ٤ حيعدّي علينا.

أم علاء: ياااه.. لسّة حنستنّى ساعتين على الهمّ ده، استرها يارب, إنا حكلّم إخواتك أميرة ومنال ييجُوا يقفوا معانا.

وتقوم أم علاء تتحدث إليهما في التليفون، وتجلس هبة على الأرض بجوار سرير أمها تمسك بيدها وتبكي.

تمر الساعات.. ويأتي الدكتور ويطلب من الجميع الخروج من غرفتها؛ لكي يستطيع الكشف عليها.

ويخرج لهم الدكتور ويقول: لا إله الا الله.

تقول هبة وأم علاء وأميرة ومنال وخالة هبة، التي طلبَت أمها ان تحضر: خير يا دكتور؟

يقول: ادعولها، إن شاء الله خير.

وطبعًا الدكتور يعرف أم علاء؛ فيأخذها على جنب، تقول أم علاء: خير يا دكتور؟ طمني.

الدكتور: ما أقدرش أخبّي عليكي.. الحاجّة بسمة بتموت وفاضل لها ساعات.

أم علاء تضع يدها على فمها وتقول: يا نهار أسود.

مما يلفت انتباه الجميع، ويجروا جميعًا عليهم.

هبة تقول: فيه إيه؟ طمنوني.

يقول الدكتور: يا جماعة انتوا مؤمنين بقضاء الله, الحاجّة بسمة بتموت تقريبًا، دخلت غيبوبة وجسمها تقريبًا مابيتحرّكش، هي ساعات قليّلة وتقابل رب كريم.

هبة تقوله: طيب نوديها مستشفى ولّا رعاية ولّا أي حاجة.

الدكتـور: مفيـش داعـي يـا بنتـي تبهدلوهـا وتتبهدلـوا في المستشـفى، ربنـا يتولاهـا برحمتـه، احنـا حنفضَل مشـغّلين المحاليل للتغذية يمكن ربنا ينفـخ في صورتها, عن إذنكوا.

تجلـس هبـة عـلى ركبتهـا وتبـكي بحرقـة عـلى والدتهـا، والـكل يقـف مذهـولًا مـن هـول مـا يسـمعوه.

تقـف رشـا وأمـيرة بجـوار هبـة يحـاولان أن يسـنداها حتـى تقـف عـلى رجلهـا, وينتبـه الجميـع إلى صـوت أم هبـة تنـادي: هبـة.. يـا هبـة.

تقـوم هبـة وتجـري عـلى والدتهـا والجميـع خلفهـا، تقـول أم هبـة: طلّعـوني مـن الأوضـة دي، مـش عايـزة أمـوت فيهـا، طلّعـوني بـرّة.

يـسرع الجميـع عـلى حمـل أم هبـة لـكي يخرجوهـا مـن غرفتهـا وينفـذوا طلبهـا الأخـير، ويضعوهـا عـلى كنبـة الأنتريـه، تقـول أم هبـة: خـلّي الكنبـة في اتجـاه القبلـة يـا هبـة.. وصوتهـا يـكاد لم يخـرج منهـا.

وينتبه الجميع ويقول: حاضر عنِينا.

وبعد ثواني تقول أم هبة وصوتها كله ألم ووهن: أنا عايزة أتوضى... وضُّوني.

تقـوم هبـة بجلـب طبـق بلاسـتيك صغـير بـه مـاء نظيـف فاتـر وفوطـة وجـه، وتقـوم بتلبيـة طلـب أمهـا وهـي تبـكي بحرقـة دون صـوت حتـى لا تشـعر بهـا أمهـا.

وبعـد لحظـات تغيـب أم هبـة مـرة أخـرى عـن الوعـي، ويجلـس الجميـع كل منهـم في مكانـه حزينًـا عـلى مـا وصلـت إليـه أم هبـة، يمسـك كل منهـم مصحفًـا يقـرأ ترحـمًا عليهـا ويدعـو لهـا.

ويسـتمر الحـال إلى السـاعة الواحـدة بعـد منتصـف الليـل، تجلـس هبـة عـلى الكـرسي بجانـب أمهـا، ولكـن مـن البـكاء والتعـب يغلبهـا النـوم, تقـوم خالتهـا وأم عـلاء بإيقاظهـا ويطلبـوا منهـا أن تدخـل إلى غرفتهـا تسـتريح قليـلًا.

هبة: لا سيبوني جنبها.

أم عـلاء: يـا بنتـي كـده حتمُـوتِي مـن التعـب وأمـك محتاجالـك، قومـي يـا بنتـي.. قومـي ريحـي شـوية.. قومـي.

تستند هبة على يدها وتقوم إلى غرفتها، وتضع جنبها على السرير وتنزل دموعها على وسادتها ويغلب عينها النعاس لدقائق، وتستيقظ على صوت عالي وهرج ومرج، تقوم من النوم مفزوعة تجري على الصالة، تجد الجميع يقف بجوار أمها وإبراهيم ابن خالتها يقول: انطقِي الشهادة يا خالتي... انطقي الشهادة.

تنظر إلى أمها وتدفع إبراهيم بعيدًا من جانب أمها، وتجلس على ركبتها وفي يدها كوب به قليلًا من الماء وتحاول أن تسند رأس أمها لكي تعطيها قليلًا من الماء، ولكن تمتنع أم هبة عن الشرب وتفتح عينيها الحائرتين تبحث عن هبة في كل الموجودين، حتى تقع بعينيها عليها بجوارها، تقول وهي تبكي: هبة، بنتي حبيبتي، حتوحشيني.

وتبحث بيدها يمينًا وشمالًا على يد هبة؛ فتضع هبة يدها بيد أمها فتُغلق أم هبة على يد هبة بيدها الأخرى، وتضعها على صدرها، وتأخذ آخر نفس وتودّع العالم بدمعة حزن على فراق بنتها تسيل على خدها، وتموت أم هبة.

وتشعر هبة بأن ضمة يد أمها أصبحت ضعيفة، تنظر لها وتهزّها يمينًا وشمالًا، وتقول بصوت عالي وصرخ ألم: ماما، ردي عليّا يا ماما، ماما ماتسِيبِنيش يا ماما.

ويبكي الجميع بحرقة، ويحاولوا أن يهدأوا من وضع هبة وانهيارها، ويحملها إبراهيم ورشا وأميرة ويدخلوا بأم هبة إلى غرفتها، ويضعوا بجوارها مروحة وتسجيل على القرآن الكريم، ويغطوها بملاءة سرير في مشهد صعب تصوّره على هبة، ولا تستطيع أن تتخيله.

ويصبح البيت مليئًا بأجواء كئيبة ومحزنة.

يرن جرس التليفون عند هبة، تقوم أم علاء لترد تجده علاء.

علاء: خير يا ماما؟! بكلّمك من الصبح على تليفون البيت محدش بيرد فيه إيه؟

أم علاء وهي تبكي بحرقة: بسمة ماتت يا علاء، صاحبة عمري وعِشرة سنين ماتت.

ينزل الخبر على علاء كالصاعقة، يقول بصوت عالٍ: ماتت؟!

يلفت انتباه زوجته ويوقظها من نومها؛ فالساعة تتعدّى الثانية بعد منتصف الليل.. ماتت امتى؟

أم علاء: لسّة من ربع ساعة يابني.

علاء: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهو يبكي, وهبة فين يا ماما؟

أم علاء: هبة يا حبة عيني يا بنتي تايهة.. بتعيّط من غير صوت ومش مستوعبة اللي بيحصل لها.

علاء: ناديها يا ماما عايز أكلّمها.

أم علاء: هبة، تعالي يا بنتي كلمي أبيهك علاء.

تقوم هبة وهي تستند على أميرة، تمسك سماعة التليفون وتضعها على أذنها.

علاء: هبة، البقاء لله وحده، اجمدي يا هبة.. انتي بقيتي لوحدك... اجمدي وادعيلها بالرحمة، ارتاحت من تعبها.

تصمت هبة ولا ترد، ولكن صوت دموعها يحكي كل ما تريد أن تقول.

علاء: حاولي تبطّلي عياط وتجمَدِي، بُكرة يوم طويل وربنا يقوّيكي.

هبة وهي تبكي بحرقة وصوتها متقطع: انت حتيجي؟

علاء: طبعًا حاجي, النهار يطلع حطلب أجازة وأنزل في أول طيارة.

هبة: طيب... وتغلق الخط.

سلوى تجلس على سريرها، تقول بصوتٍ عالٍ: تروح فين؟! لا انت باين عليك اتجنّنت خالص.

علاء: سلوى اخرسي خالص، أنا لا طايق ولا قادر لمجادلتك دي، واسمعي... هي كلمة.. أنا نازل مصر بُكرة إن شاء الله، حترفد من الشغل، عايزه تنزلِي معايا أهلًا وسهلًا.. عرّفيني عشان أحجزلك معايا، مش عايزة خلّيكي ماتجيش، أهو أرتاح منك.

سلوى: طيب خليها بعد بُكرة ألحق أنزل أشتري شوية هدايا لبابا وماما.

عـلاء: هدايـا! تصدّقـي انتـي ماعندكيـش دم ولا بتحـسّي, أنـا في مصيبـة وانتـي تقـولي هدايـا.

سلوى: مصيبة ليه إن شاء الله؟! هي من بقية عيلتك؟

علاء يقوم ويأخذ وسادته وغطاء له ويقول: يووووووه.

ويتركها ويخرج وهو يحترق غضبًا من رد فعل سلوى.

.....

تنـادي خالـة هبـة عليهـا، وتقـول: مـش تكلّمِـي جـوزك يـا بنتـي وتعرفيـه أحسـن حيزعـل.

هبة تنظر لها وتحرك رأسها بالموافقة..

ويمـر ليـل أسـود حالـك بمـا تـراه هبـة, وسـواده يـدلّ عـلى مـا سـوف تـراه في الأيـام المقبلـة، ويطلـب منهـا الجميـع أن تلـمّ شـعرها وتداريـه بطرحـة سـوداء، وأن تبـدّل ملابسـها وتسـتبدلها بملابـس سـوداء، وتـرى الجميـع حولهـا يرتـدي السـواد وكأنـه إشـارة لهـا بأنـه لـون أيامهـا المقبلـة.

يطلـع النهـار ويعلـو صـوت القـرآن، ويتسـاءل الجميـع في الشـارع مـا الـذي يحـدث؟! ولمـاذا؟! ومـن أيـن يصـدر القـرآن؟ ويعلـم الجميـع أنـه عـزاء أم هبـة، ويصـل الخـبر إلى أشرف وعائلتـه, ينـزل أشرف مسرعًـا إلى بيـت هبـة ومعـه أمـه وأختـه.

ويكـون إبراهيـم ابـن خالـة هبـة عـاد مـن وزارة الصحـة ومعـه تصريـح الدفـن وشـهادة الوفـاة، وسـيدتان ليقومـا بتغسـيل أم هبـة.

تدخـل السـيدتان ويسـألا عـلى بنتهـا أو أختهـا، ويقـولا أيـن سـنقوم بغسـلها؟! وتقـف هبـة حائـرة، تقـول أم عـلاء: هنـا تعالـوا اتفضلـوا.

وتكون أم علاء أخلَت حجرة الصالون من محتوياتها استعدادًا لهذه اللحظة.

تميـل خالـة هبـة عليهـا وتقـول: انتـي حتخلّي أمـك تنكشـف عـلى حـد غريـب؟!

اقفـي واجمـدي عـلى غُسـل أمـك، وماتدخليـش عليهـا أم عـلاء وعيالهـا.

تقـول هبـة بصـوت حزيـن: لا يـا خالتـي، السـت دي عمرنـا مـا نقـدر نـوفّي جمايلها، وهـي بالنسـبة ليّـا أمـي التانيـة، وبناتهـا إخـواتي، وعـلى فكـرة أمـي كانـت موصّيـاني إنهـا سـاعة مـا تمـوت محـدّش يقـف عليهـا وعـلى غُسـلها غـيرك انتـي وهـي بـس, عـن إذنـك.

تـترك هبـة خالتهـا وتقـف أمـام الغرفـة التـي سـوف تغسّـل فيهـا أمهـا، تـرى الكفَـن الأبيـض وبعـض المسـتلزمات للغُسـل ومـاء سـاخن وبـارد في جـرادل بلاسـتيكية، وتنتبـه عـلى أشرف وإبراهيـم وهُـما يحمـلان أمهـا ويضعاهـا عـلى منضـدة الغسـل, تجـري هبـة عـلى جثـة أمهـا وتحتضنهـا وتبـكي بحرقـة، يمسـك بهـا أشرف ويأخذهـا تحـت ذراعـه ويخـرج بهـا مـن الغرفـة.

ويقول لها: صلّي على النبي واهدي، وادعيلها بالرحمة.

تقـول هبـة لأم عـلاء: ادخـلي معانـا يـا طنـط، ماما كانـت بتحبّـك، ادخـلي مـع خالتـي عشـان نغسّـلها.

تقـوم أمـيرة مـن مكانهـا وتأخـذ بيـد هبـة، وتقـول لهـا: تعـالي يـا هبـة معايـا، تعـالي... بـلاش يـا حبيبتـي تدخـلي معاهـم، بـلاش... حتتعـذّبي ومـش حتنـسِي عمـرك كلـه المنظـر ده.

تحاول هبة أن تدخل، ولكن أشرف وأميرة يمنعاها.

تقـوم منـال تجعـل أمهـا وخالـة هبـة يدخـلا عـلى الغرفـة لـكي يقفـا عـلى غُسـل أم هبـة، وتغلـق البـاب ورائهـما.

وتنتهـي مراسـم اليـوم مـن غُسـلٍ ودَفْـن، وتجلـس هبـة عـلى أول كـرسي في مدخـل بـاب شـقتها تسـتقبل عـزاء أمهـا مـن السـيدات.

ويقـف أشرف وإبراهيـم وزوج كل مـن منـال وأمـيرة وزوج رشـا في الشـارع أمـام المنـزل في صـوان عـزاء أم هبـة يسـتقبلوا الرجـال.

أما علاء يصل إلى مطار القاهرة في الساعه ٨ مساءً.

يخـرج مـن صالـة الوصـول مسرعًـا وبجـواره سـلوى، يقـول لهـا: ماكنتيـش قـادرة تلبـسي أسـود؟ حتغـيري فـين دلوقتـي؟! دا زمـان العـزا في الشـارع.

سلوى: أسود وعزا! لا أنا مالِيش في الجو ده.

علاء: إمال نازلة ليه معايا؟

سـلوى: لا أنـا رايحـة عنـد ماما، انـت بقـى رُوح عـزِّي وابقـى كلّمنـي في التليفـون، وشـوف حتعمـل إيـه وكلمنـي.

علاء: كده؟! ماشي... روحي لماما ولوحدك.

ويشـاور لتاكـسي ويركـب فيـه بمفـرده تـاركًا سـلوى مكانهـا، ويصـل إلى منزلهـم، ينـزل مـن التاكـسي ولا يدخـل إلى صـوان العـزاء، ويدخـل مسرعًـا إلى البيـت ويجـري مسرعًـا إلى أعـلى لـكي يـرى هبـة وأمـه.

يدخـل مـن البـاب وينظـر إلى كل الموجوديـن، يـرى هبـة ولا تـراه, تقـف أم عـلاء في مكانهـا وتقـول: عـلاء حبيبـي، حمـد اللـه عـلى السـلامة. وهـي تبـكي.

وتجـري مسرعـة لتحتضنـه وينتبـه الجميـع، وتقوم أمـيرة ومنال مسرعين عـلى أخيهم.

تنتبـه هبـة وتقـوم هـي الأخـرى وتقـف مكانهـا, يحتضـن عـلاء أمـه وأخواتـه ويعزيهـم، ويتجـه وهـو بـاكي العـين تجـاه هبـة، ويمـد يـده وذراعـه لـكي يطبطـب عـلى كتفهـا ويقبّلهـا مـن رأسـها, يـرى يـدًا غريبـة تقـف بينهـما، ينظـر هـو وهـي لبعـض ولهـذه اليـد؛ فيريـان أشرف زوج هبـة.

يقـول أشرف وهـو يمـد يـده إلى عـلاء: البقيّـة في حياتـك يـا أسـتاذ عـلاء، حمـد اللـه عـلى السـلامة.

تمـد هبـة يدهـا إلى عـلاء، تسـلم عليـه وتقـول لـه: حمـد اللـه عـلى السـلامة يـا أبيه.

أشرف: اتفضل يا باشا، العزا بتاع الرّجّالة تحت.

علاء: لا اتفضل انت، أنا في بيتي.

أشرف: طبعًا أكيد في بيتك ووسط أهلك.

ينظـر إليـه عـلاء ولا يجيـب عـلى مـا يقـول، ويقـول لهبـة: شِـدّي حيلـك، أمـك كانـت زي أختـي الكبـيرة وفي مكانـة أمـي اللـه يرحمهـا.

تبـكي هبـة بشـدة ولا تسـتطيع أن تقـف عـلى رجلهـا, يمسـك عـلاء بيـد هبـة ويسـندها لتجلـس، يقـف أشرف بينهـما ويمسـك يـد عـلاء ويجعلـه يـترك يـد هبـة، ويقـول: عنّـك انـت دي مـراتي وأنـا حسـندها.. وينظـر لهبـة بغضـب.

يتركهـما عـلاء ويتجـه إلى بـاب الشـقة، ويقـول لأمـه: أنـا فـوق يـا ماما لـو عُـوزتي حاجـة.

يقف أشرف ليتأكد أنه ترك المكان، وينزل إلى صوان العزاء.

وانتهـت أيـام العـزاء الثلاثـة والجميـع يـترك هبـة ويذهـب إلى بيتـه وأشـغاله، وتقـف هبـة في صالـة بيتهـا تنظـر هنـا وهنـاك تجـد الشـقة صامتـة هادئـة، كل ركـن فيهـا يفكرهـا بأمهـا، تسـمع صـوت ضحكهـا وكلامهـا يمـلأ أركان البيـت، صورتهـا عـلى كل جـدار.

يأتي صوت خافت من الخارج وهو صوت أغنيه هاني شاكر يقول:

(الحلم الجميل... البيت الصغير

كله ضاع.. كله اتكسر.. كله اتغيّر

وفِضيِت علينا الدار، والوِحدة زي النار

راحوا اللي كانوا بيمسحوا بإيدهم دموعنا

راحوا اللي كنا بنرمي في أحضانهم وجعنا)

تجلـس عـلى ركبتيهـا وتبـكي بحرقـة، وصـوت عـالي يـدلّ عـلى ألم بداخلهـا عـلى وحدتهـا وفـراق أمهـا.

عـلاء ينـزل عـلى سـلم المنـزل متجهًـا إلى الشـارع، يبطـئ في حركـة رجلـه أمـام شـقة هبـة، يتنصـت عـلى البـاب مـن بعيـد مـن الشـقة، يتجـه مسرعًـا إلى البـاب ويـكاد أن يطرقـه، ولكـن يتذكـر أن هبـة الآن بمفردهـا ولا يجـوز التحـدث أو الوقـوف معهـا دون وجـود أحـد، خاصـة أنهـا أصبحـت متزوجـة مـن رجـل آخـر؛ فيتراجـع عـن الفكـرة

ويصعد مرة أخرى إلى شقته، ينادي على أمه ويحكي لها ما سمعه، ويطلب منها أن تنزل إلى هبة وتأخذها معها إلى شقتهم، ويترجاها ألّا تتركها وحدها، خاصة في أول أيام بُعدِ أمها عنها.

تنظر أم علاء وتقول: يابني أنا مابَسِيبهاش، بس الوضع..

وقبل أن تستكمل حديثها يقول علاء: أنا فاهم يا ماما، وعشان كده نازل رايح لسلوى، وبعد ما أمشي من البيت خالص انزلي لها يا تاخديها هنا يا تُقعدِي معاها تحت.. ويترك علاء المنزل ويغادر.

يقف أشرف على باب معرضه وعينه على المنزل الذي تسكن فيه هبة، يرى علاء يخرج منه فيطمئن قلبه، وبعد دقائق يقوم لكي يتحدث مع هبة في التليفون، ولكنها لم تجبه, يذهب إلى البيت ويصعد على شقة هبة ويطرق الباب، ولكن هبة لم تفتح, يصعد إلى شقة أم علاء ويطرق الباب؛ فتجيب أم علاء: مين؟

يقول: أنا يا حاجّة أشرف جوز هبة.

أم علاء تذهب إلى الباب وتفتحه وتقول: أهلًا وسهلًا يا بني، خير؟!

أشرف: لامؤاخذة يا حاجّة، هي هبة عندكم؟

أم علاء: آه يابني عندي، معلّش مش حقدر أقول لك اتفضل؛ علاء مش هنا.

أشرف: لا أبدًا مفيش مشكلة، ناديلي هبة بس.

تأتي هبة على صوت أشرف، وتستأذن من أم علاء وتأخذه وتنزل إلى شقتها..

تفتح هبة الباب، وتقول لأشرف: اتفضل.

يدخل أشرف ويغلق الباب وراءه، تجري هبة على الباب وتفتحه....

يقول أشرف باستغراب: انتي فتحتي الباب ليه؟! هو حد جاي؟!

هبة: لا، بس أنا وانت لوحدنا ومايصحّش.

أشرف: هو إيه اللي مايصحّش؟ هو أنا واحد صاحبك؟ دا أنا جوزك، إمال كنا كتبنا الكتاب ليه؟

هبـة: أشرف، أنـا لا فيّـا دمـاغ ولا نفسـيّة لعمايلـك دي، عايـز تقعـد اتفضـل، بـس يبقـى البـاب مفتـوح، مـش عايـز خـلاص انـزل.

أشرف: أنـا صابـر للآخـر أهـو، وصـبِري قـرّب ينفـد، والوضـع ده غلـط، مـش حتفضـلي قاعـدة لوحـدك هنـا وفيـه راجـل غريـب داخـل طالـع براحتـه, مـا هـو بيتـه ومـا أقـدرش أقـول لـه حاجـة، ألّا هـو نـاوي يسـافر امتـى؟

هبة: راجل مين؟! قصدك أبيه علاء؟

أشرف: هههههه والله ما بيقلِقني إلا أبيه دي, آه هو أبيه علاء.

هبـة: انـت بايـن عليـك اتجنّنـت, يعنـي انـت الـلي جُـوزي مـش سـامحالك تقعـد معايـا لوحـدي حسـمح لأبيـه.. عـلى فكـرة أنـا عارفـة الأصـول كويـس أوي، وهـو كـمان، وهـو جـاي بمراتـه هنـا بالليـل عنـد أمـه، يعنـي مـش حيبقـى لوحـده.

أشرف: طيـب ماتزعّقيـش، أنـا مـاشي وحسـيبك يومـين كـمان، وبعـد كـده لازم نحـدّد حنعمـل إيـه.

ويتركها وينزل.... ويرن جرس تليفون هبة.

هبة: ألو, مين؟

أميرة: أنا يا هبة.

هبة: أهلًا يا أبلة ازيك؟

أميرة: أهلًا يا حبيبتي، عامله إيه؟

هبة: أهو.. حعمل إيه؟ قاعدَة لوحدي.

أمـيرة: حبيبتـي لازم تشـغِلي نفسـك بحاجـة... بـأي حاجـة، قُعـادك لوحـدك كـده مـش حلـو، حـاولي تخرجـي... تنـزلي الجامعـة، حتـى تقابـلي أصحابـك, أقـول لـك انـزلي المحـل بتاعـك افتحيـه وقابـلي النـاس واتكلمـي معاهـم، أهـو منهـا تطلَعِـي مـن وحدتـك دي، ومنهـا يـا حبيبتـي تشـوفي أكل عيشـك، انتـي دلوقتـي محتاجـة كل قـرش لأكلـك وشربـك ودراسـتك وجهـازك.

هبـة: آه واللـه يـا أبلـة أنـا ناسـيَة المحـل خالـص, أنـا حكلّـم ماجـدة تيجـي وتبـدأ تفتحـه، وأنـزل أشـغل نفـسي فيـه، وأهـو أحـوّش قرشـين كلهـا شـهر، والجامعـة حتبـدأ ولازم أسـتعد.

أمـيرة: ربنـا يوفقـك يـا حبيبتـي يـارب، ومـش حوصّيـكي يـا هبـة... حافظـي عـلى نفسـك أوي، أشرف صحيـح جـوزك عـلى الـورق، لكـن لسّـة يـا حبيبتـي دُخلتـك ماتحدّدِتـش، إوعـي يـا هبـة.

هبـة: ماتخافيـش يـا أبلـة، أنـا تربيّتكـوا، وانتـي عارفـة أنـا مابحبّـش أشرف أصلًا ولا بسـمحله يتجـاوز حـدوده معايـا، وحتـى كان لسّـة هنـا ونزّلتـه.

أمـيرة: مـاشي يـا حبيبتـي، ولـو عـوزتي أي حاجـة واتكسـفتي تطلبيهـا مـن طنـط أم عـلاء كلمينـي عـلى طـول, سـلام.

هبة: سلام.

يـأتي صبـاح اليـوم التـالي، تجلـس هبـة في المحـل؛ فقـد قـرّرت أن تنـزل تبـاشره ومعهـا ماجـدة، تلـك البنـت التـي أتـت بهـا وقـت مـرض أمهـا لـكي تعمـل بالمحـل وقـت انشـغالهم, تقـف هبـة وتعطـي ظهرهـا لبـاب المحـل ترتّـب صفـوف وأرفـف الملابـس التـي تبيعهـا وماجـدة بجوارهـا.

تسمع صوت علاء ينادي...

علاء: هبة.

هبـة تسـمع صوتـه يـرن في أذنهـا، تغمـض عينهـا لثـواني وتأخـذ نفسًـا عميقًـا؛ فمهـما كان عِنادهـا وكبريائهـا فهـي تعشـق هـذا الصـوت، تسـتدير وتقـول: أهـلًا يـا أبيـه اتفضـل, هـاتي كـرسي يـا ماجـدة.

عـلاء: لا لا مفيـش داعـي، أنـا كـت مـاشي وفرِحـت لمـا شـوفتك نزلتـي المحـل، أيـوة كـده هـي دي هبـة الـلي أنـا أعرفهـا.

هبـة تقـترب لـه وهـي تتنهـد، وتقـف أمامـه مبـاشرة يفصـل بينهـما فاترينـا زجـاج قصـيرة مـن الزجـاج بهـا بعـض البضائـع التـي تبيعهـا هبـة، وتقـول لـه: للأسـف هبـة

اللي انت تعرفها ماتت من زمان وبقت هبة تانية خالص.

علاء: هبة، صدّقيني أنا عارف إني عانِدت نفسي، وصدّقيني أنا حياتي ماتفرِقْش عن حياتك أبدًا، على قَدّ ما انتي حزينة وتعيسة أنا كمان كده للأسف، انا ماتوفّقتش في اختياري، ودايمًا فيه مشاكل مع سلوى، وأمي واخواتي هُمّا اللي مصبّرِينّي عليها، وأنا للأسف زي ما يكون بعاقب نفسي وفرحان إني بعذب فيها وبتحمل سوء اختياري.

هبة: ليه؟! مش دا الجواز اللي يليق بيك سنًا واجتماعيًا وشكلًا؟ وبعدين انت ناسي إنها حامل، أنا كنت سمعت كده من قريب.

علاء: للأسف والحمد لله إن مفيش حمل, المدام مش مستعدّة إنها تبقى أم وسقطّت نفسها.

هبة: يا ساتر يارب، ليه الغباء ده؟

علاء: أهو نصيب، يمكن كده أحسن عشان وقت ما أعرف آخد قرار ما أكونش متقيّد.

هبة: آه، وانت بقى جاي دلوقتي تحكيلي مأساتك وإنك تعيس، وإنك احتمال ماتكمّلش في جوازتك، ليه معتقد إني حَسِيب الدنيا وأجري تحت رجلك وأقول لك أنا قاعدة أهو مستنيّاك لما تجرب الجواز العقلاني ويفشل وتيجي تجرب بقى الجواز اللي على حب؟! انت للأسف بِعِندك وتكبّرك قضيت على نفسك وعليّا.

وتمسك هبة بأصبعها الذي يوجد به دبلة خطوبتها، وتقوم بحركة تلقائية بتدوير الدبلة في يدها، وتقول له: شايف دي بالنسبة ليّا طوق بحسّ ساعات إنه ملبوس في رقبتي وبيضِيق عليّا وبيخنقني، وكل ما يضيق بلُوم عليك أكتر وأحمّلَك الذنب أكتر وأكتر، وساعات كتير أوي بفكّر أخلص منها، خاصة بعد ما ماما ماتت، لكن صدّقني لو ده حصل وطلِعت من جوّة الطوق ده عمري ما حلجَألك أبدًا، من يوم ما قفَلْت في وشي خط التليفون وأنا كنت وقتها مستعدّة أبيع كل حاجة عشانك.

علاء: بقيتي قاسية أوي يا هبة، وكلامك كله مرار.

هبة: دي نتيجة طبيعية....

وقبل أن تستكمل كلامها ترى أشرف يأتي من وراء علاء, يظهر على هبة التوتر والقلق، يلاحظ علاء وينظر خلفه يرى أشرف يقف.

يقول أشرف بكل استهزاء: الله! حلو ده، تحبوا أجيب شجرة واتنين لمون؟

علاء: اتكلّم بأدب يا جدع انت.

أشرف: ليه بس يا أبيه؟ زعلت ليه؟ مش انت أبيه برضه؟

هبة: أشرف.

أشرف: إيه يا ست الأستاذة، هو أبيه مش عارف إنك بقيتي مراتي ولا إيه؟! اااه ولّا يمكن كان جاي يجيب حاجة للمدام صح.

علاء: لا انت زودّتها أوي.

أشرف: لا أنا لسّة مازودّتهاش، وانت لازم تعرف إن خلاص كان فيه منه وخلص.

علاء: خلِص؟! هو إيه ده؟!

أشرف: يعني خالتي وخالتك واتفرّقوا الخالات, كنتوا جيران وأمها صاحبة أمك وهي خلاص أيام وحتسيب البيت، وأمها الله يرحمها، يعني لا كلامك ولا وقفتك وتنطيتك ليها له معنى، وأي حاجة عايزها منها تيجي تكلّمني أنا، مش دي الأصول ولا إيه يا باشا؟

هبة: أشرف، خلّصنا بقى، أبيه كان جاي يطّمّن عليّا وماشي، مفيش داعي لكل ده.

اشرف: والحمد لله اطّمن، يلا يتكّل على الله.

علاء: لا انت زودتها أوي وشكلك عايز.....

هبة: خلاص يا أبيه، عشان خاطري خلاص، أنا أعصابي تعبانة ومش متحمّلة، عشان خاطري يا أبيه امشي دلوقتي.

علاء ينظر لهما ويتركهما ويمشي في طريقه.

أشرف ينظر لهبة ويقول: إيه؟! ها إيه؟

هبة: إيه؟ انت مالك طايح كده ليه؟

وتتركه وتدخل تستكمل ما كانت تفعله.

أشرف: أنا بقى قعدِتك لوحدك دي مابقتش عاجباني ومش مرتاح.

هبة: أشرف خلّصنا، مش كل ما تشوف وشّي تقول لي الكلمتين دول، أنا مش حتجوز دلوقتي، لسّة الدراسة ولسّة على الأقل يفوت كام شهر على وفاة أمي، ما هي مش كلبة راحت هي تموت وأنا أفرح وأتجوز.

أشرف: امممممممم ماشي.

ويتركها ويمشي.

تجلس هبة على أقرب كرسي لها وتتأفّف زهقًا.

ينتهي اليوم وتصعد هبة إلى شقتها، وتغلق ماجدة المحل وتذهب في طريقها إلى بيتها.

وعلى أول الشارع يستوقفها أشرف: إزيك يا أبله؟

ماجدة: انت بتكلمني أنا؟

أشرف: آه، انتي مش عارفاني؟

ماجدة: لا طبعًا عارفة حضرتك، أهلًا وسهلًا، انت أستاذ أشرف خطيب الآنسه هبة.

أشرف: اسم الله عليكي, أنا بقي معرفتش اسمك إيه.

ماجدة: أنا اسمي ماجدة.

أشرف: طيب تحبي أوصلِك في حتة.

ماجدة: لا شكرًا، ربنا يخليك.

أشرف: عامةً لو عُوزتي أي حاجة أنا تحت أمرك.

ماجدة: إن شاء الله, بعد إذنك.... وتتركه وتمشي.

يقف أشرف ينظر إليها من الخلف وهي تمشي، ويحرك حاجبَه بحركة تدل على أنه ينظر على مفاتنها.

تقوم هبة في اليوم التالي على صوت طرق الباب...

تفتح الباب تجد أم علاء.

هبة: صباح الخير يا طنط.. اتفضلي.

أم علاء: أهلًا يا حبيبتي, علاء فوق هو ومراته وكانوا عايزين يسلّموا عليكي قبل ما يمشي، كانوا حينزلُولك وأنا قولتلهم خليكوا وأنا حنزل أنادي عليها.

هبة: آه، حاضر، طَب حغير هدومي بس وأحصلّك.

أم علاء: ماشي حستناكي فوق.. وتتركها وتخرج.

تصعد هبة إليهم وهي ما زالت مرتديه ملابس سوداء حدادًا على أمها, تطرق الباب برفق فهو مفتوح أصلًا، ولكن من باب الاستئذان.

يقوم علاء من مكانه يستقبل هبة، ويمد يده يسلم عليها ويقول لها: اتفضلي يا هبة.

تجلس سلوى مكانها ولا تتحرك، وتنظر لهبة نظرة غيظ ولا ترحب بها.

تتقدم هبة بخطواتها وتمد يدها لسلوى لكي تسلم عليها.

تجلس سلوى مكانها وتمد يدها بتعالٍ، وتسلم على هبة وتقول: أهلًا.

أم علاء تنظر لسلوى باستغراب، وعلاء ينظر لها بغضب.

وتقول أم علاء: اتفضلي يا بنتي اقعدي.. اتفضلي.

تجلس هبة على أقرب كرسي لها وهي محرجة؛ فيبدو أن سلوى لا تريدها.

علاء: أنا مسافر كمان كام ساعة، وطلبت من ماما إننا نسلّم عليكي ومش حوصّيكي على نفسك، ولو عُوزتي حاجة كلميني على طول.

هبة: ربنا يخليك يا أبيه, توصلوا بالسلامة.

سلوى: والله أنا زعلت خالص لموت مامتك، ورغم إن مجيِّنَا ده كلّفنا كتير

وخسّر أبيهك علاء كتير، بس هو كان مُصِرّ ينزل.

هبة: ربنا يعوّضكوا خير، وأنا آسفة لو اتسبّبت في أي خسارة.

أم علاء تلاحق سلوى في الكلام: لا يا حبيبتي ماتقوليش كده، انتي زي أميرة ومنال بالظبط، وعارفة علاء بيحبك زيهم إزاي.

سلوى تنظر وهي تستهزء: آه، الصراحة هو بيعزّك أوي.

هبة: طبعًا ما هو زي أخويا الكبير.

وتقوم من مكانها بعد أن اشتد احمرار وجهها خجلًا من طريقة سلوى، وتقول: توصلوا بالسلامة، وشكرًا يا أبيه على كل حاجة، أشوفكوا على خير، عن إذنكم.

وتتركهم وتنزل إلى شقتها وتغلق الباب وراءها.

أم علاء بالداخل: ليه كده يا بنتي تكسري بخاطرها؟ لا مالكيش حق أبدًا يا سلوى.

سلوى: ليه يا طنط؟ كان المفروض أقوم أبوس راسها ولا أفرشلها الأرض رمل.

أم علاء: لا يا بنتي، بس ماكُنتيش اتكلمتي خالص، يا تتكلمي بطريقة أحسن من كده، انتي أحرجتيها جدًا.

سلوى: ما تتحرج أنا مالي، مش كفاية جايبِنّا على ملا وشّنا ما أعرفش ليه، ومصاريف وعطلة، هو علاء ناقص؟ ما كفاية عليه مسؤلياته هنا وهناك.

أم علاء: مسؤلياته؟! قصدك إيه يا بنتي؟

سلوى: يعني....

ويستوقفها علاء، ويقف مكانه ويقول وهو غاضب: سلوى، خلاص حنفضل نرغي كتير؟ خلِصنا، وأنا مفهّمك كويس طبيعة علاقتنا بهبة وأمها الله يرحمها.

أم علاء تقوم من مكانها وهي غاضبة، وتقول بنبرة صوت حزينة: طيب عن إذنكم، أما أروح أصلّي الظهر، طبعًا البيت بيتكوا.

وتتركهم وتتجه إلى غرفتها, علاء ينظر لسلوى ويقول: مفيش فايدة فيكي.

ويقوم خلف أمه يدخل غرفتها، يجدها تجلس على السرير وهي حزينة

الملامـح.

يقـول عـلاء: معلـش يـا ماما، هـي مـش قصدها حاجـة، هي سـلوى كده دَبْـش كلام.

أم عـلاء: ولّا قصدهـا يابنـي، حقهـا، وأنـا قولتلـك كـذا مـرّة ماتبعَتـش حاجـة، أنـا الإيجـار الـلي باخـدُه مـن هبـة والمحـل عـلى معـاش أبـوك بيكفينـي، وربنـا يخـلي إخواتـك مـش مخلينّـي عايـزة حاجـة.

عـلاء: إيـه يـا ماما الـكلام ده؟ ماتقوليـش كـده، دا أنـا كلي تحـت رجلـك، هـي مـش قصدهـا كـده والله، هـي بـس مابتحبـش هبـة، ومـن وجهـة نظرهـا إنهـا ماتقربلنـاش، وإن احنـا مهتمـين بيهـا زيـادة.

أم عـلاء: أكيـد يابنـي ليهـا حـق تغِير عليـك، مـا هـي مراتـك، بـس لـو هـي كـده أسـلوبها عـلى طـول اللـه يكـون في عونـك يابنـي ويقـدّرك عليهـا.

علاء: يارب.

وينتبهـا عـلى صـوت جـرس البـاب، وتقـول أم عـلاء: أكيـد دول اخواتـك جايِّـين يسـلموا عليـك.

وتمـر الأيـام والأيـام ويبـدأ العـام الـدراسي الجديـد، وتبـدأ هبـة في الذهـاب إلى جامعتهـا.

ويبـدأ أشرف في فـرض سـيطرته عليهـا؛ فهـو يلاحقهـا في أي مـكان تذهـب إليـه، سـواء الجامعـة أو المحـل، وقبـل امتحانـات الـترم لهـذا العـام ذهبـت هبـة إلى الجامعـة في يـوم دون أن تخـبر أشرف.

ذهب أشرف إلى المحل وجد ماجدة بمفردها سألها: هي هبة فين؟

ماجدة: راحت الجامعة.

أشرف: جامعة إيه؟! هي عندها جامعة النهاردة؟

ماجـده: مـش عارفـة، هـي كانـت قاعـدة، جالهـا تليفـون قامـت طلعـت غـيّرِت هدومهـا وقالتـلي رايحـة الجامعـة وحرجـع عـلى السـاعة ٥ كـده.

أشرف: ٥! جامعة إيه دي اللي حتفضل من ١١ لـ٥, ماشي.

ودخل أشرف المحل وجلس على كرسي المكتب، ونظر إلى ماجدة نظرته الخبيثة وهو يتحرك بالكرسي يمينًا وشمالًا، وقال: انتي فطرتي؟

ماجدة: لا والله لسّة، أصل عندي شوية شغل كده، حدخل المخزن أجيب بضاعه أرصّها.

أشرف: طيب أنا كمان مافطِرتش, نفطر سوى بقى عشان يبقى عيش وملح.

ماجدة تنظر له نظرة مثيرة وتبتسم وتصمت.

يتصل أشرف بالمعرض الخاص به الكائن على أول الشارع، ويطلب من زقزوق العامل هناك أن يأتي له بالسندوتشات للفطار.

يجلس أشرف مع ماجدة بالمحل يتبادلا أطراف الحديث، وعين كل منهما تنطق بما يريد أن يقول؛ فأشرف تعود على مثل هذه العلاقات الغير شرعية كلما سمح له الأمر.

ويبدو على ماجدة أنها تفهم غرضه ولا تمانع.

يطلب أشرف من ماجدة أن تصنع له كوبًا من الشاي.

قامت ماجدة ودخلت إلى المطبخ الموجود بالمحل؛ فهو عبارة عن حجرة صغيرة جدًا بها حوض صغير، ورخامة عليها أغراض المطبخ الصغيرة من أكواب وبرطمانات للشاي والسكر وموقد غاز صغير، وبداخل هذه الحجرة باب لحمّام صغير أيضًا, تقف ماجدة في المطبخ وتعطي ظهرها للستارة الفاصلة بين المطبخ والمحل من الداخل, تشعر بنَفَس أشرف يقترب منها وجسمه يلمسها من الخلف، ويقول: معلش أنا بس جاي أغسل إيدي.

ماجدة تسحب نفسها ببطئ وتنظر لأشرف بإثارة وتقول: ولا يهمك اتفضل.

وتأخذ صينية الشاي وتخرج من المطبخ.

يغسل أشرف يده ويخرج، ويستكمل مع ماجدة الكلام فهو يحاول أن يتقرّب لها لكي ينال غرضه منها، خاصة بعد أن شعر بأنها لا ترفض وتفهم جيدًا مقصده.

تـأتي السـاعة الثالثـة عـصرًا، يقـوم أشرف مـن مكانـه ويقـول لماجـدة: انتـي سـاكنة فـين يـا ماجـدة؟

تقـول لـه ماجـدة عـلى عنوانهـا، فيقـول لهـا: ابقـي عـدّي وانتـي مروّحـة كـده، لـو فـاضي يعنـي آجـي أوصلـك.

ماجده: وماله.

يذهــب أشرف إلى الجامعــة عنــد هبــة، ولم يســتطيع الوصــول لهبــة أو مــكان محاضرتهــا.

يرجع وهو يشتعل غيظًا إلى معرضه...

يرى هبة تأتي من بعيد في تاكسي، وتنزل هبة على باب بيتها.

تصعـد إلى شـقتها، وبعـد ثـوانٍ قليلـة تسـمع صوت طـرق البـاب، تفتـح لتجد أشرف أمامهـا يدفعهـا إلى الداخـل، ويقـول لهـا: كنتـي فـين للسـاعة ٦ وانتـي نازلـة مـن ١١؟!

هبة: إيه ده فيه إيه؟ ازاي تزقّني كده؟

أشرف يمسـك ذراعهـا بقـوة ويقـول: ردّي كنتـي فـين؟ أنـا روحـت الجامعـة وسـألت مالقِتكيـش ولا طلـع إن فيـه محـاضرات أصـلًا.

هبـة: روحـت الجامعـة وسـألت عليّـا! عـلى أسـاس إنـك بتسـأل عـلى تلميـذة في تالتـه تالـت! دي جامعـة.. يعنـي كـذا كليـة وكـذا مـكان وكـذا سـنة، وبعديـن أنـا كان عنـدي سِكشَـن عمـلي، يعنـي عمـرك مـا كنـت حتعـرف توصـل لي.

أشرف: أنـا ماعرفـش كل الـكلام ده، الـلي أعرفـه إنـك راكبـة دماغـك وماشـية عـلى كيفـك زي مـا يكـون مالكيـش راجـل يحكمـك.

هبـة تشـد يدهـا مـن يـده وتقـول لـه: لا انـت أكيـد اتجنّنـت، وأنـا مـا أسـمحلكش تتكلـم ولا تتعامـل بأسـلوب السـواقين ده، انـت مـا لَكـش حكـم عليّـا.

أشرف يصفـع هبـة عـلى وجههـا، ويمسـك بشـعرها بقـوة ويقـول لهـا: لا دا انتـي عايـزة تـتربّي، وأنـا حعرّفـك انتـي متجـوزة مـين.

هبة يعلو صوت صريخها، وتحاول أن تفلت رأسها من يده وهو يدفع بها يمينًا وشمالًا.

تنزل أم علاء على صوتهما العالي، تجد باب الشقة مفتوحًا وترى أشرف وهو يمسك بشعر هبة، تجري على هبة وتسلّكها من يده وتبعدها عنه، وتقول: إيه يا ولاد كفى الله الشر، بتزعقوا ليه؟

أشرف: خير يا حاجّة إن شاء الله.

أم علاء: إخس عليك يا أشرف، كده هبة تعمل فيها كده؟

أشرف: آه، وأكتر من كده، وأنا حر في مراتي، وما أحبش حد يتدخل بينا لامؤاخذة.

هبة: مراتك؟! لا ده بُعدك.

أشرف: طيب اسمعي بقى، من هنا ورايح مفيش جامعة ولا نزول محل، وأنا اللي حباشرُه وأبعتلك الفلوس، وآخرك هنا أسبوع تلمّي البيت وتلمّي هدومك وحاجتك وحبعت أمي وأختي ياخدوكي على بيتك عندي هناك، ولا فرح ولا دياوله، حنعمل فرح لمين وازاي وانتي الست الحاجّة لسّة ميّتة، ودا آخر كلام عندي.. ومفيش جامعة، سامعاني؟ مفيش جامعة.

ويتركها ويخرج ويغلق الباب وراءه.

تبكي هبة في حضن أم علاء وتقول: أنا إيه اللي مصبّرني عليه؟! ما خلاص.. اللي كنت ساكتة ومستحمِلة عشانها ماتت، أنا تعِبت ومش عايزاه، أنا الصبح حطلب الطلاق.

أم علاء: يالهوي! الطلاق؟! طلاق إيه يابنتي كفى الله الشر، لا طبعًا، استهدي بالله كده بس واصبري، هو بُكرة حيهدى ويروق ويبقى زي الفل.

هبة: آه الطلاق، وفيها إيه؟ مش أحسن ما أعيش مع إنسان متخلّف زي ده؟

أم علاء: يا بنتي انتي أمك ميّتة ماكملتش ٣ أو ٤ شهور، أشرف دخل وخرج عليكي كام مرة وانتي قاعدة لوحدك، عارفة يعني إيه طلاق دلوقتي؟ يعني الناس

حتـاكل وشـك، حيقولـوا خَـد غرضُـه منهـا وطلّقهـا، ومحـدش حيقـدّر ده، وبعديـن حتروحـي تقـولي لأمـه إيـه؟ حطّلـق عشـان بيغِـير عليّـا، يـا بنتـي النـاس مابترحمـش وانتـي لوحـدك في الدنيـا، الجـواز ليـكي سـتر، حتسـوّيْ سـمعتك عـلى الفـاضي، ومحـدش حيصـدق إنـه مالَمَسْـكِيش، معلـش اصـبري، عنـد اللـه كل ده، وشـوفي ربنـا حيعوّضـك إزااي، أنـا الصبـح لمـا يهـدى حكلّمـه في موضـوع الجامعـة ده وربنـا يسـهل، وانتـي بعـد كـده منعًـا للمشـاكل لازم تعرّفيـه إنـك نازلـة، حقـه عليـكي، إمـال هـمّا اخترعـوا التليفونـات ليـه؟

هبة تبكي وتصمت دون أن تنطق بحرف واحد.

ينتهـي اليـوم ويخـرج النهـار مـن عتمـة الليـل، ولكـن العتمـة مـا زالـت تعشّـش في قلـب وحيـاة هبـة، تقـوم هبـة مـن نومهـا تنظـر مـن النافـذة تجـد ماجـدة تفتـح المحـل، تنـادي عليهـا وتصعـد لهـا ماجـدة.

هبة: أنا قاعدة النهاردة هنا مش نازلة، عندي مذاكرة مش حقدر أنزل.

ماجدة: حاضر، عن إذنك.

وتنـزل ماجـدة، تجلـس هبـة في شرفـة منزلهـا تنظـر عـلى الشـارع والمـارّة، تـرى أشرف يـأتي بسـيارته مـن أول الشـارع تسـتتر في جـدار البلكونـة حتـى لا يراهـا، ينـزل أشرف ويمـرّ عـلى المحـل قبـل أن يصعـد؛ مـما يلفـت انتبـاه هبـة، وبعـد دقائـق تدخـل هبـة بالداخـل لتبـدّل ملابـس البيـت وترتـدي لبسًـا آخـر، يتأخـر أشرف لثـواني؛ فهـو مـا زال تحـت عنـد ماجـدة، يصعـد أشرف ويطـرق البـاب، تفتـح لـه هبـة وتدخـل تجلـس عـلى الكـرسي دون ترحيـب، تجـد أشرف بيـده بوكيـه ورد، ويقـول: هـو الجميـل لسّـة زعـلان؟

هبة لا تنظر إليه ولا تجيبه.

أشرف: لا لا دا أنا شكلي عكّيت جامد امبارح.

يتجـه نحوهـا ويقـول: خـلاص بقـى المسـامح كريـم، مايبقـاش قلبـك أسـود وخُـدي جايِبلِـك بوكيـه ورد أهـو، وعشـان خاطـر تـرضي تصالحِينـي فيـه جامعـة يـا سـتي.

تنظر هبة وتبتسم وتقول له: بجد؟

أشرف: آه بجد، بس علي شرط، مفيش تنطيط ومحاضرات انتي فاضلك تقريبًا ١٠ أيام على امتحاناتك، تقعدي في البيت وتذاكري وحتروحي على الامتحان بس، وأنا اللي حودّيكي وأرجّعك.

هبة: ماشي.

أشرف: وأنا عشان خاطرك برضه حأجّل الدخلة لبعد الامتحانات، بس آخر يوم امتحان حتطلَعِي من الجامعة عليّا.. آه.

هبة: طيب ربنا يسهل.

أشرف: يلّا قومي بقى غيّري هدومك، حضدِك نفطر ونتغدى برّة.

هبة: طيب ماشي.

وتقوم هبة وتدخل غرفتها لكي تبدّل ملابسها، وقبل أن تستكمل ارتداء ملابسها يفتح أشرف الباب عليها؛ فتلتفت هبة للباب وتقول: إيه ده؟! مايصحّش كده.

أشرف وهو يتجه إليها وعينه تلمع شهوة ورغبة فيها ويحتضنها بقوة ويريد أن يقبلها.

هبة: يا أشرف مايصحّش كده عيب، يا عم امسك نفسك شويّة، كلها كام يوم وأبقى معاك.

أشرف يعافر معها ويمسك بيدها الاثنين ويضعها خلفها، ويلف يده على وسطها ويقترب منها، يجذبها له وينجح في تقبيلها ويتركها.

تخجل هبة أن تنظر في وجهه وتنظر في الأرض، وتحاول أن ترتب ملابسها التي تبعثرت عليها من مقاومة أشرف.

أشرف: يالهوووووي على دي بوسة، أموت أنا في الخدود الحُمر دول يالهوي يالهوي.

هبة: ممكن بقى تطلع عشان أغيّر هدومي.

أشرف: طيب ما تغيّري كده وأنا قاعد، مش أنا جوزك برضه.

هبة: لا طبعًا مش حعرف، يلّا بقى عشان مانتأخرش، انت مش عايز تاكل.

وتدفع به برفق وضحك إلى خارج غرفتها وتستكمل ملابسها، وتنزل معه يقضيان يومًا جميلًا، ويشتري لها أشرف الكثير من الهدايا ويوصلها إلى منزلها، ويذهب إلى منزله، تصعد هبة تتحدث مع خالتها في التليفون لإبلاغها بأن أشرف يريد إتمام الزواج في خلال أيام قليلة.

هبة: ألو يا خالتي إزيك؟

خالت هبة: أهلًا يا هبة إزيك؟

هبة: الحمد لله، بقول لك يا خالتي.

وتحكي لها هبة ما قاله أشرف.

خالت هبة: ومالك يا حبيبتي، روحي واتجوزي، احنا لا حينفع نعمل فرح عشان أمك اللي لسّة ميّتة دي ولا حاجة، يبقى ادخلي وخلاص، حتستنّى إيه؟ أهو تجيبِلِك حتة عيل يسلِّيكي.

هبة: يعني حروح كده لبيتهم من غير حد من أهلي؟! طيب حاجتي وفرشي، طيب الشقة اللي حقعد فيها ظروفها إيه؟ أنا حتكسِف أكلّمه في حاجة دي كده.

خالت هبة: أنا مش حعرف أجيبِلك، مرات إبراهيم كام يوم وحتولد، ابقِي خُدي معاكي أمك التانيه أم علاء، ما انتى على طول مبقيّاها عني.

هبة: مبقيّاها عنك؟! ليه بتقولي كده؟

خالت هبة: مش حنفتح مواضيع، خلاص ربنا يوفقك، سلام يا هبة، ولما تروحي هناك حبقى آجي أزورك وأباركلك وأنقطّك.

تغلق هبة الخط وتجلس مكانها، وتفكر... هل ما سوف تقبل عليه خير أم لا؟! ولكن يستوقفها كلام خالتها وأم علاء عندما كرّروا عليها نفس الجملة التي تقول (انتي مابقاش ليكي حد، اتجوزي وخلّفي حتة عيل يمشى عليكي البيت، واعملي عِزْوَة وأسرة تعيشي عشانها) ولكن تحتار هبة بين أحلامها التي كانت تحلم بها، فهل الزواج ومن أشرف بالأخص سيكُون عونًا لها على استكمال دراستها وتحقيق

حلمها بأن تتخرج من إعلام وتعمل في مجال الإعلام والصحافة، أم سيكون عقبة في مشوارها؟! خاصة أن أشرف دائمًا يريد أن يفرض رأيه وسيطرته عليها.

تأخذ هبة نفَسًا عميقًا وتقول: اللي يجيبه ربنا بقى، حيكون يعني قعدتي بين ٤ حيطان دي لوحدي كده مش كويسَة برضه، وأنا ححاول أسيطَر على أشرف وأخليه ينفّذ لي اللي عايزاه.

وبعد كم يوم تأتي أم أشرف وأخته لهبة لكي يساعدوها في ترتيب أغراضها ونقلها إلى بيت أشرف وإتمام الزواج، تقول هبة: كان نفسي يا طنط ألبس فستان ونعمل حتى قعدَة صغيّرة كده.

أم أشرف: أولًا يختي إيه طنط دي؟ أنا من هنا ورايح اسمي ماما يا حبيبتي، وبعدين هي كلفة على الفاضي، احنا حنجهّزلك الشقة ونرتب كل حاجة، وحعمل عشَا عرايس وحتبقوا لوحدكوا، وحنسيب البيت كله ونمشي كام يوم كده على ما تدخلوا بقى عشان تبقوا على راحتكوا.

هبة: طيب أنا مش حاجي أشوف الشقه وفرشَها.

أم أشرف: إيه ده؟ ما انتي حتيجي على طول، بقى دا الشقة جديدة وزي الفل، فاضل بس أوضة النوم ودي بقى حسِيبها لذوقك، بُكرة ولا بعده أشرف ياخدك وتروحوا للحاج خِضر تختاروا أحلى أوضة نوم، وعمك الحاج حيدفع تمنها.

هبة: ربنا يسهل.

ويستكملوا ما يفعلونه.

وتاني يوم أشرف يأخذ هبة ويذهبا لشراء غرفة النوم الخاصة بهما.

تقول هبة: هو أنا مش حروح أفرشها وأبص على الشقة؟ معقول يعني حتجوّز كده من غير ما أشوف شقّتي اللي حعيش فيها!

أشرف: يا حبيبتي انتي هانم، أنا أمي وأختي حيظبّطوا الدنيا، وبعدين الأول كانت الحاجّة عايشة، كان ممكن تيجي معاها، لكن دلوقتي حتدخُلي وتخرجي كده حيبقى شكلها وحش، أنا يوم الخميس حعدّي عليكي تكوني لابسة طقم

مـن الـلي جايبهملـك مـن كام يـوم، ونقـف في الشـارع كـدَه نعـرّف النـاس إننـا خـلاص حنتجـوّز، ونخـرج خروجـة حلـوة، ونرجـع عـلى بيتنـا بقـى.

هبة: ولو إني مش مقتنعة بأي حاجة من اللي بتحصل بس حعمل إيه يعني.

أشرف: كله حيبقَى زي الفل.

ويـأتي يـوم الخميـس، وتقـف هبـة تحـت منزلهـا وبجوارهـا أم عـلاء وماجـدة ومنـال وأميـرة، ويسـلموا عـلى هبـة ويوصّونهـا عـلى نفسـها وحياتهـا الجديدة.

ويظهر على ملامح أميرة ومنال عدم الرضى على ما يحدث لهبة.

وتذهـب هبـة مـع أشرف بالسـيارة، تقـف أمـيرة وتقـول لأمهـا: هـو دا الطبيعـي يحصـل؟ البنـت تدخـل سـوكِّيتي كـده، محـدش معاهـا ولا نعـرف شـقتها ولا فرشِـها ولا قايمِتهـا ولا أي حاجـة؟

أم عـلاء: هـو يـا بنتـي حـد كان يعـرف إن أمهـا حتمـوت بـدري كـده، وكـمان هـي مكتـوب كتابهـا وخالتهـا مشـغولة بـولادة مـرات ابنهـا ومارِضْبِتـش تيجـي، وأي خـلاف بـين أشرف وهبـة حيـأدي للطـلاق، ودة مـش لمصلحتهـا يـا بنتـي, يـلّا ربنـا يهنيهـا يـارب ويهـدّي سرهـا.

أمـيرة: لا يـا ماما أنـا زعلانـة، وربنـا حيحاسِـبنا بذنـب البنـت دي، بـس مـا باليـد حيلـة.

تنهـي هبـة سـهرتها مـع أشرف وتعـود إلى منزلـه لأول مـرة، وتصعـد إلى الشـقة، ويفتـح أشرف البـاب ويقـول: اتفضـلي.

تقف أم أشرف وأخته ويزغردوا فرحًا بقدوم أشرف وعروسته..

تقـف هبـة وهـي محرجـه، يقـول أبـو أشرف: أهـلا بسـت العرايـس، ادخـلي نـورتي بيتـك.

تدخـل هبـة وتجلـس عـلى أقـرب كـرسي تتفقـد بعينهـا المـكان؛ فهـو يبـدو عـلى المـكان النظافـة، ولكـن الأثـاث ومحتويـات الشـقة ليسـت جديـدة رغـم نظافتهـا وترتيبهـا.

يقـوم كل مـن أبـو أشرف وأمـه وأختـه يسـلمون عـلى أشرف وهبة، وتقـول أم أشرف: احنـا حنمـشي بقـى يـا أشرف، وشِـدّ حيلـك بقـى، تتهنّـى بعروسـتك, سـلام يـا هبـة.

ويتركوهم ويذهبون إلى الإسكندرية كام يوم.

بعد أن يغلقوا الباب تقول هبة لأشرف.

هبة: أنا مش فاهمة حاجة.

أشرف: مـش فاهمـة إيـه بـس يـا جميل هما مشـيوا واحنا بقينـا وحدينا يـلا بقى يلا.

هبة تقف تقول: طيب هو احنا مش حنطلع شقتنا ولا إيه؟

أشرف: نطلع ما شقتنا هي دي.

هبة تنظر باستغراب: هي دي إزاي؟!

أشرف: من غير إزاي إيه مش عاجباكي؟

هبـة: لا مـش موضـوع مـش عاجبـاني، بـس هي مش بايـن عليهـا إنها جديـدة يعني.

أشرف: آه، مـا دي شـقة أبويـا وأمـي، يعنـي الشـقة اللي احنـا أصلًا عايشـين فيها كلنا.

هبة: آه، ودي علاقتها إيه بينا؟

أشرف: مـا احنـا حنعيـش هنـا، انتـي شـايفة أهـو الشـقة كبـيرة وواسـعة دي ٤ إوض، يعنـي حنعيـش كلنـا عـلى حريتنـا، وأوضـة النـوم الـلي اختارتيهـا مفروشـة ومتعطـرة وزي الفـل.

هبة: آه، بس ده ماكانش اتفاقنا يا أشرف ولا اتفاقكوا مع ماما.

أشرف: ماما آه، اللـه يرحمهـا بقـى، أنـا شـقتي لسّـة ماخلصتـش، فيهـا شـغل، وبعديـن مـا البيـت ده كلـه بتاعـي يعنـي هنـا زي فـوق... أدينـا حنعيـش مـع بعـض وواحـدة واحـدة حنفـرش فـوق بقـى ونبقـى ننقـل.

هبة: طيب وفرشي وحاجتي اللي أمك وأختك جُم خدوها.

أشرف: مالهـم مـا هـم اتفرشـوا، حاجـة النيـش في النيـش والفـرش في أوضتـك وحاجـة المطبـخ في المطبـخ.

هبة: أه بس ده كده يبقى غش، يعني انتو ضحكتوا عليا، لا فرش ولا عفش ولا قايمة وكمان واخدين حاجتي، أنا مش موافقة على الكلام ده، أنا حروح بيتنا ولما يبقالي شقة ابقى تعالى خدني.

أشرف يقف مكانه ويقول: تروحي فين؟ انتي هبلة باين، الناس كلها عارفة إنك هنا ودُخْلِتِك النهاردة حتنزلي قرب الفجر تروحي فين؟ الناس تقول إيه إن شاء الله؟

هبة: يقولوا اللي يقولوه أنا مالي.

أشرف: أه طيب خلي بالك أول حاجة حتتقال عليكي إنك شمال وجوزك كرَشِك ليلة دُخلتك وانتي افهمي الباقي بقى.

هبة تنظر له وتصمت....

أشرف: اعقلي يا هبة ويلا ادخلي غيري هدومك والبسي حاجة بقى كده مشخلعة من اللي شوفتهم بيتفرشوا، ما أنا أصلي كنت واقف معاهم وهما بيفرشوا آه، وشوفت معاهم وهما بيفرشوا آه، وشوفت الأحمر والأصفر يالهواااااي، دا احنا حنهيص يلا بقى يا مزة والنهاردة ليلة مفترجة قومي.

هبة تقوم وتستسلم لوضعها لا تعلم ماذا تفعل في هذا الموقف تدخل غرفتها تبدل ملابسها وتلبس ملابس خاصة بهذه الليلة وتخرج من غرفتها تتفقد الشقة بأكملها تجد فرشها منتشر هنا وهناك في المطبخ والنيش وغرفة النوم.

تنظر حولها وتحفظ ملامح الشقة التي سوف تستكمل بها باقي عمرها تبحث عن أشرف هنا وهناك تجده يجلس على «الأنتريه» وأمامه «التلفزيون» و«الفيديو» وعلبة سجائر وقداحة وطبق به شيء يشبه الأعشاب.

تجلس بجواره تقول له إيه ده؟

أشرف: ده دماغ لزوم الليلة.

هبة: دماغ إزاي يعني؟

أشرف: حتفهمي دلوقتي شغلي بقى الشريط اللي حطه في الفيديو حيعجبك أوي.

تقـوم هبـة بتشـغيل «الفيديـو» وتجلـس مكانهـا مسـتغربة مـا الـذي يحـدث أو سـوف يحـدث.

تجـد أشرف يلـف بضعًـا مـن السـجائر ويبـدأ في شربهـا، رائحتهـا كريهـة جـدًا مـما يصيـب «هبـة» بالسـعال والخنـاق تقـول هبـة: إيـه القـرف ده.

أشرف: قرف؟ حد يقول على الحشيش قرف؟

هبة: يا نهار أسود حشيش.

أشرف: أه يا بنتي دي أحلى دماغ تعالي كده جربي نفس وانتي تعرفي.

هبة: نفس إيه؟ إنت بتشرب حشيش يا أشرف؟

أشرف: ده تفاريـح كـده لـزوم المـزاج بـس متعكننيـش علينـا بقـى اتفرجـي معايـا كـده عـلى الفيلـم حيبـدأ أهـو ومقولكيـش بقـى الفيلـم حيعجبـك أوي.

وتبـدأ الأبطـال بالظهـور ولكـن هبـة تنظـر إلى الفيلـم وتقـول لـه: إيـه المناظـر دي ده فيلـم؟ ده إيـه قلـة الأدب دي؟!

أشرف: يـادي العكننـة يـا بنتـي انتـي مسـمعتيش عـن ليلـة الدخلـة بيتعمـل فيهـا إيـه؟ أمـال حندخـل كـده عـادي؟

هبـة: تدخـل؟ إنـت مفكـر نفسـك حتلمسـني بعـد القـرف الـلي شـوفته ده؟ إنـسى.. تقـوم وتنـصرف ذاهبـة إلى غرفتهـا.

يذهب أشرف ورائها ويدخل خلفها الغرفة ويغلق الباب.

تقول له هبة: أخرج برة أنا مش طايقاك.

يدفـع أشرفُ هبـة عـلى السريـر بقـوة وفي عينيـه شرار بينـما تبـدو عليـه علامـات التخديـر مـن كميـة المخـدرات التـي تعاطاهـا.

وقبـل أن تسـتكمل هبـة كلامهـا يقـوم بتمزيـق ملابسـها وينقـض عليهـا كالوحـش الـكاسر دون مراعـاة لمشـاعرها ويدخـل عليهـا أشرف بالقـوة وبعـد أن ينـال منها ويشـبع رغبتـه الجنسـية منهـا يتركهـا غارقـة في دموعهـا وينـام وهـو لا يشـعر بـشيء حولـه.

تحـاول هبـة أن تسـتجمع قواهـا وتقـوم مـن مكانهـا بصعوبـة وكأنهـا كانـت في معركـة وليسـت في ليلـة تتمناهـا أي بنـت.

تدخـل هبـة إلى الحـمام تقـف تحـت «دش» الميـاه وهـي تبـكي حظهـا فـإذا كانـت تفكـر في الانفصـال قبـل ذلـك فبعـد الآن لا تسـتطيع فهـي أصبحـت زوجتـه رسـميًا وشرعيًـا، تخـرج مـن حمامهـا وتضـع رأسـها عـلى وسـادة السريـر وتستسـلم للنـوم.

.....

يفتح علاء الباب ويدخل، يضع مفاتيحه على المنضدة.

علاء: السلام عليكم.. إزيك النهاردة؟

سلوى: الحمد لله كويسة.

علاء: إيه؟ عاملة غدا ولا حنجيب من برة؟

سلوى: لا ده أنا عاملة أكل النهاردة بطبخ فيه من امبارح.

عـلاء: يالهـوي مـن امبـارح؟ طيـب يـا سـتي كـتر خـيرك أنـا جايـب فاكهـة وحاجـات للبيـت حطتهـم بـرة.

سلوى: طيب حقوم أحضر السفرة واحط الفاكهة في التلاجة.

يجلس كل من «سلوى» و«علاء» على السفرة يتناولون الغداء.

سلوى: إيه رأيك؟

علاء: كويس بس ابقي قللي الملح شوية.

سـلوى: لا أنـا مـش عايـزة أي انتقـاد أنـا مـن امبـارح بعمـل في الأكل ده وتعبت فيه.

علاء: هو أنا قولت إيه؟!! كويس وابقي قللي الملح.

سلوى: يا سلام مفيش تسلم إيدك؟ مفيش شكرا؟!

علاء: بس كده، تسلم إيدك يا ستي وشكرًا.

ويقوم من على السفرة بعد أن أنهى طعامه.

يجلس علاء في غرفة المعيشة يحتسي الشاي...

تـأتي سـلوى ومعهـا طبـق بـه بعض من حبـات الفاكهة التـي أتى بها عـلاء، تضعها على المنضـدة، يلاحـظ عـلاء أن هناك بعـض القطع غير صالحة لـلأكل أو معطوبة بعض الشيء.

علاء: إيه ده؟ هي الحاجة بايظة ولا إيه؟ أنا جايب كراتين مقفولة.

سلوى: لا بالعكس الفاكهة كويسة جدًا.

علاء: أمال إيه ده؟!

سـلوى: دول كانـوا مـش حلويـن جبتهـم عشـان تاكلهـم أصـل ماما قالـت لي لما يجيـب فاكهـة وتطلـع فيهـا حاجـة بايظـة تحطيهـا لـه عشـان يبطـل يجيـب كـده تـاني.

عـلاء: نعـم؟؟ لا يـا حبيبتـي المعطـب ده تاكليـه انتـي وامـك أنـا تعبـان وشـقيان وانا الـلي بـصرف وبجيـب، يجيـلي أحسـن حاجـة... ثـم يـضرب طبـق الفاكهـة بيـده فيبعـثره هنـا وهنـاك ويتركهـا ويدخـل غرفـة نومـه.

تـدق السـاعة ١٢ منتصـف الليـل يـرن جـرس الهاتـف المنـزلي عنـد «عـلاء» يقـوم «عـلاء» مـن فراشـه منزعجًـا، ويجفـل ثـم يقـول: خـير يـا رب!

يرفع سماعه التليفون ويقول....

علاء: ألو؟ مين؟

أنا «سمير» أخو «سلوى».

علاء: أهلا يا «سمير» خير.

سمير: معلش أنا آسف على الإزعاج.

علاء: لا خالص ولا يهمك خير.

سـمير: بابـا تعبـان أوي في المستشـفى في رعايـة القلـب بقالـه يومـين وللأسـف طالبـين مننـا مبلـغ كبـير أوي وانـا وماما مـش معانـا دلوقتـي لحـد أول الشـهر بـس اقبـض واردهملـك.

علاء: لا حول ولا قوة إلا بالله متقولش كده ولا يهمك قول عايز كام؟

سمير: أنا آسف والله يا «علاء» بس انت أخونا.

علاء: عيب يا «سمير» قول بس محتاج كام؟

يلفت الكلام انتباه «سلوى» وتقوم من نومها لتجلس على الفراش.

علاء: بس كده عنيا الصبح ححولك ألفين جنيه ولو عوزت أي حاجة في أي وقت قول، ده زي والدي.

ويغلق علاء الخط....

تقول «سلوى»: هو ده سمير أخويا؟

علاء: أه هو انتي كنتي عارفة إن والدك تعبان؟

سلوى: أه.. عارفة من يومين.

علاء: طيب مش كنتي تقولي؟! كنت كلمتهم أطمن عليه بدل مانا آخر من يعلم كده.

سلوى: مجتش مناسبة.. هو بقى بيكلمك ليه؟ عايز إيه؟؟

علاء: ما انتي سامعة أبوكي محجوز ومحتاجين فلوس.

سلوى: أه واحنا مالنا.

علاء: لا ده ابوكي انتي مش ابويا أنا.

سلوى: عارفة.. معملوش حسابهم ليه قبل ما يدخل؟

علاء: يدخل فين؟!! ده تعب يعني محدش عارف حيتعب امتى وبعدين أنا قولت حديله يعني حديله.

سلوى: لا.. أنا قولتلك لا.. ملناش دعوة.

علاء: انتي تقولي على مزاجك.. أنا مشوفتش كده بصراحة!! انتي خايفة ميردهمش يعني؟! يا ستي ولا يهمك أهلك أهلي.

سلوى: خلاص انت حر أنا زهقت من تصرفاتك.

علاء: تصرفاتي أنا؟؟ أقولك على حاجة؟! بجد انتي محتاجة دكتور نفسي أه والله انتي مش طبيعية... ويرجع لفراشه ليستكمل نومه.

يـأتي اليـوم التـالي يخـرج «عـلاء» إلى عملـه ويرسـل المبلـغ المتفـق عليـه وبعـد انتهـاء يـوم العمـل الشـاق في طريـق عودتـه للمنـزل يحـدث تصـادم قـوي بـين «عـلاء» بسـيارته وسـيارة أخـرى مـما يجعـل «عـلاء» يتأخـر عـلى ميعـاد عودتـه للمنـزل خاصـة أن الموضـوع تحـول إلى قسـم الشرطـة والسـيارة تهشـمت وهـو أصيـب بجـروح طفيفـة.

يصـل «عـلاء» إلى منزلـه بعـد السـاعة الواحـدة بعـد منتصـف الليـل يجـد زوجتـه غارقـة في نومهـا لا تبـالي بتأخـره وكأنهـا لا يهمهـا وجـوده مـن عدمـه...

يدخـل إلى غرفـة النـوم ويـضيء الأنـوار و»سـلوى» نائمـة في فراشـها فتقـول بصـوت نائـم: تء تء تء تء اطفـي النـور إيـه ده؟

عـلاء: أطفـي النـور إيـه؟؟ هو انتـي مش حاسـة اني اتأخـرت؟ ولا عارفة السـاعة كام؟

سلوى: يووووه أنا عايزة أنام.. الصبح نتكلم.

عـلاء: أنـا عامـل حادثـة بالعربيـة قومـي حضريـلي الحـمام جسـمي واجعنـي واعمليـلي لقمـة أنـا مكلتـش مـن الصبـح.

سلوى: تنظر إلى الساعة وتقول حمام إيه وأكل إيه الساعة واحدة ده؟!

عـلاء: بقولـك عامـل حادثـة وتعبـان، مـش فـارق معـاكي ولا هايـن عليـكي حتـى تقوليـلي مالـك.

تقـوم «سـلوى» مـن فراشـها وهـي تتأفـف وتقـول: حيحصلـك إيـه يعنـي؟؟.. مـدام وصلـت البيـت وقاعـد بتناكـف فيـا، تبقـى زي الفـل مفكـش حاجـة!

وتذهب لتلبي طلب «علاء» وهي مجبرة عليه وكارهة له..

.....

في صباح اليوم التالي.

تقـف هبـة في المطبـخ عنـد أهـل «أشرف» تحـضر الفطـار وتنظـف المنـزل، تسـمع صـوت طرقـات البـاب فتفتـح لتجـد أم «أشرف» وأختـه وأبـاه عـادوا مـن إجازتهـم.

تقول أم «أشرف»: يااه مفيش أحلى من بيت الواحد.

تستقبلهم «هبة» بضيق فهي مازالت غير راضية على ما فعلوه فيها فكلهم ضحكوا عليها.

تقول أخت «أشرف»: مالك ياختي ضاربة بوز في وشنا كده ليه؟؟ إيش حال مكناش بعيد عنك بقالنا كام يوم!

أم «أشرف»: أمال «أشرف» فين؟ لسه نايم.

هبة: أه يا طنط لسه نايم وانا عايزاكي في كلمتين.

أم أشرف: لا كلام إيه دلوقتي؟.. قومي حضريلنا لقمة ناكلها واعمليلنا شاي نرتاح من السفر والمشوار وآخر النهار نتكلم أنا مش فايقة دلوقتي.

«أماني» أخت أشرف: أنا داخلة أنام يا ماما.. لا عايزة آكل ولا اشرب من وش مرات ابنك دي، لما أقوم أنا حبقى آكل، سلام!

أم أشرف: طيب يلا يا بنتي اتحركي حتفضلي واقفة تتفرجي علينا كده زمان عمك الحاج جعان!

تدخل «هبة» إلى المطبخ تجهز سندوتشات للفطار وتعد الشاي لهم وتوقظ «أشرف» من نومه.

يقول أبو «أشرف»: مش كفاية يا بيه بقى نوم في العسل وتقوم تفتح المخروب اللي تحت ده؟

أشرف: يووووووه اصطبحت على الصبح.. يا فتاح يا عليم أنا لحقت دانا بقالي ٣ أيام بس وانت لسه جاي!.. ما تهدى يا عم الحاج ع الصبح!

يقول أشرف لـ «هبة»: قومي حضريلي طقم خليني أنزل أشوف المعرض.

تذهب هبة إلى غرفتها تمر على غرفة «أماني» تجد الباب مفتوحًا قليلًا، تلاحظ أماني نائمة على فراشها الذي يوجد عليه لحاف «فايبر» كان من ضمن جهاز «هبة»، تستغرب «هبة» وتقف لثوانٍ وتطرق باب غرفة «أماني».

أماني: يووووووه مين؟ مش قولت عايزة أنام.

هبة: أنا يا أماني.

أماني: خير؟ فيه حاجة؟!

هبة: أيوة.. هو اللحاف اللي انتي متغطية بيه ده مش المفروض بتاعي؟

أماني: المفروض؟؟؟؟ أه المفروض إنه بتاعك وانا أخدته.. فيه حاجة عايزة تقوليها روحي قوليها لماما واطلعي بقى واقفلي الباب وراكي أنا عايزة أنام...

تخرج هبة وتغلق الباب ورائها....

وتذهب إلى غرفتها تحضر لـ «أشرف» ملابسه يدخل «أشرف» يلاحظ على وجهها الغضب.

أشرف: خير مالك ع الصبح؟

«هبة» تحكي له ما حدث مع أماني..

أشرف: بقولك إيه أنا مش ناقص، ومليش في شغل النسوان ده.. عندك أمي اتصرفي معاها أديكي شايفة أبويا راجع مش طايق نفسه، إوعي خليني أنزل.. ويتركها ويخرج. تقف «هبة» مكانها وهي تشتعل غيظًا من كل ما يحدث، يرن هاتف المنزل فتخرج «هبة» لكي تجيب على الهاتف..

هبة: ألو؟ أميرة

ألو؟ إزيك يا «هبة» أنا أميرة

هبة: أبلة أميرة.. إزيك عاملة إيه؟

أميرة: إزيك انتي يا حبيبتي عاملة إيه؟

«هبة» تبكي وتقول لها:

أنا تعبانة أووووي!!

أميرة: طيب مالك؟ تعرفي تحكي؟

هبة: لا مش دلوقتي أنا امتحاني كمان أسبوع حكلمك وابقى أشوفك عند الجامعة

أميرة: ومالـه يـا حبيبتـي، حسـتناكي..، وتنهـي معهـا الحـوار ثـم تغلـق الخـط بعـد سـاعات تسـتيقظ أم «أشرف» مـن النـوم تجـد «هبـة» جالسـة عـلى كـرسي الأنتريـه وتشـاهد «التلفزيـون» أم أشرف: عملتـي إيـه ع الغـدا؟

هبة: غدا إيه؟ أنا معملتش أكل!

أم «أشرف»: ليـه إن شـاء اللـه؟ عـلى إيـدك نقـش الحنـة؟ مـش شـايفانا جايـين م السـفر لمـا عمـك يصحـي حقولـه إيـه لمـا يسـالني ع الأكل؟؟!

هبـة: وأنـا أعـرف منـين انتـو عايزيـن تاكلـوا إيـه؟ التلاجـة لسـه فيهـا حاجـات مـن الـلي كنتـي عاملاهـا ومعرفـش أصـلا انتـو بتاكلـوا إيـه! وبعديـن أنـا عايـزة أعيـش في شـقتي لوحـدي انتـو ضحكتـوا عليـا.. فـين حاجتـي الـلي خدتوهـا؟؟

يعنـي إيـه فـرشي ألاقيـه في كل حتـة شـوية وبنتـك واخـدة لحـافي وفرشـاه وأكلمهـا تقـولي قـولي لماما!!.. وكوبيـاتي وحلـلي في المطبـخ مـع حاجاتكـو، فـين شـقتي؟ فـين عفـشي؟ ده مكنـش اتفاقكـو مـع ماما..

أم «أشرف»: ماما بقـى اللـه يرحمهـا سـبتك لوحـدك، واحنـا بقـى مـش حنسـتنى لمـا تحصـل مصيبـة ونلاقيـكي حامـل مـن غـير ماناس تعـرف إنـك متجـوزة.. ولا كنتـي عايـزة تفضـلي هنـاك لوحـدك داخلـة خارجـة محـدش يقولـك رايحـة فـين وجايـة منـين، وبعديـن شـقة إيـه يـام شـقة؟! هـي الشـقة دي مـش كانـت حتعـوز منـك انتـي كـمان فـرش معـاه ولا شـوية الكراكيـب الـلي خدناهـم مـن كوبيـات وبطاطـين وملايـات هـي الـلي حتفـرش الشـقة؟ ادينـا وفرنـا عليـكي وعلينـا وبعديـن أنـا ابنـي يفضـل كـده جنبـي قـدام عينـي أنـا محيلتيـش غـيره.. وأمـاني كلهـا شـهرين تلاتـة وربنـا يكرمهـا وتتخطـب وتتجـوز وتـروح بيـت عدلهـا وحيبقـى البيـت بتاعـك! هبـة: أاااه! ده مترتـب بقـى مـن الأول كل حاجـة؟ طيـب أنـا عايـزة لحـافي الـلي بنتـك وخـداه مـن غـير إذن!

أم أشرف: أختـك وعاجبهـا حاجـة وخدتهـا.. مانتـي حتنامـي وتـاكلي وتـشربي وتاخـدي مـصروف مـن هنـا، يعنـي خـلاص بقـت عيشـة واحـدة والـلي عنـدك عندنـا والـلي عندنـا عنـدك!

هبة: كده؟ من غير استئذان؟

أم أشرف: استئذان ده إيه ياختي؟ هي مدرسة؟ قومي يلا طلعي لحمة م التلاجة واعملي أي خضار عليها.. أنا منضفاه وحاطاه في الفريزر.. يلا زمان عمك الحاج حيصحى يطلب الأكل..

تقوم «هبة» من مكانها وهي مغصوبة على أمرها فالموضوع كله أصبح غير مرغوب فيه.. يقترب موعد امتحانات هبة ويبدأ انشغالها بالمذاكرة لتغلق الباب عليها بالساعات لكي تذاكر ولكن هذا الوضع لا يعجب حماتها وأماني أخت زوجها!

أماني: يا هبة.. انتي يا ست هبة!.. تغلق «هبة» الكتاب الذي تذاكر منه ثم تجيب:

هبة: نعم!

أماني: نعم الله عليكي ياختي.. مالك حابسة نفسك في الأوضة ليه؟

هبة: أنا امتحاني بكرة وقاعدة بذاكر

أماني: امتحان إيه؟ ما تقعدي بقى بلا علام بلا وجع قلب!

هبة: العلام مش وجع قلب.. عايزة إيه؟

أماني: اعمليلنا شاي أنا وامي..

هبة: نعم؟!

أماني: إيه؟ مسمعتيش؟

هبة: اممم.. طيب ماشي.. حعمل الشاي ومحدش ينادي عليا تاني لحد ما اخلص مذاكرة ماشي؟

أماني: إيه يا بنتي موضوع المذاكرة ده؟ مش خلاص اتجوزتي بتذاكري ليه؟؟!

هبة: إيه علاقة ده بده؟ أنا عايزة أكمل تعليمي!

أماني: أاااه وأشرف موافق؟

هبة: أه موافق.. ثم تدخل «هبة» لتعد الشاي وتذهب إلى غرفتها لتستكمل

مذاكرتها.. يأتي صباح اليوم التالي تستيقظ هبة وتجهز نفسها، وتترك «أشرف» نائمًا وتذهب للامتحان ثم تنتهي منه وتذهب لـ «أميرة» في عملها فتجلس معها قليلًا من الوقت كما وعدتها من قبل، تحكي معها وما على أميرة إلا أن تصبّرها وتقويها على معيشتها فالطلاق بالنسبة للمجتمع عارٌ على المرأة فمجتمعنا العربي يجبرنا كنساء إن نعيش بذل ومهانة خير من أن نعيش مطلقات فالطلاق هنا يعتبر وصمة عار على السيدات..

يستيقظ «أشرف» من نومه حوالي الساعة الثانية ظهرًا ولا يجد «هبة» فيتذكر أنها بالامتحان ويخرج من غرفته لينادي على أماني لكي تحضر له الفطور.

أشرف: يا أماني يا ماما حد يعملي لقمه وكوباية شاي

أماني: أنا مالي مراتك فين؟

أشرف: مجتش من الامتحان

أم أشرف: وأنا بقى كنت جوزتك عشان تقرفني بفطار وشاي؟؟ وامتحانات إيه يا اخويا؟ ماخلاص بقى تعيش عيشتك وتقعد تخدم جوزها!

يسمع أبو أشرف الحوار فياتي من بعيد

أبو أشرف: هي مراتك مش ناوية تخلف بقى؟ بقالكوا شهرين وزيادة.. إيه؟ مفيش أخبار؟؟

أشرف: نخلف إيه؟ احنا لحقنا؟

أبو أشرف: أه تخلف.. أنا عايز حفيد يشيل اسمي.. يام أشرف تخديها وتروحوا للدكتور بتاعك وشوفي محملتش لحد دلوقتي ليه؟

أم أشرف: حاضر!

تنهي «هبة» يومها وتعود وهي في طريقها للبيت تمر على المحل، تجد ماجدة تسألها على سير العمل في المحل وإذا كان هناك شيء ينقص المحل وعن إيراده في المدة الماضية..

ماجدة: عايزين بضاعة، والإيراد أستاذ أشرف عدى خده أول امبارح

هبة: طيب ماقولتليش ليه؟

ماجدة: أنا مبشوفكيش وبتكسف أعدي عليكي هناك وأستاذ أشرف بيمر هنا كتير وانا بقوله يبلغك

هبة: طيب ماشي بكرة حتكون عندك البضاعة وابقي سيبي الإيراد متبعتهوش مع أشرف عشان نجمع تمن البضاعة اللي حنجيبها.. سلام.

وتذهب «هبة» إلى بيتها عند «أشرف» تدخل قائلة:

هبة: السلام عليكم

أشرف: اتأخرتي ليه؟

هبة: خلصت امتحان وعديت ع المحل أشوفه

أشرف: أاااه المحل! طيب ماشي.

أبو أشرف: هو انتي حتفضلي تتنططي كده كتير؟ محل وامتحانات؟ ما تقعدي في بيتك بقى! ولا عاجبك السرمحة؟؟

هبة: إيه يا عمي الكلام ده سرمحة إيه؟ المحل ده بتاعي وبتاع أمي وانتوا عارفين إن عندي محل، ودراستي مش سرمحة أنا متفقة مع أشرف إني حكمل تعليمي.

أبو أشرف: وأنا بقى مش عايزك لا تنزلي المحل ولا تكملي تعليمك أنا عايزك تقعدي في البيت عشان أنا عايزك تخلفي.. أنا عايز أحفاد.. أنا حر.

هبة: إن شاء الله.. وتتركهم وتدخل غرفتها

«أشرف» يجلس صامتًا وكأن الكلام ليس موجه لزوجته وبعد ثوانٍ يدخل إلى غرفته! هبة: انت خدت كام من ماجدة من إيراد المحل؟

أشرف: ماجدة؟ أه خدت تقريبًا ٥٠٠ جنيه

هبة: وهما فين؟

أشرف: مش فاكر تقريبًا صرفت منهم شوية

هبة: طيب مقولتليش ليه؟ وصرفت ليه؟ مش المفروض تيجي تدهملي

أشرف: عادي ما فلوسك هي فلوسي انتي مش مراتي؟

هبة: أه مراتك بس دي فلوس بجيب بيها بضاعة وبدفع بيها إيجار المحل والشقة وبصرف بيها على دراستي!

أشرف: انتي حتحاسبيني؟

هبة: أه ححاسبك، لما كل يوم قبل ما تنام تطلع ورقة الهباب اللي إنت بتشربه وتفضل تشرب وتبقي مش داري إنت بتعمل معايا إيه ولا بتتصرف بقذارة ازاي يبقي أحاسبك.. إنت كرهتني في السرير وإني أنام جنبك..

يصفع «أشرف» «هبة» على وجهها ويدفع بها إلى السرير ويضربها بيده على وجهها وفي أماكن متفرقة من جسدها وهو يقول:

أشرف: انتي شكلك عايزة تتربي من جديد، وعشان أريح دماغي بيت امك ده مش حتعتبيه ومفيش محل... المحل أنا اللي حباشره وابعتلك الفلوس بمزاجي وأقولك على حاجة كمان؟.. مفيش جامعة، سامعة؟ مفيش امتحانات ولا جامعة ولا فيه نزول من البيت عشان تعرفي تحاسبيني كويس!

ويخرج مغلقًا باب غرفة النوم ورائه فتجلس «هبة» على الأرض وتضع رأسها على السرير وتبكي بدون صوت، تبكي بدموع من نار تكويها على حالها ودراستها وبيتها ومحلها ومستقبلها الذي انهار بسبب تحكم إنسان مريض نفسيًا يشعر دائمًا بالنقص اتجاهها، تمر الأيام ولم تذهب «هبة» إلى باقي الامتحانات ولم تمر على «أميرة» فتقلق «أميرة» عليها وتتصل بالتليفون عند «أشرف» لتجيب أم أشرف عليها وتقول: نايمة لما تصحي حبقى أخليها تكلمك!

تقف هبة تسمع كلام أم أشرف..

هبة: ليه قولتيلها إني نايمة مانا قاعدة أهو؟!!

أم أشرف: هي مين دي؟ تقربلك إيه عشان تكلمك؟ كنتوا جيران وخلاص.. خالتي وخالتك واتفرقوا الخالات.. قومي يلا شوفي وراكي إيه؟ واعملي حسابك

بليل رايحين للدكتور زي ما عمك الحاج قال عشان نشوف موضوع الخلفة ده..

«هبة» تنظر في الأرض وتصمت.. يأتي الليل وتذهب مع حماتها إلى الدكتور فيؤكد الدكتور أن «هبة» لن تحمل بسهولة وأنها تحتاج لبعض العلاج لكي تتمكن من الحمل ينزل الخبر على أم أشرف كصاعقة ولكنه ينزل على «هبة» بالسكينة والهدوء فتحمد ربها بداخلها أنها لم ولن تنجب طفلًا من هذه العائلة..

بعد عودتهم للبيت..

أبو أشرف: خير؟ طمنيني

أم أشرف: مرات ابنك عندها عقم مؤقت يعني لازم كل عيل تجيبه تتابع مع الدكتور وتاخد أدوية وترتاح وتبطل تتنطط هنا وهنا..

أبو أشرف: يعني مش حتخلف؟!

أم أشرف: لا حتخلف بس بصعوبة ومصاريف علاج وأدوية

أبو أشرف: أاااه والمحروس ابنك عرف؟

أم أشرف: إنت مالك ومالة بقى؟ هو ذنبه إيه؟؟ هو كل حاجة المحروس ابنك المحروس ابنك؟؟!!

تتركهم «هبة» وتدخل إلى غرفتها وتسمع حديثهم وشجارهم وتمر الأيام وتختفي «هبة» وتنقطع أخبارها عن الجميع وفي يوم كانت «أميرة» عند أمها وسمعت صوت باب شقة «هبة» يُفتح فخرجت بهدوء ونظرت من على سلم البناية لتجد «أشرف» خارج من الشقة ويغلق الباب وراءه بحرص وينظر حوله في قلق ثم ينزل إلى خارج المنزل.. نظرت «أميرة» على الباب متوهمة أن «هبة» بالداخل خاصة أنه يوجد ظل شخص ما خلف الباب من الداخل فتنزل «أميرة» إلى الشقة لتطرق الباب بهدوء ولكن أحدًا لم يجيب! تسمع «أميرة» أصوات نفس خلف الباب ولكن لا أحد يجيب!! ينتاب الشك قلب «أميرة» فتصعد إلى شقة أمها وتقف على السلم بحذر تراقب شقة «هبة» وبعد دقائق قليلة تجد «ماجدة»!!!

«ماجدة» السكرتيرة تخرج من الشقة وتغلق الباب في هدوء وتتحرك بهدوء حتى لا يراها أحد فمن الواضح أن «أشرف» و«ماجدة» على علاقة غير شرعية وشقة «هبة» هو الملاذ والمأوى لهما!

تدخل «أميرة» شقة أمها وهي تتأفف..

أم علاء: مالك يا بنتي؟؟ فيه إيه وداخلة طالعة ليه كده؟؟ فيه حاجة؟؟

أميرة: أه يا ماما.. وتقص عليها ما حدث كله!

أم علاء: إن بعض الظن إثم يمكن كانوا بيجيبوا حاجة لـ «هبة» ولا حاجة!

أميرة: لا يا ماما حاجة إيه بس؟ أنا مش مرتاحة.. وبعدين غياب «هبة» كده واختفائها مش مطمني..

أم علاء: أقولك إيه يا بنتي بس؟ ربنا يطمنَّا عليها

أميرة: أقولك أنا... انتي تكلمي أم «إبراهيم» خالة «هبة» وتخليها تيجي وتخديها وتروحوا تزوروا «هبة» وتطمنوا عليها وأهو خالتها من حقها تشوفها..

أم علاء: والله فكرة! طيب خلاص بكرة أكلمها

أميرة: بكرة إيه؟ انتي تكلميها دلوقتي وتخليها تيجي..

تتحدث أم علاء مع خالة «هبة» وتتفق معها على أن تأتي في الغد، وبالفعل تأتي خالة «هبة» وتقابل أم «علاء» ويذهبان سويًا للاطمئنان على «هبة»، تستقبلهم أم «أشرف» ليجلسوا في «الأنتريه».. تأتي لهم «هبة» من بعيد وهي شاحبة اللون حزينة الملامح وكأنها وردة ذبلت على غصنها تجلس معهم في حضور أم أشرف فهي لم ولن تتركهم بمفردهم تقول خالة هبة: مالك يا بنتي؟ عدمتي ووشك أصفر كده ليه؟؟

تجيب أم «أشرف» بدلًا عنها..

أم «أشرف»: ليه يام «إبراهيم» كده ماهي زي الفل أهي؟ مبنأكلهاش يعني ولا مبنأكلهاش؟؟!

أم علاء: لا.. هي مش قصدها دانتوا بيت الكرم

أم «إبراهيم»: الموضوع مش أكل يام «أشرف» بس هي متبدلة.. بقى هي دي «هبة» نوارة العيلة؟؟!!

أم «أشرف»: أهي عندك اسأليها يمكن بنشغلها في الفاعل واحنا مش واخدين بالنا!! عن اذنكوا أقوم اعمل الشاي..

تجلس «هبة» بجوار أم «علاء» وخالتها لتقول أم «علاء»..

أم «علاء»: انتي كويسة يا حبيبتي؟..

تقول «هبة» بحزن..

هبة: أه الحمد لله على كل حال!

خالة «هبة»: مالك طيب؟!

هبة: مفيش.. أهي عيشة والسلام

وهنا جاءت أم تشرف لتسمع آخر جملة فتقول..

أم «أشرف»: مالها العيشة يا ست «هبة»؟ مش عاجباكي في إيه؟ أكلة شاربة نايمة البيت كله تحت أمرك.. مع إنك زي الأرض البور لا في منك طرح ولا ملح..

أم «علاء»: إيه الكلام ده ياختي؟ تفي من بوقك..

أم «أشرف»: مش كلامي يا حبيبتي ده كلام الحكيم اللي قال إن بنتكوا معيوبة مش حتخلف بسهولة وابننا شاريها ومرضاش يطلقها وقال حيصرف عليها يا حبة عين أمه لحد ما تخلف..

ترد أم «علاء» عليها وترد خالة «هبة» ويحتد النقاش فتقف «هبة» وسطهم تحاول تهدئة الجو ولكن تفشل فتخرج أم «علاء» وخالة «هبة» من المنزل وهن غاضبات من رد فعل أم «أشرف».. تجلس «هبة» مكانها على كرسي «الأنتريه» فقد أفسدت أم «أشرف» بكلامها فرحة «هبة» بزيارة أحد أقاربها لها.. تخرج أم «علاء» وخالة «هبة» ثم تتحدث أم «علاء» لخالتها قائلة..

ام «علاء»: يالهوي ياختي شوفي الولية!

خالة «هبة»: معلش ياختي حنعمل إيه؟ ما هو حقهم لو البت مبتخلفش بجد! وكويس إنه مطلقهاش لدلوقتي وصابر عليها..

أم «علاء»: ياختي ما يطلقها ولا يغور دول بانوا على حقيقتهم..

خالة «هبة»: أهو نصيبها بقى.. ربنا يقويها.. إلا بقولك إيه ياختي ممعكيش مفتاح لشقة «هبة» ارتاح فيها شوية وأسافر الصبح؟!

أم علاء: كان على عيني ياختي مش معايا.. تعالي ارتاحي عندي ولو مشالتكيش الأرض أشيلك فوق راسي

خالة «هبة»: طيب نكسر الباب بقى ونبقى نغير «الكالون» واخد نسخة من المفتاح الجديد واسيب معاكي نسخة لـ «هبة»..

أم «علاء»: لا ياختي نكسر إيه؟ ده اسمو كلام؟ ماكنا مع «هبة» فوق مخدتيش منها المفتاح ليه؟

خالة «هبة»: لا لا إيه؟ أمال أنا حبات في الشارع؟

أم «علاء»: والشارع ليه؟ مانا قولتلك على راسي.. تعالي شقتي أنا قاعدة لوحدي..

خالة «هبة»: لا ياختي على إيه؟ السلام عليكم..

وتذهب وتترك أم «علاء» وتعود إلى بلدها غاضبة من أم «علاء»..

أم «علاء» تقف في حيرة من أمرها وتردد لا حول ولا قوة إلا بالله.. ترى ماجدة تفتح المحل فتقول لها..

أم «علاء»: صباح الخير يا ماجدة، فتحتي متأخر يعني دي الساعة واحدة وشوية.. ماجدة: معلش أصلي كنت تعبانة شوية.

أم «علاء» أاااه ألف سلامة إلا قوليلي هو انتي كنتي فوق امبارح؟

يظهر على «ماجدة» التردد والقلق..

ماجدة: إيه؟ فوق؟ فوق فين؟

أم «علاء»: في شقة الأستاذة «هبة»

ماجدة: لا وانا إيه اللي حيطلعني؟

أم «علاء»: طيب أصل أنا سمعت صوت قولت يمكن بعتتك تجيبي حاجة ولا حاجة.. ماجدة: لا والله يا حاجة..

تتركها أم «علاء» وتصعد وهي تؤكد لنفسها كلام «أميرة»..

تمر الأيام والوضع كما هو إلى أن يأتي يوم تقوم فيه أم «علاء» وهي لا تستطيع التنفس فتتصل بـ «منال» التي تأتي على الفور ومعها «أميرة» ومعهما الدكتور.. يدخل الدكتور ويكشف على أم «علاء» ثم يقول..

الدكتور: البقاء لله يا جماعة.. الحاجة أم «علاء» ماتت بسكتة قلبية!

ينزل الخبر على «منال» و«أميرة» كالصاعقة وتصرخ «أميرة»..

أميرة: ماما ماتت..

وتحتويها «منال» في حضنها ويبكيان وفاة والدتهما وتقوم «منال» بالاتصال بـ «علاء» لتبلغه.. فيرد «علاء»..

علاء: استنوني أنا نازل حالًا مش حاخد أجازة أنا لازم أقف على دفنة امي..

ويبدأون في استخراج شهادة الوفاة والغسل وينتظرون مجيء «علاء» لكي يودع أمه لآخر لحظة.. يبدأ صوت القرآن يعلو في الشارع مما يلفت انتباه الجميع يرى «أشرف» حركة غير عادية عند بيت «هبة» يتحدث مع ماجدة في «التليفون» يسألها عما يحدث فتقول له أن أم «علاء» (تعيش إنت) يتحدث هو بدوره إلى أمه في «التليفون» ويقول لها..

أشرف: حضري نفسك أم «علاء» ماتت وتعالي عشان تروحي مع أولادها الترب.. تسمع هبة الحوار وتفهم أن أحدًا ما تُوفِيَ ولكن لا يخطر على بالها أن أمها الثانية هي التي تُوُفِيَت تقول لحماتها..

هبة: مين اللي مات؟؟

أم أشرف: لا حول ولا قوة إلا بالله دي أم «علاء» جارتكوا تعيشي انتي!!

ينزل الخبر على «هبة» كالصاعقة وتتذكر موت أمها..

ترمي كوب الشاي من يدها وتدخل إلى غرفتها مسرعة.. تضع على نفسها (عباية) سوداء وتجري حافية القدمين دامعة القلب والعين باكية النفس والروح على فراق أمها الثانية يراها «أشرف» وهي تجري مشتتة في الشارع يحاول أن يوقفها ولكن لا يستطيع، تصعد «هبة» إلى شقة أم «علاء» لتجد الجميع متشحين بالسواد و«أميرة» و«منال» تبكيان تقف أمامهما وتقول..

هبة: هي فين؟؟

تحتويها «أميرة» في حضنها وتقول..

أميرة: تعالي يا «هبة» أمك ماتت يا «هبة»..

تردد «هبة»: هي فين؟؟

تأخذها «منال» وتدخل بها إلى غرفتها لتجدها مستلقية على السرير وهي في كفنها ناصع البياض مثل قلب أم «علاء» الذي احتوى «هبة» وأمها منذ سنوات كثيرة، تقبلها «هبة» من جبينها وتحتضنها وتجلس على الأرض ويتكرر مشهد موت أم «هبة» مرة أخرى على أذهان «هبة»، تمر الساعات والجميع في انتظار «علاء»...

يصل «علاء» عند الساعة ٤ عصرًا ومعه زوجته التي اتشحت بالأسود.. يدخل «علاء» يبحث في عين الجميع عن أمه ثم يدخل غرفتها ليجدها في كفنها فيقبلها ويحملها على ذراعه ويضعها بيده في خشبة الموتى وينزل الجميع ورائها لكي يدفنوها يبكي الجميع بحرقة وتنهار «هبة» و«أميرة» وتحاول «منال» أن تمسك بنفسها وتشد من أزرهم فهي أختهم الكبرى يدخل «علاء» القبر مع الترابي ليطمئن على أمه في مثواها الأخير ويرجع الجميع إلى البيت ليستكملوا مراسم العزاء.. يجلس النساء في عزاء النساء في شقة أم «علاء» والرجال تقف بالأسفل

في ترتيب (صوان) العزاء وينتهي اليوم الأول.. تقف «هبة» على رجلها وتحاول أن تنزل شقتها لتطمئن عليها تدخل الشقة وتجد كل شيء في مكانه، تدخل غرفة نومها لتجد السرير غير مرتب وكأن أحدًا ما كان نائمًا عليه تحاول أن تتذكر.. هل هي قامت بترتيبه قبل أن تترك المنزل؟؟ أم هذا هو حاله من البداية؟؟.. تدخل الحمام لتجد وراء الباب أحد ملابسها الخاصة بغرفة نومها ملقى على الغسالة فتستغرب أكثر وأكثر ما الذي يحدث هنا؟؟ ومن أتى بهذه الملابس؟ وكيف دخلت الشقة؟ تحاول أن تربط الخيوط ببعضها فتتجول هنا وهناك لكي تحاول أن تجد شيئًا آخر يحل لها اللغز إلى أن وجدت دليل إدانة مطفأة السجائر (الكريستال) موجودة بالمطبخ وبها بواقي سجائر من نفس شكل سجائر «أشرف»... تمسك واحدة منها وتشمها تجدها نفس الرائحة فهي سجائر ملفوفة بها بواقي «حشيش» و»بانجو» فقد حفظت «هبة» رائحتهما وشكلهما من كثرة ما رأتهما مع «أشرف»... تستنج «هبة» أن «أشرف» يأتي هنا ومعه إحدى النساء ولكنها لا تعلم من هي!! تترك كل شيء في مكانه وتصعد مرة أخرى إلى العزاء وبعد دقائق تأتي أم «أشرف» لتأخذ «هبة» لبيتها تقول «هبة»..

هبة: سبيني أبات النهاردة مع «أميرة» و»منال

« ترد أم «أشرف»..

أم «أشرف»: نعم يا حلوة؟ تباتي فين؟ والبيه اللي شرف هو ومراته ده؟ قومي يلا قدامي بلاش كلام فارغ..

تقوم «هبة» معها وتذهب إلى بيتها وتدخل لتبدل ملابسها وتجلس في غرفتها وهي تبكي على فراق أم «علاء» يأتي «أشرف» ويقول لها

أشرف: انتي لسه قاعدة تندبي؟؟ مش خلاص ماتت واندفنت الله يرحمها بقى

هبة: انت بتكلم عنها كده ليه؟

أشرف: هي مين دي؟ انتي لسه عايشة في إنها أمك وكده؟ خلاص بقى ركزي في حياتك.. قومي إلبسي حاجة عدلة واعمللينا لقمة ناكلها! وتعالي..

هبة: ألبس وناكل؟؟ انت معندكش دم؟ أنا في إيه ولا في إيه..

أشرف: فيه إيه؟ خير؟ انتي زعلانة عليها ولا على حبيب القلب اللي جه هو والمدام؟؟ هبة: حبيب القلب مين؟ أاااه أنا مش حرد عليك عشان أنا مش فيقالك تصبح على خير.. وتغطي نفسها بالبطانية وتغلق نور الأباجورة على «الكومودينو» فيبدل «أشرف» ملابسه ويخرج من الحجرة ليجد أمه وأخته جالسين في «الانتريه» يشاهدان التلفزيون يجلس معهم أشرف، فتقول أم «أشرف»..

أم «أشرف»: إيه؟ الكونتيسة زعلانة لسه؟؟

أشرف: أنا مش عايز كلام كتير..

أماني: مالك مش طايق نفسك ليه؟؟

أشرف: يييووووه أسيب لكوا البيت وامشي؟

أم «أشرف»: خلاص ياخويا أنا داخلة أنام اقعد لوحدك بقى.

«علاء» يجلس في غرفة أمه يبكي وداعها وبجواره «أميرة» و«منال» ولكن زوجته تدخل غرفة «علاء» وتنام ولا تبالي بالحالة النفسية التي تنتاب «علاء» وأختيه يمر الليل على كل من «علاء» وأختيه و«هبة» أيضًا في بيتها طويل وفي صباح اليوم التالي تقوم «هبة» وتلبس ملابس العزاء وترغب في الذهاب لبيت «علاء» لتكملة أيام العزاء ولكن «أشرف» يمنعها من الذهاب ويقول..

أشرف: انتي رايحة فين؟

هبة: رايحة لأبلة «منال» و«أميرة»..

أشرف: ليه خير؟

هبة: هو إيه اللي خير؟ مش الأصول أفضل معاهم ٣ أيام العزا؟

أشرف: ليه؟ من باقية عيلتك وانا معرفش؟ خلصنا روحتي امبارح وعزيتي وصوتي وعيطتي خلصنا.. غيري هدومك واقعدي مكانك..

ويتركها ويخرج من الغرفة فتخرج هي وراءه..

هبة: إنت بتروح عندي البيت عند ماما؟

لا يجيب «أشرف» على سؤال هبة، فتكرر..

هبة: ما ترد بتروح؟؟

أشرف: لا ليه؟؟

هبة: أصل لقيت ده هناك! والسرير كان حد نايم عليه وبقية سجايرك هناك..

أشرف: انتي اتجننتي باين عليكي..

ويتركها وينزل للمعرض...

عـلاء يجلـس في الصالـة وتعـد كل مـن «منـال» و«أمـيرة» طعـام الفطـور ثـم يجلسـان سـويًا مـع عـلاء وزوجتـه لتقـول «سـلوى» زوجـة «عـلاء»..

سلوى: أنا رايحة عند ماما!

عـلاء: ماما إيـه دلوقتـي؟ خليـكي مـع أخـواتي.. النـاس لسـه حتيجـي النهـاردة تـاني تعـزي.. سـلوى: لا أنـا مليـش في الجـو ده!! وماما حتزعـل إني جيـت ومرحتلهـاش..

علاء: سلووووى..

أميرة: سبها براحتها يا أبيه..

علاء: إزاي يعني؟

أميرة: عادي يا أبيه متغصبش عليها سبها براحتها..

علاء: أنا مش فايق ولا رايق ليها تعمل اللي تعمله أنا زهقت..

ويقـوم مـن عـلى مائـدة الفطـور وينتهـي اليـوم.. واليـوم التـالي لـه ولم تعـد «سـلوى» مـن عنـد أمهـا.. ولم تتصـل حتـى بـ «عـلاء» وأختيـه لـكي تعـرف أخبارهـم.. يجلـس «عـلاء» وأختـاه في البيـت يرتبـون أمورهـم بشـأن الفـترة المقبلـة..

أميرة: حتعمل إيه يا أبيه؟

عـلاء: أنـا بعتلهـم في الشـغل يلغـوا العقـد ويصفـوا حسـابي ويحولـوا الفلـوس في البنـك أنـا مـش حفضـل متغـرب كـده كتـير واسـبكوا لوحدكـوا خصوصًا بعـد وفـاة ماما..

منـال: وحتقعـد فـين يـا أبيـه هنـا؟ عشـان نرتبلـك الشـقة وننضّفهـا كويـس ونلـم حاجـة ماما الشـخصية..

عـلاء: واللـه أنـا لسـه حـروح اقعـد مـع «سـلوى» وأشـوف هـي عايـزة إيـه ولـو ان أنـا مـش عايـز أقعـد هنـا.. هنـا بيتنـا كلنـا ومـدام حرجـع هنـا يبقـي خـلي الشـقة زي مـا هـي ونتجمـع فيهـا كل جمعـة نقعـد مـع بعـض..

منال: شوف يا حبيبي ظروفك واحنا موافقين على أي حاجة..

أمـيرة: أبيـه أنـا معايـا شـكمجية الدهـب بتاعـة ماما وهـي كانـت موصيـاني لـو جرلهـا حاجـة مفتحهـاش إلا في وجـودك حقـوم أجيبهـا..

تقـوم «أمـيرة» وتـأتي بعلبـة ذهـب أمهـا وتعطيهـا لأخيهـا فيفتحهـا ليجـد بهـا مبلغًـا مـن المـال وبعـض المصـاغ الخـاص بهـا وخطابًـا يفتـح «عـلاء» الخطـاب ليجـد أمـه توصيـه عـلى أختيـه وتؤكـد عليـه بـأن الشـقة مـن حقـه هـو وأختيـه وعليـه دائمًـا أن يسـعى لأن تكـون في الشـقة غرفـة لأختيـه في حالـه حـدوث أي مشـاكل يلجـآن إليهـا وتوصيـه بأخـذ بعـض المـال ليسـاعده ذلـك عـلى عمـل مـشروع صغـير والذهـب يـوزع عـلى «منـال» و«أمـيرة» بالتسـاوي ماعـدا سلسـلة صغـيرة بهـا مـا شـاء اللـه أوصـت بـأن يعطوهـا لـ «هبـة».. يجـد أيضًـا عقـد إيجـار الشـقة والمحـل الخاص بـ «هبـة» وتطلب منـه ألَّا يأخذهـم منهـا مهـما حـدث إلَّا في حالـة أن «هبـة» تتنـازل عنهـما بإرادتهـا وإن تعـثرت في دفـع الإيجـار يصـبر عليهـا ولا يأخـذ أي إجـراء ضدهـا.. يبـكي «عـلاء» و«أمـيرة» و«منـال» لسـماع وصيـة أمهـم ويتعهـدون بـأن ينفذونهـا.. يعطـي «عـلاء» السلسـة الخاصـة بـ «هبـة» لـ «أمـيرة» ويقـول..

علاء: ابقي إديهالها!

أميرة: ححاول يا أبيه..

علاء: تحاولي ليه؟ انتوا زعلانين؟؟

أمـيرة: لا طبعًـا بـس جوزهـا صعب أوي ومـش كويس ومنعها مـن كل الناس ده حتى ماما قبـل مـا تموت بمـدة راحتلها هـي وخالتها وامه زي ما يكون كرشـتهم بالـذوق كده..

علاء: إزاي الكلام ده؟ واحنا حنسكت؟

أميرة: وبإيدنا إيه نعمله؟ بس للأسف بقت مراته وقاعدة في بيت جوزها ومدام ملجأتش لينا أي تدخل مننا حيبقى مش في مصلحتها والأغرب من كده بقى يا أبيه جوزها!.. شكله على علاقة بالسكرتيرة وبيجيبها في شقة «هبة» من غير هي ما تعرف.. أنا شوفتهم قبل كده وهما نزلين يتسحّبوا..

علاء: إزاي الكلام ده؟ هو أهبل ولا بيت أهله ده؟ أنا لو شفته تحت حكسر رجله!!

.....

مازالت «هبة» على وضعها كلما تحاول أن تطلب من أشرف إيراد المحل يرفض ويقول: «أنا اللي بتعب فيه وانا اللي مخلي بالي منه.. تاخدي انتي الفلوس ليه؟» فتطلب منه دفع الإيجار فيقول: «حبقي ابعته مع ماجدة» أما «سلوى» فصممت على عدم السكن في بيت أهل «علاء» وأجبرت زوجها على السكن في شقة خارج المنطقة بجوار أمها.. يقود «علاء» سيارته متجهًا إلى بيته الجديد ليجد أم «سلوى» تقف على باب السوق فيوقف السياؤة وينزل ليأخذ من يدها ما اشترته من السوق ويضعه في حقيبة السيارة الخلفية ثم يأخذ أم سلوى معه في طريقه ليوصلها لبيتها ويوقف «علاء» سيارته عند باب بيت أم «سلوى» وينزل من السيارة ويخرج الأشياء التي اشترتها أم «سلوى» ثم يسلم عليها ويتركها.. «سلوى» تقف في شرفة شقتها ترى «علاء» وتراقب ما يفعله! يصعد «علاء» إلى شقته فتستقبله «سلوى» بوجه غاضب!!

علاء: مالك؟؟

سلوى: كنت بتعمل إيه عند ماما؟

علاء: ولا حاجة وأنا راجع لقتها واقفة على باب السوق ومعاها شنط كتير ومش لاقية حد يقفلها وقفت ووصلتها عادي يعني.. هي زي أمي..

سلوى: وتقفلها ليه؟ احنا مالنا؟

علاء: انتي بتكلمي إزاي؟ دي أمك!!

سلوى: أه عارفة إنها أمي عشان كده بقولك إنت مالك.. متعملهاش تاني عشان متخدش على كده..

علاء: لا دانتي مجنونه رسمي ويتركها ويدخل إلى غرفته وتمر الأيام ليأتي يوم يقوم فيه أبو «أشرف» من النوم وينادي على «هبة» وكل من في البيت..

ثم يقول:

أبو «أشرف»: بصي يا بنت الحلال أنا صبرت عليكي زيادة عن ست شهور أهو مفيش نتيجة أنا كده عملت اللي عليا!

أشرف: فيه إيه بس يا بابا؟

أبو أشرف: فيه الموضوع اللي كلمتك فيه امبارح!

أشرف: طيب مانا كنت حقولها!

هبة: «أشرف» تقولي إيه؟

أبو أشرف: انت لسه مقولتش؟ أقولك أنا.. أنا جالي من يومين الحاج «بدوي» صاحب المخبز اللي في آخر الشارع حيجوا الأسبوع الجاي حيقروا فاتحة ابنهم «عزت» على «أماني» وحنقرا فاتحة «أشرف» على بنتهم «هيام»

هبة: «أشرف» مين؟

أبو «أشرف»: «أشرف» جوزك!

هبة: وانا إيه مش فاهمة؟

أبو «أشرف»: انتي زي مانتي قاعدة معززة مكرمة بدل ما يطلقك ويسيبك لا عيل ولا تيل ولا حد.. وهو بقي يتجوز ويخلف ويجبلي حفيد يشيل اسمي أه مش ده شرع ربنا بردو يا متعلمة؟؟

تنظر «هبة» إلى «أشرف» وتنتظر منه رد فعل ولكن «أشرف» كالعادة صامت ولا يناقش ويبدو كأنه موافق وعنده علم بالموضوع!!

تدخل «هبة» لغرفتها وهي تبكي.. يدخل وراءها «أشرف»

«أشرف»: انتي بتعيطي ليه بس؟؟

هبة: بعيط ليه؟ ده على أساس إني مبحسش؟؟

أشرف: يا ستي لأ.. انتي عارفة أبويا حيموت ويجوز «أماني» وداخل شراكة مع أبو العريس وبنته أكبر منك ومني كمان بسنة يعني بس «أماني» تتخطب وتتجوز وانا حفشكل الجوازة دي متقلقيش..

هبة: مقلقش دانا حياتي كلها قلق في قلق.. لو اتكلمت قلق، لو نزلت لو طلعت حياتي كلها قلق.. إوعى تفكر إني غيرانة عليك ولا بعمل كل ده من باب الغيرة لا.. أنا محبتكش ولا عمري حبيتك ولا إنت فيك حاجة تتحب.. أنا زعلانة على كرامتي اللي اتبهدلت وانداست بالرجلين منك ومن أمك اللي جيباني خدامة وأبوك اللي بيبيع ويشتري فيا عشان موضوع سهل وبسيط وهو الخلفة!!

أشرف: أاااه وانا اللي داخل وفاكر إنك غيرانة وبتحبيني.. طيب اسمعي بقى كل العيشة اللي عايشنها دي من خير أبويا وانا محلتيش مليم.. وباخد مصروفي من أبويا يعني اللي هو عايزه حيتعمل.. أنا مش حمل يكرشني..

هبة: أنا عايزة مفتاح الشقة اللي معاك ومتعديش على ماجدة تاخد الإيراد أنا حكلمها وابقى أخليها تعدي هنا تجيب الإيراد..

أشرف: ده من إيه إن شاء الله؟ إيه الشجاعة دي؟؟

هبة تصمت ولا ترد.

.....

«علاء» في بيته الجديد يجلس على السفرة يتحدث مع زوجته «سلوى»

سلوى: إنت نويت تعمل إيه؟؟

علاء: خلاص أنا جمعت الفلوس واتفقنا أنا وشريكي في الموضوع الجديد.. إننا الأسبوع الجاي حنفتح المحل وحنستورد قطع غيار سيارات من برة والمبلغ اللي حنبدأ بيه كبير.. تحويشة العمر بقى وهو حيسافر كمان كام يوم يجيب البضاعة وييجي..

سلوى: طيب...

.....

تمر الأيام وفي يوم تشعر «هبة» بإعياء شديد وصداع و»زغللة» وهذا الأمر يتكرر كثيرًا في الفترة الأخيرة.. تريد «هبة» أن تذهب للدكتور ولكن لا تريد أن تأخذ أحدًا معها حرصًا منها وخوفًا من أن تكون حاملًا وهي لا تريد هذا الحمل... يأتي يوم وجود ضيوف عندهم وهم أهل خطيب «أماني» أخت «أشرف» وأيضًا خطيبة «أشرف» المنتظرة

وأمهما وأبوهما ترفض «هبة» أن تخرج لهم ولا تهتم بالأمر.. يجلسون جميعًا في غرفة «الصالون» الموازية لباب الشقة وغير كاشفة لباقي أجزاء البيت من الداخل.. تستغل «هبة» انشغال الجميع وتتصل بـ «أميرة» في «التليفون» لتقول..

هبة: ألو؟ أيوه يا أبلة أنا «هبة»..

أميرة: أهلًا يا «هبة» إزيك فينك؟؟

هبة: مش وقته.. أنا بكلمك من وراهم كلهم.. أنا عايزة أشوفك ضروري!

أميرة: طيب فين؟ وامتى؟

هبة: بصي النهاردة الخميس.. يوم السبت حقابلك في مستشفى الفؤاد عند عيادة الباطنة..

أميرة: مالك؟؟

هبة: لما أشوفك حقولك ع الساعه١٠ كده ومتقوليش لحد خالص إني حقابلك..

أميرة: طيب حستناكي...

يأتي يوم الجمعة و»هبة» مازالت تحبس نفسها في غرفة نومها ولا تريد التحدث مع أحد ولا تريد أن ترى وجه أحد وهم أيضًا مشغولون بخطوبة كل من «أماني» و»أشرف» وبدأوا في تجهيز الشقة الكائنة في الدور الثاني لكي يتزوج فيها «أشرف»..

يدخل «أشرف» على «هبة» ليجدها في سريرها تشاهد «التلفزيون» ولا تبالي بمجيئه فيبدل ملابسه ثم يخرج من دولابه ورقة بها سجائره ومخدراته التي يتعطاها فتقول له «هبة»

هبة: أنا بكرة حنزل أزور ماما!

أشرف: تزوريها فين؟

هبة: في الترب أنا من يوم ما ماتت وأنا مروحتلهاش أنا أعصابي تعبانة ومحتاجة أزورها..

أشرف: لا مفيش خروج لوحدك اصبري لما امي تفضى وتروح معاكي.

هبة: حرام عليك!! حتى زيارة امي لا وأمك كمان مش حترضي تيجي ومشغولة بشقتك اللي فلوسها ظهرت دلوقتي!! يعني أنا أتجوز مع امك هنا والعروسة الجديدة تدخل على فرش جديد وشقة جديدة مش كده؟؟ طيب حاخد ماجدة معايا..

يشرد «أشرف» لثوانٍ ويتذكر ماجدة ويقول بداخله «أه خليها تروح فرصة أقابل ماجدة» ثم ينظر لـ «هبة» ويقول:

أشرف: يووووه أنا مش فايق وعايز اشرب السيجارة بمزاج.. اعملي اللي عايزاه هما ساعتين لو اتاخرتي حتعرفي شغلك! وعشان تعرفي إني بحبك روحي لوحدك!

هبة: ماشي!!

ينام «أشرف» كعادته لا يدري بما يحدث حوله من كثرة المخدرات التي يتعطاها قبل النوم.. تقوم «هبة» من فراشها الساعة ٩ صباحًا وتبدل ملابسها بكل هدوء حتى لا تزعجه وتخرج من الغرفة على أطراف أناملها حتى لا يستيقظ من في البيت فالجميع نائم وهم لا يستيقظون قبل الساعة ١٢ ظهرًا ثم أنها فتحت باب الشقة بهدوء وخرجت لتذهب إلى المستشفى وتحجز كشفًا باطنيًا وتنتظر دورها وتكون «أميرة» في نفس الوقت قد وصلت فتدخل معها.. تحكي «هبة» للدكتور شكوتها...

الدكتور: انتي بتدخني أو بتتعاطي حاجة؟؟

هبة: لا؟؟

الدكتور: طيب حنعمل «السونار» ده ع المعدة ونعمل التحاليل دي وترجعي تاني في خلال ساعة..

هبة تنظر لـ «أميرة» وتقول حاضر.. وتخرج من غرفة الكشف وتقول لـ «أميرة»: أنا مش حقدر أعمل كل ده أنا مش معايا فلوس تكمل.. أنا واخدة من جيبه ١٠٠ جنيه بالعافية..

أميرة: إخص عليكي هو في فرق بينا؟ تعالي نعمل التحاليل والأشعة ويبقوا دين عليكي يا ستي وكمان نقعد مع بعض شوية تحكيلي مالك؟ ومختفيه فين اليومين دول؟

تبدأ «هبة» في تحاليلها وتنتظر النتيجة وتجلس مع «أميرة» تحكي لها ما حدث في الفترة الأخيرة.. تقول «أميرة»:

أميرة: أنا عايزة أقولك على حاجة!

هبة: قولي!

أميرة: متآمنيش لماجدة ومتحكيلهاش على أي حاجة!

هبة: ليه؟! دانا كنت حجيبها معايا النهاردة لو مكانش رضي ينزلني لوحدي!!

أميرة: إوعي!

هبة: ليه طيب؟

أميرة: حقولك بس اتصرفي بعقل..

هبة: قولي قلقتيني!!

أميرة: تحكي لها ما رأته من فترة وعلى علاقة أشرف بـ «ماجدة» الغير شرعية..

هبة: أتاري الهانم كل حاجة تقولي «أشرف» «أشرف».. يبقى قميص نومي اللي لقيته عند أمي كان هو اللي واخده أو هي واخده زيه من تحت يبقى

هـما الـلي كانـوا هنـاك!! كـده فهمـت... ينقطـع حديثهـم عندمـا تسـمع «هبـة» اسـمها مـن ناحيـة معمـل التحاليـل تقـف «هبـة» و«أميـرة» لياخـذا التحليـل وكشـف السـونار ثـم يسـتأذنا للدخـول مـرة أخـرى للدكتـور تعطـي «هبـة» النتيجـة للدكتـور.. يمسـك الدكتـور النتيجـة ويقرأهـا ووجهـه غـير سـعيد!!!

أميرة: خير يا دكتور؟

الدكتور: انتي تقربيلها إيه؟؟

أميرة: أختها الكبيرة!

الدكتور: قوليلي يا «هبة» انتي متجوزة صح؟؟

هبة: أه!

الدكتور: جوزك بيتعاطى حاجة؟

هبة: إيه؟؟

الدكتور: مانتي لازم تقوليلي عشان أنا المفروض دلوقتي أعملك محضر تعاطي!!

«هبة» و«أميرة»: تعاطي إيه؟؟!!

الدكتـور: السـونار بيبـين إن فيـه التهـاب شـديد في المعـدة والتحاليـل بتقـول إن انتـي بتتعاطـي مخـدر «الحشـيش» وكـمان نسـبة مـن حبـوب «الترامـادول» فخليـكي صريحـة معايـا!

هبة: يا نهار أسود!!

أمـيرة: بصراحـة أيـوة يا دكتـور جوزها مدمن «ترامـادول» وبيشرب «حشـيش» يوميًا!

الدكتـور: ده كـده يبقـي مجـرم ممكـن يموتـك لـو الجرعـة زادت.. حـاولي تاخـدي بالـك منـه وماتاخديـش مـن إيـده حاجـة!!

هبة: حاضر!!

الدكتـور: وتاخـدي الـدوا ده بانتظـام وأكلـك مسـلوق لمـدة أسـبوع وأشـوفك بعـد ١٠ أيـام..

تطلب هبة من الدكتور تقريرًا كاملًا بحالتها وتأخذه معها وترفق به التحاليل والسونار وتطلب من أميرة أن تحتفظ بيه معها لحين استخدامه...

.....

يقف «علاء» في شرفه منزل والدته ينتظر «أميرة» فهو على علم بمقابلتها لـ «هبة»، يلاحظ قدوم «أشرف» من بعيد فيحاول أن يختبئ دون أن يراه «أشرف».. يتوجه «أشرف» إلى المحل عند «هبة».. يراقب «علاء» كل شيء من أعلى ليرى ما يحدث فيجد «ماجدة» تدخل العمارة بمفردها فيذهب إلى باب شقة «هبة» ويقف على السلم دون أن يراه أحد فيجد «ماجدة» تدخل شقة «هبة» وتقفل الباب فيتجه مرة أخرى إلى الشرفة ليجد «أشرف» يقف على باب المنزل وينظر هنا وهناك ليتأكد أن أحدًا لا يراه.. ثم يصعد إلى شقة «هبة» وراء «ماجدة».. هنا يدخل «علاء» شقته وهو يشتعل غيظًا ويقف لثوانٍ يفكر...

ماذا يفعل؟، تظهر على «علاء» علامات التوتر وشرع يتحرك في شقته ذهابًا وإيابًا وهو يتذكر أن أم «هبة» كانت دائمًا تترك نسخة من مفتاح الشقة عند والدته فيدخل إلى غرفة والدته مسرعًا ويفتح دولابها ويبحث في علبة المفاتيح الخاصة بالعمارة بأكملها ليجد مفتاحًا بمفرده ملصق عليه ورقة مكتوب بها (بسمة) يتأكد أن هذا هو المفتاح فيأخذه وينزل إلى شقة «هبة» ويفتح بهدوء الشقة ويدخل إلى غرفة نوم «هبة» الذي يصدر منه صوتهم فيجد «ماجدة» و«أشرف» في وضع مخلٍ جدًا!!!

علاء: يا حقير يا واطي! إنت بتعمل إيه هنا!!

يقوم «أشرف» من مكانه مفزوعًا ويرتدي سرواله ويقول بكل جرأة!!

أشرف: إيه؟ خير؟ إنت اللي بتعمل إيه هنا؟ ودخلت هنا إزاي؟ دي شقة مراتي اطلع برة!!

علاء: أطلع برة؟؟ يا بجاحتك يا أخي!! البيت ده كله بيتي ومراتك دي ملهاش حاجة هنا!!

كانت شقة أمها وانا خلاص خدتها والمحل م الصبح حفضيه وارمي اللي فيه في الشارع ومشوفش وش حد فيكوا هنا.. إنت فاهم؟؟ يقف «أشرف» أمام «علاء» ويتشاجرا بالأيدي و»ماجدة» تقف ترتدي ثيابها ويبدو على وجهها الخوف وهي تحاول أن تهرب ولكن لا تستطيع «علاء» يصفع «أشرف» ويمسكه من ملابسه ويزج به خارج الشقة ويمسك بيد «ماجدة» وينزل بها وراءه ويسحبها من يدها في الشارع متوجهًا لبيت أبو «أشرف» يجد أبو «أشرف» واقفًا على باب معرضه يقف «علاء» ويتحدث بصوت عالٍ ويحكي لأبي «أشرف» ما حدث فيقول أبو «أشرف»..

أبو «أشرف»: وانت جاي بقى تعلمنا الأدب؟؟ ابني راجل ويعمل اللي يعمله..

في هذه اللحظة يقف «تاكسي» أمام المعرض وتنزل منه «هبة» لتجد «ماجدة» و»علاء» و»أشرف» في نقاش حاد فتقول:

هبة: فيه إيه؟؟

علاء: فيه إن انتي سايبة الشقة لجوزك وهو عاملها ملهى للقائاته!!

هبة: إزاي يعني؟؟!

«أشرف» يدفع بـ «هبة» لخارج المعرض قائلًا لها: امشي اطلعي على فوق انتي حتقفي تحكي معاه؟؟

علاء: متمدش إيدك عليها وانا واقف..

«أشرف»: نعم خير؟ وانت مالك راجل ومراته اطلع برة!!

علاء: حطلع.. بس اللي حصل ده لو اتكرر تاني حكسر رجلك إنت فاهم؟؟

يمسك «أشرف» يد «هبة» ويدفع بها خارج المعرض..

تسحب «هبة» يدها منه بقوه وتقول: أبيه «علاء» اكسر الشقة والمحل وغير الكوالين وخد حاجتك وامنع الوساخة من بيتك.

هنا يصفع «أشرف» «هبة» على وجهها قائلًا لها: وانتي مال أمك بتتصرفي من دماغك ليه؟؟

هبـة: فعـلًا هـو مـال أمـي وأنـا حـرة فيـه.. أنـا متنازله عـن شـقتي ومحلي أنـا حرة..

وتنظر لـ «علاء» وتقول: خد حاجتك يا أبيه وكتر خيرك لحد كده!

أبـو «أشرف»: خـلاااااص فضناهـا.. قالتلـك خـد حاجتـك يـا سـيدي اطلـع بـرة.. يـلا مـن هنـا..

ينظـر «عـلاء» لهـم جميعًـا ويخـرج مـن المعـرض ويذهـب إلى بيتـه لينفـذ كلام «هبـة»...

يأخـذ «أشرف» «هبـة» بالقـوة وهـو يضربهـا عـدة ضربـات فتحـاول «هبـة» أن تتخلـص مـن ضربـه وتبعـد نفسـها عنـه، وتسـبقه إلى البيـت.. يدخـل وراءهـا «أشرف» وأبـوه و»ماجـدة»...

أشرف: أنا حوريكي انتي بتتصرفي من دماغك!!

أبـو أشرف: خـلاص اخـرس بقـى هـي حـرة في حاجتهـا يـا سـيدي مـش أحسـن مـن وسـاختك الـلي سـمعت الشـارع!

أم أشرف: فيه إيه؟

أبـو أشرف: ابنـك عامـلي فيهـا «دونجـوان» وبيقابـل الهانـم (ويشـير عـلى ماجـدة) في شـقة الزفتـة مراتـه وصاحـب البيـت شـافهم وجابهـم لعنـدي بفضيحـة..

أم أشرف: فضيحة ليه إن شاء الله؟ هي كانت ضربته على إيده؟

أبو أشرف: انتي في بينك وبينه حاجة؟

«ماجـدة» تبكي: أنا اتفضحت وابنك السـبب هـو واعدني بالجواز ومفهمني إن «هبة» مبتخلفـش ونفسـه يخلـف ومسـتني لمـا يبقي مفيش أمـل في علاجهـا ويطلقهـا ونتجوز..

تنظـر «هبـة» لهـا وتبصـق في وجههـا وتتركهـا وتدخـل غرفتهـا يدخـل «أشرف» ورائهـا ليسـتكمل عراكـه معهـا..

أم أشرف تقول لماجدة: امشي انتي دلوقتي وأنا حكلمك بعدين..

أبو أشرف: عاجبك الفضايح دي ياست هانم وتربية ابننا اللي فضحنا؟!

أم أشرف: فضحنا ليه؟ ابني راجل يعمل اللي يعجبه وكله من مرات ابنك البومة اللي مبوزة في وشه ليل نهار يعمل إيه يعني؟ شاب وعنده رغبات وخلاص اهي مشيت والمحل اتاخد والشقة.. يلا بقى شطب له شقته خليه يتجوز..

.....

يذهب «علاء» إلى البيت، يغلق المحل ويغير مفتاحه ويغير مفتاح شقة «هبة» ويترك محتويات كل منهما كما هي فهو يحمي منزله من «أشرف» فقط وليس في نيته أن يأخذهم من «هبة» ويذهب إلى بيته ليحكي لـ «سلوى» ما حدث فتضحك «سلوى» على شكل «علاء»..

علاء: أنا نفسي افهم بتضحكي علي إيه؟!

سلوى: أصل متخيلة شكلك وانت متضايق وان في حد قدر يضايقك لدرجة إنك تضربه..

علاء: انتي فرحانة فيا؟

سلوى: هههههه أه بصراحة..

وقبل أن يستكمل «علاء» كلامه سمع صوت الهاتف الخاص به يرن ففي هذا الوقت كان «الموبايل» قد بدأ في الظهور وهو قد ابتاع واحدًا من الخليج..

يجيب على الهاتف ليرد من على الهاتف..

ألووو أستاذ علاء؟

علاء: أيوة مين؟

أنا محمد من البنك..

علاء: خير؟

موظف البنك: والله يا فندم المفروض إنك عامل عقد شركة مع أحمد السيد صح؟

علاء: فعلًا !

موظف البنك: للأسف مش حنقدر نوافق على القرض بضمان الشركة..

علاء: ليه؟

موظف البنك: الأستاذ «أحمد» سحب كل الرصيد الموجود في الشركة ده بيخلينا نوقف أي تعامل مع البنك

علاء: إزاي الكلام ده؟ الفلوس دي المفروض مش حتتسحب إلا لما توافقوا على القرض عشان يسافر يجيب بضاعة!!

موظف البنك: والله يا فندم ده اللي حصل.. ويغلق الخط!!

يغلق «علاء» الخط ويضع التليفون في جيبه ويقول

علاء: ينهار اسود!

سلوى: خير؟ في إيه؟

علاء: «أحمد السيد» خد كل الفلوس اللي لمناها للمشروع من البنك ومبيردش ع «التليفون»!!

ويتذكر علاء «التليفون» فيمسك بـ «تليفونه» ويتصل بـ «أحمد» ولكنه يجد الخط مغلقًا فيتصل به على البيت ولكنه لم يجب فيسرع «علاء» في تغيير ملابسه وينزل مسرعًا إلى بيت «أحمد» ليسأل عليه حارس العمارة..

حارس العمارة: النهاردة الصبح حضر شنطته وجالي أنا مسافر وخلي بالك من الشجة! علاء: مقلكش مسافر فين؟

الحارس: لا والله يا بيه معرفش..

علاء: طيب شكرًا

يسأل «علاء» على «أحمد» في كل مكان ولكنه لم يجده فرجع إلى البيت ليجد «سلوى» مستغرقة في النوم.. تشعر به فتقوم من نومها قائلة:

سلوى: عملت إيه؟

علاء: ولا حاجة لفيت عليه الدنيا ملقتوش والبواب عنده قالي إنه سافر بس ميعرفش سافر فين!!

سلوى: وحتعمل إيه؟

علاء: مش عارف أنا لسه مش عارف..

سلوى: يعني كده خلاص؟ لو «أحمد» ده مظهرش يبقي أفلست وضاع اللي وراك واللي قدامك؟؟

علاء: يووووه وده وقته ويتركها ويذهب إلى غرفة النوم الأخرى يأتي الصباح على «علاء».. يقوم من السرير في الساعة ٧ صباحًا ويمسك بهاتف المنزل ويتصل بأخته «منال» قبل أن تذهب إلى عملها..

علاء: صباح الخير يا «منال»

منال: صباح الخير يا أبيه

علاء: الأستاذ أيمن جوزك صاحي؟

منال: أه طبعًا صاحي أهو وبيفطر عشان ينزل عنده محكمة..

علاء: طيب ناديه..

منال: حاضر.. في حاجة؟ طمني

علاء: ناديه بس وبعد ما اخلص كلام معاه ححكيلك..

أيمن: صباح الخير.. علاء باشا

علاء: أستاذ «أيمن» أنا في مصيبة وبما إنك المحامي شوفلي حل

أيمن: مصيبة إيه كفي الله الشر؟

علاء يحكي له ما حدث...

أيمن: للأسف الراجل ده لو توقيعه معتمد في البنك ومعاه تفويض منك بإيداع وسحب الفلوس يبقي قانونًا إنت ملكش حاجة عنده حتى لو في عقد شراكة..

علاء: يعني كده ضاعت فلوسي؟

أيمن: أنت دورت عليه؟

علاء: قلبت عليه الدنيا وقافل تليفونه وسألت البواب قالي سافر..

أيمـن: طيـب سـيب لي النهـاردة.. عنـدي ظابـط صاحبـي كـده ححـاول أخليـه بمعارفـه يعرفلنـا سـافر فـين

علاء: ماشي ادیني «منال» وشكرا لتعبك يا «أيمن» حستنى ردك

منال» خير يا أبيه علاء فيقص عليها «علاء» ما حدث له..

منـال: معلـش يـا أبيـه متضايقـش نفسـك صحتـك بالدنيـا ولـو عايـز فلـوسي ودهبي تبـدأ بيهـم مـن جديـد ولا يهمـك و»أميرة» كـمان مـن غـير مـا اسـألها حتقـول كده..

عـلاء: لا ربنـا يخليـكي يـا حبيبيتـي هـو بـس احتـمال اتفـق مـع «سـلوى» وأجـي أقعـد في شـقة ماما وأبيـع دي وأهـو أجمـع منهـا قرشـين عـلى تمـن العربيـة وربنـا يسـهل..

منال: اللي انت شايفه اعمله.. ويغلق الخط مع «منال»

تقـف «سـلوى» بجـوار البـاب وتسـمع مـاذا يقـول «عـلاء» وتـضرب عـلى ناحيـة وجههـا الأيمـن بيدهـا عـدة ضربـات بسـيطة وتحـرك فمهـا يمينًـا ويسـارًا وكانـت حريصة أن لا يراهـا «عـلاء» يمـر الوقـت لـ ١٢ ظهـرًا ينـزل «عـلاء» إلى الشـارع باحثًـا عـن «أحمـد» مـرة أخـرى دون جـدوى.

ينتهـي اليـوم وتـأتي السـاعة ١٠ مسـاء يطـرق بـاب بيـت «أشرف» وتفتـح أمـه لتجـد «ماجدة»..

أم أشرف: إيه اللي جابك؟

ماجدة: أشرف فين؟

أم أشرف: خير؟ في إيه؟ «أشرف» راح مع أبوه مشوار عند خطيبته..

ماجدة: خطيبته؟؟؟؟خطيبته مين؟

أم أشرف: نعم؟ وانتي جاية تحاسبينا؟ خطيبته اللي خطبها من أسبوعين..

ماجدة: وأنا إيه؟

تخـرج «هبـة» مـن غرفتهـا عـلى الصـوت لتجـد «ماجـدة» تجلـس «هبـة» في صمت

وتـرى «ماجـدة» وهي ذليلـة لأم أشرف..

ماجدة: أنا عايزاه ضروري..

أم أشرف: لـو بترسـمي إنـه يتجـوزك انـسي.. هـو متجـوز حبيبـة القلـب الـلي مفيـش منهـا رجـى وخاطـب بنـت المعلـم «بـدوي» بتـاع المخبـز الآلي وحيتجـوزوا قريـب.. اتفضـلي بقـى اتـكلي عـلى اللـه مـن هنـا قبـل مـا يجـي يسـود عيشـتك..

ماجـدة: لا يسـود عيشـة مـين؟ لا مـش كل الطـير الـلي يتـاكل لحمـه.. أنـا قاعـدة هنـا ومـش ماشـية إلا أمـا البيـه الـلي خاطـب وبيتسرمـح مـع خطيبتـه يجـي..

أم أشرف: لو ممشتيش حطلب لك البوليس..

ماجدة: كده؟ طيب أنا قاعدة أهو واطلبيلي البوليس ورِيني..

يصعد «أشرف» وأبوه على صوت الشجار بعد عودتهم من الخارج..

أشرف: إيـه صوتكـوا جـاي لآخـر الشـارع ليـه؟ إيـه ده؟ ماجـدة؟ إيـه الـلي جابـك هنـا؟

ماجدة: رجليا يا اخويا اللي جابتني عشان أشوفك مع المحروسة..

أبـو أشرف: اطلعـي بـرة يـا بـت انتـي احسـنلك يـلا.. أنـا ابنـي خطـب وهيتجـوز قريـب مـش فـاضي لأشـكالك..

ماجـدة: أشـكالي طيـب يكـون في علمكـوا أنـا لـو نزلـت مـن هنـا حطلـع ع القسـم عـدل وحعمـل في ابنـك بـلاغ وحجرجـره في المحاكـم..

أشرف: ليه؟ كنتي على زمتي وأنا معرفش؟

ماجدة: أه إنت فعلًا متعرفش.. متعرفش إني حامل منك في شهرين؟؟!

وينـزل الخـبر عـلى الجميـع كالصاعقـة ويجلـس كلٌ منهـم في مكانـه إلا «هبـة» تقـف مـن هـول الموقـف!!

أبو أشرف: يادي المصيبة!! حامل؟؟ طيب حعمل إيه أنا دلوقتي؟

أشرف: يا بابا متصدقهاش دي كدابة ويمسك بيدها بقوة ويدفعها ذهابًا وإيابًا..

ماجدة: خلي بالك أنا أمي عرفت ومفهماها لو اتاخرت تبلغ البوليس..

أبـو أشرف: لا يـا سـتي وعـلى إيـه؟ أنـا مـش عايـز شـوشرة اقعـدي بـس كـده واهـدي وحنحلهـا...

ماجـدة: هـو حـل واحـد مفيـش غـيره.. يكتـب عليـا رسـمي عشـان ابنـي يطلـع يلاقـي لـه اب..

أشرف: اكتب إيه؟ انتي بتحلمي؟

أبـو «أشرف»: اخـرررررس انـت تخـرس خاالـص وتحـط جزمـه في بوقـك وتسـتنى نشـوف حعمـل إيـه في المصيبـة دي..

أم أشرف: حتعمل إيه يا حج؟

أبـو أشرف: حعمـل إيـه يعنـي؟ حبعـت بكـرة أجيـب المـأذون واكتـب عليهـم وافـضي لهـم أوضـة «أمـاني» تتنيـل تقعـد فيهـا لحـد مـا تولـد وبعديـن تبقـي تغـور ومـش عايـز حـد يعـرف حاجـة عـن الموضـوع ده أنـا داخـل شراكـة كبـيرة مـع «بـدوي» الخبـاز ولـو عـرف مـش حيكمـل جـوازة بنتـه ومـش بعيـد ابنـه يسـيب «أمـاني» كـمان..

يعـم الصمـت عـلى الجميـع ويحـدد أبـو «أشرف» غـدًا في السـاعة ٩ مسـاءً وتحـضر «ماجـدة» وأمهـا ويحـضر المـأذون لـكي يتـم الـزواج..

يرجـع «عـلاء» إلى بيتـه في وقـت متأخـر ليجـد زوجتـه كالعـادة مسـتغرقة في النـوم لا تبـالي مـا يحـدث لـ «عـلاء» في الصبـاح تطلـب «سـلوى» أن تذهـب إلى أمهـا ويوافـق «عـلاء» فهـو لا يسـتطيع الجـدال مـع «سـلوى» في هـذه الأيـام خاصـة لسـوء مزاجـه بسـبب مصيبتـه.. ينـزل «عـلاء» ليسـتكمل رحلـة البحـث عـن» أحمـد» وتأخـذ «سـلوى» حقيبـة سـفر وتذهـب إلى أمهـا يمـر اليـوم وتـأتي السـاعة ٧ مسـاء.. تقـف «هبـة» أمـام مـرآة غرفتهـا وتقـول..

أنـا كفايـة عليـا كـده أوي.. كـمان حيجيـب «ماجـدة» تبقـى راسـها بـراسي في البيـت ومـش بعيـد أخدمهـا مـا هـي حتبقـى حامـل.. طيـب أنـا بقـى حتحمـل أكـتر مـن كـده ايـه؟ المـأذون الـلي حيكتـب كتابـه حيطلقنـي وقبـل مـا اطلـق لازم أنقـذ إنسـانة بريئـة

حتقـع زي مانـا وقعـت

وخرجت من الغرفة فلم تجد أحدًا بالمنزل لتمسك بسماعة «التليفون»..

هبة: ألو مساء الخير ممكن أكلم الآنسة «سماح»..

سماح: أنا «سماح» مين معايا؟

هبة: أنا «هبة» زوجة «أشرف» خطيبك..

تصمت «سماح» لثواني وتقول:

سماح: خير فيه حاجة؟

هبـة: أنـا عارفـة إنـك مسـتغربة المكالمـة لكـن أنـا حقولـك الـلي عنـدي عشـان ابقـى رضيـت ضمـيري وليـكي حريـة الاختيـار

تـروي «هبـة» لــ «سـماح» كل شيء عـن «أشرف» وعائلتـه وعن «ماجـدة» وموضوع زواجهـا اليوم السـاعة ٩ مسـاءً..

سـماح: يـاااه كل ده وانـا نايمـة عـلى وداني والبيـه ضاحـك عليـا هـو وامـه وابـوه ومفهمنـا إنهـم أحسـن نـاس في الدنيـا وإنـك مريضـة مـرض وحـش يمنعـك مـن الخلفـة نهـائي وموافقـة ع الجـواز.. أتاريهـم طمعانـين فينـا!! عامـة أنـا بشـكرك عـلى كل الـلي قولتيـه وإنـك نورتينـي وفتحتـي عنيـا وانـا حتـصرف..

يمـر الوقـت وتأتي السـاعة ٩ مسـاءً تـأتي «ماجدة» وأمهـا ومعها حقيبة ملابسـها ويأتي المـأذون ويبـدأ المـأذون في إجـراءات كتـب الكتـاب.. تخـرج «هبـة» مـن غرفتهـا وتقـول: مـش المفـروض يـا عـم الشـيخ الديـن بيقـول إني لازم أوافـق ع الجـوازة التانيـة دي؟؟

الشيخ ينظر باستغراب..

المأذون: انتي مين؟

يقف أشرف وأبوه وأمه في خوف مما تقوله «هبة»..

يقول «أشرف» بصوت عالٍ..

أشرف: هبة.. ادخلي جوة دلوقتي..

هبة: أدخل فين؟ أنا مش حدخل أنا حخرج من هنا وحخرج نهائي!!

المأذون: خير بس يا جماعة؟ براحة افهم!

هبة: أنا أفهمك البيه بيتجوز عليا وانا مش موافقة وعايزة أطلق..

أبو أشرف: انتي باين عليكي اتجننتي. ويصفعها على وجهها وقبل أن يستكمل ضربه لـ «هبة» يسمع صوت طرقات الباب فتفتح أم «أشرف» لتجد «سماح» وأباها وأخاها..

تقول سماح: اتجننت ليه ياحج؟ عشان بتطالب بحقوقها؟؟

أبو أشرف: اتفضلوا بس.. اتفضل ياحج بدوي أنا حشرحلك..

الحاج بدوي: ولا تشرحلي ولا اشرحلك هبة كتر خيرها كلمت بنتي وفهمتها كل حاجة وصحيح ابنك ميناسبهوش إلا واحدة زي ماجدة هي اللي تنفع مع لعبكوا وأكاذيبكوا وخداعكوا واعتبر من دلوقتي الشراكة منتهية وشبكتكوا وهداياك اللي جبتها لبنتي أهي وإذا كان ع الشبكة والهدايا اللي ابني جبها لبنتك خليها لكوا اشبعوا بيها والله الغني عن الجوازة دي ماشوفش وشك عندي تاني ومفيش سلامو عليكوا.. يلا يا ولاد!.. تربت «سماح» على كتف «هبة» وتقول لها

سماح: ربنا معاكي!!

يقول «أشرف» لـ «هبة» وهو منفعل ويضربها عدة ضربات في أنحاء متفرقة من جسدها

أشرف: يا بنت الكلب فضحتينا يا بنت الكلب.. دانا حموتك «هبة» تبعد نفسها عنه وتقول انت لسه شوفت فضيحة وتخرج من جيبها صورة من تحاليل طبية والتقرير الطبي الخاص بها وتزج به في وجه «أشرف» وأبيه.. يقف الشيخ المأذون ويقول: المأذون: استهدوا بالله يا جماعه بس..

يمسك أشرف بالورق..

هبة: الفضيحة اللي بجد لما أقدم أصل الورق ده للنيابة وأقولهم إنك كنت عايز تموتني.. ابنك يا حج يا اللي عامل فيها حامي الحما ونفسك في حفيد..

ابنـك يـا طنـط يالـلي عاملـة نفسـك محـدش خلـف خلفتـك.. بيـشرب مخـدرات (ترامـادول) وحشـيش ومـش بـس كـده لا ده كان بيحطهوملي في الشـاي والعصـير وأنـا كشـفت وعملـت تقريـر طبـي والصبـح لـو مطلقتـش ومشـيت مـن هنـا في نـاس بـرة حتقـدم الطلـب للنيابـة..

أم أشرف: يـا لهـوي نيابـة؟.. المـأذون يقـف في مكانـه ويقـول أعـوذ باللـه مـن غضـب اللـه أعـوذ باللـه مـن دي جـوازة ويتركهـم ويخـرج..

يقـول أبـو أشرف: انـت مسـتني إيـه؟؟ مسـتني بنـت الكلـب دي لمـا تحبسـك؟؟ يـلا طلقهـا وارميهـا في الشـارع للـكلاب..

وتقـول أم «أشرف»: ارمـي عليهـا اليمـين يـا بنـي ونزلهـا بهدومهـا الـلي عليها خسـارة فيهـا جنيـه.. ادخـلي يـا أمـاني بسرعـة اقفـلي بـاب الأوضـة لتاخـد دهـب ولا فلوس..

يقـول أشرف: انتـي طالـق طالـق يابنـت الكلـب ويمسـك بيدهـا ويفتـح بـاب الشـقة ويـزج بهـا عـلى السـلم بدفعـة قويـة مـما يجعـل «هبـة» تقـع وتتدحـرج عـلى السـلم..

يقـول «أشرف»: امـشي بـره متورنيـش وشـك تـاني وملكيـش عنـدي ولا مليـم والصبح ورقتـك حتوصلـك.. تحـاول «هبـة» أن تلملـم مـا تبقـي فيهـا مـن عافيـة بعـد معافـرة ومعانـاة هـذا اليـوم فالوقـت اقـترب عـلى ١٢ مسـاء.. تخـرج مـن بـاب البيـت المشـئوم تقـف «هبـة» عـلى قدميهـا أمـام البيـت وتنظـر لـه وتبـكي بـكاء بصـوت ضحـكات فرحًـا عـلى حريتهـا التـي حصلـت عليهـا بعـد عنـاء وتتجـه إلى بيتهـا القديـم تدخـل من بابـه وتصعـد سـلالمه سـلمة سـلمة ببـطء وكأنهـا ترحـب بـكل سـلمة وجـدار وبلاطـة في هـذا البيـت فهـي لا تسـتطيع تصديـق أنهـا عـادت لـه مـرة أخـرى تمـر مـن عـلى بـاب شـقتها هـي وأمهـا وتقـف عـلى البـاب لتتذكـر أن ليـس معهـا مفتـاح وأن «عـلاء» غـير مفتـاح الشـقة تتحسـس البـاب وتبـكي بحرقـة وتحتضـن البـاب في حـزن وتتذكـر أمهـا وأم «عـلاء» تصعـد إلى شـقة أم «عـلاء» لتجـد البـاب مغلقًـا والشـقة مظلمـة والـتراب في كل مـكان عـلى السـلم.. تمـر مـن أمـام شـقة أم «عـلاء» وهـي تنظـر إليهـا وتسـترجع ذكرياتهـا أمـام عينيهـا في عيـد ميلادهـا الخامـس عندمـا صعـدت إلى «عـلاء» وقبلتـه مـن خـده وتركـت مـكان القبلـة روج أحمـر مـما أثـار غضـب «عـلاء».. تتذكـر وتبـكي

وتضحك في نفس الوقت تصعد إلى السطوح تقف أمام غية الحمام الخاص بها تجدها مهشمة بعض الشيء والحمام هجرها كأنه رحل مع رحيل «هبة»..

تنظر إلى غرفة ذكرياتها الصغيرة وتحاول أن تفتح الباب.. يُفتح الباب معها فتدخل وتحاول أن تضيء الأنوار ولكن الأنوار أتلفت من كثرة التراب والرطوبة وعدم الاستعمال فكل شيء في البيت حزين على رحيل أصحابه فأصبح البيت مهجورًا، تفتح الباب على مصراعيه فيتخلل الغرفة ضوء خفيف من الباب والشباك وهو ضوء أنوار لافتات الإعلانات بالشارع تجلس «هبة» على المكتب لتجد كراسة مذكراتها على المكتب كما هي و»الووكمن» الخاص بها والتسجيل الذي أهداه لها «علاء» من زمن بعيد وشرائط «هاني شاكر» التي كانت تعشقها تتحسس «هبة» كل هذه الأشياء وتحاول أن تزيل التراب من عليهم وتذهب إلى ركن الغرفة الذي يوجد به الأدوات الرياضية الخاصة بـ «علاء» وتجد «ترينج» رياضي معلق على شماعة فتأخذه في حضنها فرغم مرور الزمن والوقت ولكن ما زالت رائحة «علاء» متعلقة به.. تظل «هبة» في الغرفة تبكي وتتحسر على أيام عمرها الضائعة...

.....

يدخل «علاء» البيت عند «سلوى» في وقت متأخر.. يدخل بهدوء ظنًا منه أن «سلوى» نائمة كعادتها فهو لا يريد أن يوقظها لكي لا يدخل في جدال ونقاش بيزنطي لا جدوى منه ولكن هذه المرة يسمع صوتها تتحدث في هاتف المنزل.. يقترب من مكان تواجدها بهدوء ويسمع حديثها...

سلوى: يا ماما انتي لو سمعتي قال إيه لاخته حتتخضي زي كده.. ده بيقولها إنه خلاص محلتوش إلا العربية وبيت أمه ده القديم اللي عايزني أنا أروح اقعد فيه عشان قال ايه يبيع الشقة دي وياخد فلوسها يبدأ بيها من الأول ويضيعها هي كمان..، أنا أول ما سمعته بيقول كده استنيته لما خرج وعبيت كل دهبي وألماظاتي وفلوسي وحاجاتي الثمينة وساعاتي وحطيتها في الشنطة اللي جبتهالك.. أه أحسن يقولي هاتيهم ولا حاجة.. تصمت «سلوى» لتستمع لحديث أمها ثم ترد:

سلوى: لا دا بيحلم إني أساعده.. وكمان لو صمم على كده إنه يبيع الشقة دي مش يبيع بيت أمه حرفع عليه قضية طلاق لضرر أنا مش حقدر أنزل ولا اتخلي عن المستوي اللي عايشة فيه ده وأبدأ معاه من الأول نو واي ينسى.. ماشي يا ماما لو في جديد حبلغك سلام يا حبيبتي..

وتغلق الخط وهنا يفتح «علاء» باب الغرفة لتجد سلوى «علاء» أمامها فجأة..

علاء: يااه كل ده حقد وكره شيلاه جواكي؟!!

سلوى: لو سمحت احفظ أدبك انت عايزني أرجع معاك من الصفر؟ أقول للناس إيه؟ أقول لصحباتي وجيراني وأهلي إيه؟ دانا كنت بتباهى بيك وبعربيتك ومستواك أنا مقدرش أشوف شماتة الناس فيا..

علاء: ماشي وأنا حريحك من كل ده من غير ما تطلبي ترفعي قضية طلاق ولا حاجة انتي طالق طالق يا سلوى وسايبلك الشقة والعفش ودهبك اللي أنا طفحان الدم عشان أجبهولك ونزلتي جري تهربيه من البيت مع إني لا فكرت ولا كان في نيتي إني أخده منك بس هي كده خلصت.. ولاد الأصول بيبانوا في المواقف..

ويتركها وينزل من البيت خالي الوفاض لا يحمل حتى شنطة بها ملابس أو أشياء خاصة به وكأنه يترك أي شيء يذكره بأيامه مع «سلوى» يتجه إلى بيت أمه يصعد السلالم في هدوء شديد ويمر من أمام شقة «هبة» ليقف أمامها قليلًا يتذكر يوم ولادة «هبة» وهو واقف على الباب منتظر خبر الولادة عندما كان صغيرًا في السن ويتذكر أمه وهي تحمل «هبة» في (سبوعها) وتضعها في يد «علاء» يتذكر أيامه في هذا البيت ويتحسس باب شقة هبة بهدوء دون أن يحدث صوتًا..، حزينًا على ما وصل إليه.. يصعد السلم ليصل إلى شقة أمه يقف أمامها ويخرج المفتاح من جيبه ولكنه لا يستطيع فتح الباب.. يقف ويسند رأسه عليه قليلًا متحسرًا على عدم وجود أمه معه في مثل هذه الظروف ويستكمل طريقه متجهًا إلى سطح البيت.. يصعد ويجد غية الحمام مهجورة ومهشمة... يتجه إلى سور السطوح ويتذكر حديثه مع «هبة» وهي تقول له أنها تحبه ومستعدة أن تواجه

بحبها العالم ويتذكر أيضًا أم «هبة» وهي تحكي معه على أن يترك «هبة» ويسافر لبعيد.

«هبة» مازالت في الغرفة الصغيرة ولكن غلبها النوم وهي تجلس على كرسي المكتب وتضع رأسها عليه..

يلفت انتباهها أن هناك قدم تمشي على السطح من الخارج فتقوم مفزوعة دون شعور يضغط إصبعها على شريط الكاسيت ولكن الكاسيت لم يصدر صوتًا لثوانٍ تتجه «هبة» إلى الباب لكي ترى من بالخارج ويتجه «علاء» إلى الغرفة لكي يرى من بالداخل يسمع كل منهما كلمات الأغنية التي بدأت ويقف كل منهما أمام الآخر ينظر في عينيه ويبكي دون حركة.. كانت كلمات الاغنيه تقول:

(معقول نتقابل تاني؟

معقول مانتش نسياني؟

معقول معقول معقول؟

بعد مادابت أحلامي بعد ما شابت أيامي؟

ألقاكي هنا قدامي

ده كتير أوي كتير أوي كتير أوي يا زماني كتير أوي يا زماني...

أرجوكي أرجوكي استني عليا أرجوكي

متبوصيش كده في عنيا أنا قلبي ميستحملش قابليني شوية شوية..

لا عملت حساب الصدفة

ولا قد عذاب اللهفة شيفاكي عنيا.. لتكوني خيال وأماني)

مازال كل من «هبة» و«علاء» يقف أمام بعضهما البعض لا يستوعبان بأن القدر جمعهما مرة أخرى.. تجري «هبة» على سور السطوح وتبكي حزنًا على أيامها الفائتة وفرحًا بلقاء «علاء» يذهب «علاء» إليها ويقف بجوارها ينظران إلى الأمام فقد بدأت أشعة الشمس في الظهور وبدأ ميلاد فجر جديد..

ومازلت الأغنية مستمرة...

يأخذ «علاء» «هبة» تحت ذراعه وهما واقفان مكانهما وتلف «هبة» بذراعها على خصر «علاء»... يمسح «علاء» دموع «هبة» وتضع «هبة» رأسها على كتفه..

يتردد صدى الأغنية... معقول واقفين بنسلم؟؟ مع بعض سوا بنتكلم؟ وكأننا متقابلين امبارح ولا حاسين ان احنا بقالنا سنين الشوق بنا بيتألم.. قلبي اللي فتحته عشانك من يومها قفلته عليكي ولا حدش يملى مكانك وادي قلبي خوديه بإديكي.

ينظر كل منها على منظر النهار الجديد الذي يولد من ظلمة الليل وكأنها رسالة يبعثها لهم القدر بأنهما يستطيعان أن يبدآ حياتهما من جديد ويتركا سواد ليل أيامهما الماضية يذهب للجحيم ويسمحا لنهار بدايتهم المؤجلة في الظهور.. تجد «هبة» الشارة التي كانت تشير بها للحمام فيما مضي فتمسكها بيدها الثانية وتشير للحمام الذي استيقظ من نومه على الأشجار بعد أن هجر غيته ويبدأ «علاء» بإصدار صوت صفارة كان يجتمع عليها الحمام في الماضي.. يسمع الحمام الصوت ويلبي النداء ويرى الحمام الشارة فيفرح لعودة أصحابه مرة أخرى ويطير مندفعًا نحو «هبة» و«علاء» وتمتلئ الغية مرة أخرى في مشهد جميل يدل على السلام والحب....

قراءنا الأعزاء.. تحقيقًا لمبدأ التواصل بين الكاتب والقارئ ودور النشر، ولاهتمام بمعرفة رأيك دائمًا نتنظر أن تواصل معنا لتقييم أعمالنا عبر الإيميل، أو عبر صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، من أجل تحقيق حلم بناء جيل واعي وقارئ يقدر الثقافة بالمجتمع وانتشارها بمختلف عقول أساسها الثقافة والعلم.

مدير النشر: أسماء فخر الدين
شهرزاد للنشر والتوزيع

E-mail shahrazadpub@gmail.com
facebook Shahrazadpub
shahrazadpub2015
twitter: shahrazadpub

للشراء عبر صفحة البوك ستور الإلكتروني،
صفحتنا على الفيس بوك شهرزاد بوك ستور